

الأربعون التوفيقية
في
فضل القرآن وأهله

تأليف

إسلام بن عيسى الحسامي العبادي

ويليها

الأربعون الألبانية في الأحاديث الموضوعة في فضل القرآن وأهله

للعلامة المحدث

محمد ناصر الدين الألباني

إعداد

إسلام بن عيسى الحسامي العبادي

تقديم

العلامة المحقق المقرئ الدكتور علي محمد النحاس

العلامة الحافظ المحقق الناقد البصير عبدالباسط هاشم


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com



تقديم العلامة المحقق المقرئ الدكتور علي محمد النحاس

تقديم

العلامة الحافظ المحقق المقرئ علي محمد توفيق النحاس حفظه الله ورعاه

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له و أشهد أن محمدا عبده ورسوله أما بعد

فقد اطلعت على كتاب الأربعين التوفيقية في بيان فضل القران وأهله لمؤلفه الشيخ إسلام بن عيسى الحسامي العبادي فألفيته كتابا مفيد نافعا حرص مصنفه على انتقاء الأحاديث الصحيحة في هذا الباب وزينه بشرح مختصر مفيد فيه من الفوائد العلمية التي تحرض على التمسك بكتاب الله تعالى قراءة وتلاوة تدبرا وتفكرا في مراد الله تعالى وعملا بما أمر واجتنابا لما نهى عنه سبحانه وتعالى فإتباع القران وتلاوته أجره كبير ووفير وأثره على القلب بالهداية والنور عظيم كما قال الله تعالى: **{إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ (٢٩) لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ (٣٠)} وقال تعالى {أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}**

وقد نبه الكاتب على بعض الأحاديث الضعيفة والموضوعة في فضل القران وأهله مما حكم عليه العلامة الألباني في السلسلة الضعيفة ليحذر أهل القران منها وكذلك إلحاقه ببعض الفتاوى من اللجنة الدائمة للبحوث الإسلامية والإفتاء مما تمس حاجة قارئ القران لها وقد قرأ علي الشيخ توفيق إبراهيم ضمرة بعضه وطلب أن اكتب له مقدمه اسأل الله التوفيق لكاتبه وان يكون مثقلا لميزانه يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم وصلى اللهم على محمد واله وسلم وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

وكتب

الشيخ الدكتور علي محمد توفيق النحاس

تقديم العلامة الحافظ المحقق الناقد البصير المقرئ عبد الباسط هاشم

تقديم

العلامة الحافظ المقرئ الناقد البصير عبد الباسط حامد المعروف بـ عبد الباسط هاشم حفظه الله ورعاه

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إلـه الا الله وحـده لا شريك له و أشهد أن محمدا عبده ورسوله أما بعد فقد أطلعني فضيلة الشيخ توفيـق ضمرة على كتاب الأربعين في فضل القران وأهله لفضيلة الشيخ إسلام بـن عيسـى الحسامي العبادي وقرا علي بعضه وطلب مني أن اكتب له مقدمه فوجدته كتابا نافعا فيما اشتمل على الأحاديث الصحيحة في هذا الباب ووضع عليه شرحا بديعا من كلام أهل العلم والتحقيق وقد اشتمل على الترغيب في تلاوة القران وبيان اجر تاليه وعلو منزلة حافظه والعامل به.. والترهيب من الرياء والتصنع للخلـق والتـزين لهـم والتأكل والاستكثار به.. فجمع بين الترغيب والترهيب مما يعلي همة قارئ القـران وحرصه على أن يكون ماهرا به مع السفرة الكرام البررة حاملا له كحال سلف الأمة وقد بين الله تعالى في كتابه الحق من الباطل وجعله شفاء ورحمة للعالمين قال تعالى:{وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِقَـوْمٍ يُؤْمِنُـونَ} [الأعراف: ٥٢]وقال تعالى : { وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُـؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا} [الإسراء: ٨٢] وقد نبه على الأحاديث الموضوعة والمنكرة الضعيفة مما حكم عليه العلامة الألباني في السلسلة الضعيفة فانه مما يجدر التنبه لـه و التنبيه عليه ليحذر ويتقى وكذلك نقله جملة من فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث والإفتاء مما يحتاجه حامل القران هذا واسأل الله لراقمه أن يتقبل عمله ويبارك فيه وبما كتب وصل اللهم على محمد واله وسلم وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

وكتب

الشيخ المقرئ عبد الباسط حامد المعروف بـ عبد الباسط هاشم



مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله الله وحده لا شريك له و أشهد أن محمدا عبده ورسوله.

أما بعد:

فبعد أن وفقنا لتلقي العلم على شيخنا العلامة الدكتور المقرئ توفيق بن إبراهيم ضمرة وصحبناه سنوات طويلة وسعدنا بأن نكون من خاصة تلاميذه فوجدناه العالم الرباني والإمام الذكي الزكي العامل بعلمه والخاشع لربه والقائم بآيات الله آناء الليل وإطراف النهار والمشتغل لسانه بذكر ربه والصادق المخلص في عمله الشحيح بوقته الضنين به على غير أهله لا تفوته ساعة إلا وهو في درس أو تدريس أو إجازة أو تصنيف و مجالسه العلمية دائمة غير منقطعة عامرة بطلاب العلم عربا وعجما مجالس علم يتلقى العلم عنه فيها رواية ودراية وهو أحد أعلى علماء القراءات إسنادا وأكثرهم تصنيفا في بابه وأكثرهم طلابا وهو صاحب رحلة وتطواف لطلب العلم وتلقيه كما سيأتي بيانه وقد رغب عن الدنيا وزخرفها الباطل وزهد في مباحاتها فضلا عن شهواتها الزائفة وبهرجها الفاتن وهو سليم الاعتقاد تلقينا عنه عقائد أهل السنة والجماعة بأسانيد عالية غالية كالواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية لا يقدم على الكتاب والسنة الصحيحة رأيا ولا شخصا فهو نسخة فريدة من سلف الأمة وأنموذجها العزيز اليوم وهو صاحب خلق عال وأدب رفيع لا تسمع غيبة ولا نميمة في مجالسه ولا يسمح بذلك البتة قد طهره الله منها وهو متسامح نقي القلب طاهر السريرة يبتغي وجه ربه فيما يعمل وإن جهل عليه أجهل الجاهلين فهذا حاله وسمته فهو من أهل الله وخاصته فخلقه القران أحسبه كذلك ولا أزكيه على الرحمن كيف لا ومن شيوخه أئمة الدنيا وزينتها حملة كتاب الله تعالى رواية ودراية ورعاية منهم: مسند العصر العلامة المقرئ بكر الطرابيشي الدمشقي

رحمه الله، والعلامة الحافظ المقرئ مصباح ودن حفظه الله، والعلامة المحقق المقرئ الدكتور علي النحاس حفظه الله، والعلامة الحافظ المقرئ محمد عبد الحميد الإسكندري رحمه الله، والعلامة الحافظ المحقق الناقد البصير المقرئ عبد الباسط هاشم حفظه الله ورعاه، وغيرهم كثير.

ولما كان ترغيبه لطلاب العلم بتعلم القران وتلقيه كثيرا وتحريضه الدائم لنيل الإجازة في قراءه القراءات القرآنية وإجادتها وبيان أجر حافظها وبيان منزلته من الجنة وعدة أجر قارئه ومثوبة تاليه وحافظه ومتدبره وأن يتطلع المتلقي ليكون صاحبا للقران وماهرا حاذقا فيه وحاملا له غير غالي ولا متجافي عنه قد جعله أمامه وإمامه ليقوده إلى الجنة ولابد مع الرواية من دراية ووقوف على معانيه ومراميه وتدبره ليعقل خطاب ربه فيحرص على قراءة تفسير مختصر مثل عمدة التفسير للمحدث العلامة أحمد شاكر وهو من جملة ما قرأنا منه عليه وأجازنا فيه وبغيره بأسانيد عالية ومنه إلى الرعاية والعمل بكتاب الله تعالى وهو المقصود من الخطاب والتنزيل والوقوف عند حدوده ليكون شافعا مشفعا لصاحبه في قبره ومخاصم ومجادلا له بين يدي ربه ويحرص شيخنا على بيان منزلة صاحب القران وأنهم هم أهل الله وخاصته كما صح عن النبي ﷺ وأنه سبب السعادة والفرح لتاليه ومتدبره مذهب عنه الهم والغم والحزن «أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي، وَنُورَ صَدْرِي، وَجَلَاءَ حُزْنِي، وَنُورَ بَصَرِي، وَذَهَابَ هَمِّي» فصاحب القران حق له أن يفرح به وأن يغبط عليه كما قال الله تعالى:﴿**قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ**﴾ (يونس: ٥٨) وكم نبه الشيخ بلسان المقال والحال من الرياء و التحذير منه والتزين للخلق والتصنع لمقاماتهم الوضيعة ليمدح فيقال قارئ حافظ متقن فهذا حظه ونصيبه وهو أول من تسعر به النار يوم القيامة كما تقدم دليله وأن لا يتأكل أو يستكثر ويستكبر بالقران فليس هو مشروع غنى لجمع الأموال وحصد حطام الدنيا ومصاحبة علية القوم لإغداق الأموال والتعلق بسرابها والركون إليها والمنافسة في الشهرة للدنيا لا

للدين بل لتحصيل أجرها ومالها وينبغي لأصحاب الأصوات الجميلة أن لا يفتتنوا بجمال أصواتهم وحسن أدائهم وأن لا يتصنعوا للخلق وعليهم ان يخلصوا أعمالهم لربهم وليعلموا أن أكثر منافقي أمتي قراؤها كما سيأتي بيانه وليحذر طالب العلم وقارئ القران الطعن بمن حاز قصب السبق في القران رواية ودراية ورعاية وتصنيفا وشيوخا ورحلة وتلاميذ وجاها ومنزلة فهو من حسد نفسه وهواها وشرها أبت إلا الطعن والذم والحنق والحقد وما ذاك إلا لضعف إيمانها وركونها وتمسكها بالدنيا وقلة دينها واستحواذ الشيطان وتلبيسه عليه فمالك وللنجوم السامقة والأعلام الهادية والنفوس المطمئنة وتذكر أن المخلصين منهم لو اقسم الواحد فيهم على ربه لأبره فإياك ودعوتهم فتخسر وتهلك وتفضح لسوء نيتك وخبث سريرتك ومن أجمل ما وقفت عليه كتاب (أخلاق أهل القرآن) للخطيب البغدادي فعليك به فانه نافع مفيد وفيه قال عيسى بن عمر النحوي: أقبلت حتى أقمت عند الحسن فسمعته يقول: قرأ هذا القرآن ثلاثة رجال: فرجل قرأه فاتخذه بضاعة ونقله من بلد إلى بلد، ورجل قرأه فأقام على حروفه، وضيع حدوده يقول: إني والله لا أسقط من القرآن حرفا، كثر الله بهم القبور، وأخلى منهم الدور فو الله لهم أشد كبرا من صاحب السرير على سريره، ومن صاحب المنبر على منبره، ورجل قرأه فأسهر ليله وأظمأ نهاره ومنع شهوته، فجثوا في براثنهم وركدوا في محاربهم، بهم ينفي الله عنا العدو وبهم يسقينا الله الغيث، وهذا الدرب من القراء أعز من الكبريت الأحمر.

قال محمد بن الحسين: الأخبار في هذا المعنى كثيرة ومرادي من هذا نصيحة لأهل القرآن لئلا يبطل سعيهم، إن هم طلبوا به شرف الدنيا حرموا شرف الآخرة، إذ يتلونه لأهل الدنيا طمعا في دنياهم، أعاذ الله حملة القرآن من ذلك، فينبغي لمن يجلس يقرئ المسلمين أن يتأدب بأدب القرآن يقتضي ثوابه من الله عز وجل، يستغني بالقرآن عن كل أحد من الخلق، متواضع في نفسه ليكون رفيعا عند الله.

لهذا وغيره عَنَّ لي أن أقلد الأئمة العلماء في تصنيف كتاب في فضل القرآن وأهله فيه من الفوائد العلمية والحقائق الشرعية والآيات القرآنية والأحاديث النبوية ما يتطلع لها قارئ القران لتبان له منزلته وأجره عند بارئه فهو شاحذ للهمم ومعليها ومحذر من حظوظ النفس وغوائلها وقد انتقيت الأربعين من حديث النبي ﷺ صحيحة واتبعتها بشرح مختصر مفيد وقد نسبت تسميته لشيخنا لما له من حق علينا فمنه استفدنا وعليه قرانا واشتغلنا وأسميته (**الأربعون التوفيقية في فضل القران وأهله**) وجنبته الحواشي ولتكمل الفائدة انتقيت أربعين حديثا موضوعا في فضل القران وأهله من السلسة الضعيفة والموضوعة لشيخنا المحدث العلامة محمد ناصر الدين الألباني وأسميته (**الأربعون الألبانية**) وضمنتها للفائدة بأحاديث ضعيفة ومنكرة لتعظم فائدة القاري فيحذر منها وينبه عليها ومن ثَمَّ اتبعته ببعض فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء المتعلقة بالقران وما تمس إليه حاجة تاليه أما حديث «من حفظ على أمتي أربعين حديثاً من السنة، كنت له شفيعاً يوم القيامة». فهوحديث موضوع «السلسلة الضعيفة» رقم(٤٥٨٩). وأقول كما قال الإمام النووي في مقدمة الأربعين: قد صنّف العلماء رضي الله تعالى عنهم في هذا الباب ما لا يُحصى من المصنّفات ... ومع هذا فليس اعتمادي على هذا الحديث، بل على قوله ﷺ في الأحاديث الصحيحة: «ليبلغ الشاهد منكم الغائب»وقوله ﷺ: «نضر الله امرأً سمع مقالتي فوعاها فأدّاها كما سمعها». ثم من العلماء من جمع الأربعين في أصول الدين، وبعضهم في الفروع، وبعضهم في الجهاد، وبعضهم في الزهد، وبعضهم في الآداب، وبعضهم في الخطب، وكلها مقاصد صالحة رضي الله تعالى عن قاصديها.

** **

ترجمة العلامة توفيق بن إبر هيم ضمرة

هو العلامة المقرئ المصنف الدكتور توفيق بن إبراهيم بن أحمد ضمرة

ولد في عمان في ١٩٦٣/٢/١ م.

حصل على شهادة البكالوريوس من كلية الدعوة و أصول الدين بتقدير امتياز.

حصل على شهادة الماجستير من كلية الدعوة وأصول الدين تخصص فقه وأصوله بتقدير جيد جدا.

حصل على شهادة العالمية التقديرية من الجامعة الإسلامية في باكستان.

يعمل إماماً وخطيباً بمسجد خالد بن الوليد/جبل النظيف، عمان.

ومدرساً للتلاوة والتجويد في:

أ. مسجد خالد بن الوليد من ١٩٩٦/٣/٥م ولغاية الآن.

ب. المسجد الحسيني الكبير من٢٣/٧/ ١٩٩٦م ولغاية الآن.

ج. مسجد الشهيد الملك عبد الله بن الحسين من ١٩٩٩/٢/٦م ولغاية ١/ ٨/ ٢٠١٣م.

د. مسجد إربد الكبير من ١٧ /٩ / ٢٠٠٠ ولغاية ١٧/ ١٠/ ٢٠٠٢م.

عضواً في لجنة الفحص لدور القرآن الكريم، والمسابقة الهاشمية الدولية.

عضواً في لجنة تدقيق المصحف الهاشمي.

المشرف العام على دور القرآن الكريم التابعة للجنة دعم المساجد بإشراف وزارة الأوقاف.

شارك في تأليف كتب التلاوة والتجويد إصدار وزارة الأوقاف والشؤون والمقدسات الإسلامية.

رحل في طلب العلم إلى الشام ومصر وفلسطين والحجاز واليمن والمغرب العربي و الباكستان والهند.

من مؤلفاته:

١. الإتقان في نطق بعض ألفاظ القرآن برواية حفص بن سليمان.

٢. أحسن البيان في شرح طرق الطيبة لرواية حفص بن سليمان.

٣. أحسن صحبة في رواية الإمام شعبة من طريق الشاطبية ويليها الفرق بين الشاطبية والطيبة.

٤. الجسر المأمون إلى رواية الإمام قالون من طريق الشاطبية ويليها الفرق بين الشاطبية والطيبة.

٥. زاد السائر إلى قراءة ابن عامر من طريق الشاطبية ويليها الفرق بين الشاطبية والطيبة.

٦. الطريق المنير إلى قراءة ابن كثير من طريق الشاطبية ويليها الفرق بين الشاطبية والطيبة.

٧. غاية سروري في رواية الدوري من طريق الشاطبية ويليها الفرق بين الشاطبية والطيبة.

٨. أحلى دروسي في رواية السوسي من طريق الشاطبية ويليها الفرق بين الشاطبية والطيبة.

٩. غاية رضائي في قراءة الكسائي من طريق الشاطبية ويليها الفرق بين الشاطبية والطيبة.

١٠. فرحة الأبرار في قراءة خلف البزار من طريق الدرة ويليها الفرق بين الشاطبية والطيبة.

١١. إتباع الأثر في قراءة أبي جعفر من طريق الدرة ويليها الفرق بين الشاطبية والطيبة.

١٢. تنوير القلوب في قراءة يعقوب من طريق الدرة ويليها الفرق بين الشاطبية والطيبة.

١٣. رفعة الدرجات في قراءة حمزة الزيات من طريق الشاطبية ويليها الفرق بين الشاطبية والطيبة.

١٤. الثمر اليانع في رواية الإمام ورش من طريق الشاطبية ويليها الفرق بين الشاطبية والطيبة.

١٥. جلاء بصري في قراءة الحسن البصري من طريق المفردة.

١٦. كتاب فتح المهيمن في قراءة ابن محيصن من طريق المبهج ويليها الفرق بين المبهج والمفردة.

١٧. كتاب الروض الندي في قراءة اليزيدي من طريق المستنير ويليها الفرق بين المستنير والمبهج.

١٨. كتاب نظم الجمان في قراءة الأعمش ابن مهران من طريق المبهج ويليها الفرق بين المبهج والروضة.

١٩. كتاب نيل الأماني في رواية ورش من طريق الأصبهاني من كتاب المصباح.

٢٠. كتاب فرحة السعيد في متون التجويد. وكل الكتب السابقة مطبوع.

وكتب عدة مصاحف في القراءات منها:

١. مصحف رواية حفص وبالهامش رواية شعبة لقراءة عاصم الكوفي من طريق الشاطبية.

٢. مصحف رواية حفص وبالهامش رواية قالون من طريق الشاطبية.

٣. مصحف رواية حفص وبالهامش قراءة ابن كثير المكي من طريق الشاطبية.

٤. مصحف رواية حفص وبالهامش قراءة ابن عامر من طريق الشاطبية.

٥. مصحف رواية حفص وبالهامش رواية الدوري من طريق الشاطبية.

٦. مصحف رواية حفص وبالهامش رواية السوسي من طريق الشاطبية.

٧. مصحف رواية حفص وبالهامش قراءة يعقوب من طريق الدرة

٨. مصحف رواية حفص وبالهامش قراءة أبي جعفر من طريق الدرة.

٩. مصحف رواية حفص وبالهامش قراءة خلف من طريق الدرة.

١٠. مصحف رواية شعبة بن عياش وبالهامش رواية حفص لقراءة عاصم الكوفي من طريق الشاطبية.

١١. مصحف رواية قالون من قراءة نافع المدني من طريق الشاطبية.

١٢. مصحف رواية البزي وبالهامش قنبل لقراءة ابن كثير المكي من طريق الشاطبية.

١٣. مصحف رواية هشام وبالهامش رواية ابن ذكوان لقراءة ابن عامر من طريق الشاطبية.

١٤. مصحف رواية الدوري وبالهامش السوسي من قراءة أبي عمرو البصري من طريق الشاطبية.

١٥. مصحف رواية خلف وبالهامش خلاد من قراءة حمزة الزيات من طريق الشاطبية.

١٦. مصحف الليث بن خالد وبالهامش رواية الدوري من قراءة الكسائي من طريق الشاطبية.

١٧. مصحف رواية ابن جماز وبالهامش ابن وردان قراءة أبي جعفر من طريق الدرة.

١٨. مصحف رواية روح وبالهامش رويس لقراءة يعقوب من طريق الدرة.

١٩. مصحف خلف العاشر بروايتي إسحاق وإدريس من طريق الدرة.

٢٠. مصحف ورش عن نافع من طريق الأصبهاني.

٢١. مصحف ورش عن نافع من طريق الأزرق.

وكل المصاحف السابقة مجازة من وزارة الأوقاف ومطبوعة متداولة بين يدي العلماء وطلبة العلم وتدرس في سائر أرجاء الدنيا قد أقر الله عينه بها بفضل من الله ومنة. ومشروعه العظيم «مصاحف القراءات وأصولها» هو أول من قام به وحدثنا شيخنا توفيق عن شيخه مسند العصر العلامة بكر الطرابيشي أنه قال له: إن عملك هذا –مصاحف القراءات وأصولها– تعجز عنه دول.

وقد التقينا فضيلة الدكتور المقرئ محمد موسى نصر في بيته بحضرة شيخنا الدكتور توفيق وبعض طلبة العلم فقال فيه كلاما طيبا وقال: أنت أحق الناس بالترشح لجائزة الملك فيصل رحمه الله ولو كان الأمر لي لكنت أول المرشحين لك لنيل تلك الجائزة.

وقال الشيخ العلامة أبو حلمي محمود العريدي الفلسطيني في زيارته للشيخ وكنا نقرا عليه رواية ورش من طريق الأصبهاني فقال في مشروع مصاحف القراءات وأصولها: إن هذا العمل العظيم لم يعمل منذ زمن الخليفة الراشد عثمان بن عفان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُوان أفضل من خدم كتاب الله تعالى في هذا القرن فضيلة الشيخ توفيق حفظه الله تعالى أقول وثناء العلماء عليه كثير وكبير ويكفيه تقديم علماء كبار وحفاظ عظام لكتب أصول القراءات التي كتبها وثنائهم عليه.

وحضرني الساعة ما كان في زيارة لنا مع الشيخ توفيق إلى منزل العلامة محمد إبراهيم شقرة الذي أثنى على الشيخ وعمله وقال إنني لم أقبل إلا يد العلامة المحدث محمد ناصر الدين الألباني والشيخ أبو حلمي الذي علمني القران ويد الشيخ توفيق التي سأقبلها الآن وتمنع الشيخ إلا انه أصر لحسن خلقه وكبير مقامه على تقبل يد الشيخ.

شيوخه:

تلقى العلم على عدد من السادة العلماء منهم في العلوم الشرعية:

د. محمد الرعود، د. يوسف غيظان، د. محمود توفيق العواطلي، د. سعدي جبر، د. جمعة براج، د. محمد خطاب، د. صلاح الخالدي، د. يحيى كوكش وغيرهم كثير.

تلقى علوم التجويد على عدد من العلماء منهم الشيخ زيدان بن محمود سلامة، والدكتور محمد موسى نصر.

ودرس القراءات على مجموعة من السادة العلماء منهم الدكتور محمد الصانع، والشيخ أبو حلمي محمود محمد العريدي الفلسطيني، وأجازه الشيخ بكري الطرابيشي بالعشر الصغرى وهو صاحب أعلى إسناد بالقراءات السبع، وكذلك الشيخ مصباح ودن وهو صاحب أعلى إسناد بالقراءات العشر الصغرى، والشيخ الدكتور علي النحاس بالعشر من التيسير والتحبير، والشيخ محمد عبد الحميد الإسكندري بالعشر الكبرى وهو صاحب أعلى إسناد بالقراءات العشر الكبرى.

وأجازه عدد من المحدثين والفقهاء في كتب العلوم المختلفة منهم الشيخ العلامة المسند محمد زهير الشاويش، والشيخ العلامة حسين بن أحمد عسيران، والعلامة أبو الفيض محمد ياسين بن محمد عيسى الفاداني، والدكتور يحيى عبد الرزاق الغوثاني والشيخ العلامة عبد الرحمن بن شيخ بن علوي الحبشي والشيخ المعمر يوسف بن محمود عمر العتوم، والشيخ العلامة عبد الرحمن بن عبد الحي الكتاني المغربي، والشيخ المحدث المفسر عبد الكبير بن محي الدين العمري والشيخ العلامة المحدث ظهير الدين الرحماني المباركفوري، وغيرهم من العلماءفي بلاد الحرمين والسند والهند.

تلاميذه: تخرج على يديه أعداد كبيرة من طلبة العلم والعلماء عربا وعجما منهم الذين درسوا التجويد كاملاً في دورات وزارة الأوقاف، ونجحوا في الاختبارات، وحصلوا على الإجازة في التلاوة والتجويد، معظمهم يدرس في دور القرآن الكريم المنتشرة في محافظات الأردن المختلفة.

ومعظم وقته مع طلابه من غير الدول العربية الذين تعلموا التجويد والقراءات العشر وعادوا إلى بلادهم ففتحوا مراكز تعلم القرآن والتجويد والقراءات ومعظمهم يدرس في الجامعات والمعاهد والمدارس في بلادهم وكثير منهم من أئمة المساجد المبرزين، قد ازدحم عليهم طلاب العلم ينهلون من علومهم في شتى الفنون التي تحملوها عن شيخنا.

وكتب

إسلام بن عيسى الحسامي العبادي

** **

(١) فضل القرآن وتَعَلُّمِه وتَعْلِيمِه الناس

عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ**» رواه البخاري.

أي: يا معشر القراء أو يا أيها الأمة، أي: أفضلكم كما في رواية (خ) (من تعلم القرآن)، أي حق تعلمه (وعلمه)، أي تعليمه والحاصل أنه إذا كان خير الكلام كلام الله فكذلك خير الناس بعد النبيين من يتعلم القرآن ويعلمه، لكن لا بد من تقييد التعلم والتعليم بالإخلاص. «مرقاة المفاتيح» (٤/١٤٥٢).

قال الحافظ ابن كثير في «فضائل القران» (ص٢٠٦): هذه صفات المؤمنين المتبعين للرسل، وهم الكُمَّلُ في أنفسهم المُكَمِّلِينَ لغيرهم، وذلك جمع بين النفع القاصر والمتعدى، وهذا بخلاف صفة الكفار الجبارين الذين لا ينفعون ولا يتركون أحدًا ممن أمكنهم أن ينتفع، كما قال تعالى: ﴿**الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ**﴾ (النحل: ٨٨)، وكما قال تعالى: ﴿**وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ**﴾ (الأنعام: ٢٦)، في أصحِّ قولي المفسرين في هذا: هو أنهم ينهون الناس عن إتباع القرآن، مع نأيهم وبعدهم عنه أيضًا، فجمعوا بين التكذيب والصدِّ، كما قال تعالى: ﴿**فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا**﴾ (الأنعام: ١٥٧) فهذا شأن شرار الكفار، كما أن شأن الأخيار الأبرار أن يتكمَّل في نفسه، وأن يسعى في تكْمِيلِ غيره، كما قال -عليه السلام: «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ» وكما قال تعالى: ﴿**وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ**﴾ (فصلت: ٣٣)، فجمع بين الدعوة إلى الله، سواء كان بالأذان أو بغيره من أنواع الدعوة إلى الله تعالى؛ من تعليم القرآن والحديث والفقه، وغير ذلك مما يبتغى به وجه الله، وعمل هو في نفسه صالحًا، وقال قولاً صالحًا أيضًا، فلا أحد أحسن حالاً من هذا، وقد كان أبو عبد الرحمن عبد الله بن حبيب السلمي الكوفي أحد أئمة الإسلام ومشايخهم ممن رَغَّبَ في هذا المقام، فقعد يعلِّمُ الناس من إمارة عثمان إلى أيام الحجاج.

قالوا: وكان مقدار ذلك الذي مكث يعلم فيه القرآن سبعين سنة رحمه الله وأثابه، وآتاه ما طلبه ورامه، آمين.

قال الإمام ابن القيم في«مفتاح دار السعادة» (١/ ٧٤): تعلم القرآن وتعليمه يتناول تعلم حروفه وتعليمها وتعلم معانيه وتعليمها وهو اشرف قسمي علمه وتعليمه فإن المعنى هو المقصود واللفظ وسيلة إليه فتعلم المعنى وتعليمه تعلم الغاية وتعليمها وتعلم اللفظ المجرد وتعليمه تعلم الوسائل وتعليمها وبينهما كما بين الغايات والوسائل.

قال محمد بن الحسين في «أخلاق القران» (ص ١١١): ينبغي لمن علمه الله كتابه، فأحب أن يجلس في المسجد، يقرئ القرآن لله، يغتنم قول النبي صلى الله عليه وسلم: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه» فينبغي له أن يستعمل من الأخلاق الشريفة ما يدل على فضله وصدقه، وهو أن يتواضع في نفسه إذا جلس في مجلسه، ولا يتعاظم في نفسه، ويتواضع لمن يلقنه القرآن، ويقبل عليه إقبالا جميلا وينبغي له أن يستعمل مع كل إنسان يلقنه ما يصلح لمثله، إذا كان يتلقن عليه الصغير والكبير والحدث، والغني والفقير، فينبغي له أن يوفي كل ذي حق حقه، ويعتقد الإنصاف إن كان يريد الله بتلقينه القرآن: فلا ينبغي له أن يقرب الغني ويبعد الفقير، ولا ينبغي له أن يرفق بالغني ويخذق بالفقير، فإن فعل هذا فقد جار في فعله، فحكمه أن يعدل بينهما، ثم ينبغي له أن يحذر على نفسه التواضع للغني والتكبر على الفقير، بل يكون متواضعا للفقير، مقربا لمجلسه متعطفا عليه، يتحبب إلى الله بذلك.

وقال(ص ١١٣): ويتناول فيه ما أدب الله به نبيه ﷺ حيث أمره أن يقرب الفقير ﴿وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾ (الكهف: ٢٨) إذا كان قوم أرادوا الدنيا، فأحبوا من النبي ﷺ أن يدني منهم مجلسهم، وأن يرفعهم على من سواهم من الفقراء، فأجابهم النبي ﷺ إلى ما سألوا، لا لأنه أراد الدنيا، ولكنه تألفهم على الإسلام فأرشد الله نبيه على أشرف الأخلاق عنده، فأمره أن يقرب الفقراء وينبسط إليهم، ويصبر عليهم، وأن يباعد الأغنياء الذين يميلون إلى الدنيا، ففعل ﷺ، وهذا أصل يحتاج إليه جميع من جلس يعلم القرآن والعلم، ويتأدب به، ويلزم نفسه، ذلك إن كان يريد الله بذلك وأنا أذكر ما فيه ليكون الناظر في كتابنا هذا فقيها بما يتقرب به إلى الله عز وجل، يقرئ لله، ويقضي ثوابه من الله لا من المخلوقين.

قال الإمام القرطبي في «التذكار» (ص١٠٢): قال العلماء: تعليم القران أفضل الأعمال لأن فيه إعانة على الدين فهو كتلقين الكافر الشهادة ليسلم. اهـ

قلت: وليحذر المدرس من فتنة الشهوات وخصوصا فتنة النساء والميل إليهن والشغف بتدريسهن وإقامة العلاقات الخاصة وهو سلوك أحد سبل الشيطان المخيفة والمغلفة بالحيل الشرعية وكذلك هن وكذلك فتنة المردان والشغف بهم وتزكيتهم على كثير ممن أتقن وأجاد القراءة والدرس واصطحابهم والخلوة بهم وتقديمهم في المجالس ولا يستطيع بعض من علا قدره إلا اصطحابهم والشغف بهم و التعلق بأشخاصهم الموحشة وكله من ضعف الإيمان وتزين الشيطان ومن هوى النفس وعيبها وصحبة المردان مما حذر منه السلف انظر للاستفادة كتاب «ذم الهوى» لابن الجوزي و «الجواب الكافي» و«إغاثة اللهفان» لابن القيم و«الفتاوى الكبرى» لابن تيمية.

** **

(٢) فضل من علم أخاه آية من القرآن

عَن أبي مَالك الْأَشْجَعِيّ عَن أَبِيه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**مَنْ عَلَّمَ آيَةً مِنْ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ كَانَ لَهُ ثَوَابُهَا مَا تُلِيَتْ**».

قال الإمام الألباني في «الصحيحة» (رقم١٣٣٥): أخرجه أبو سهل القطان في «حديثه عن شيوخه» (٤ / ٢٤٣ / ٢) حدثنا محمد بن الجهم حدثنا يزيد بن هارون أنبأنا أبو مالك الأشجعي عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: فذكره. قلت: وهذا إسناد جيد عزيز. انتهى

العلم الشرعي هو علم الكتاب والسنة

قال ابن القيم في«الفوائد» (ص ١٠٥):حكى الحاكم في ترجمة أبي عبد الله البخاري قال: كان أصحاب رسول الله إذا اجتمعوا إنما يتذاكرون كتاب ربهم وسنة نبيهم ليس بينهم رأي ولا قياس ولقد أحسن القائل:

العلم قال الله قال رسوله ... قال الصحابة ليس بالتمويه

ما العلم نصبك للخلاف سفاهة ... بين الرسول وبين رأي فقيه

كلا ولا جحد الصفات ونفيها ... حذرا من التمثيل والتشبيه

قال العلامة عبد الله بن عبد العزيز بن باز: العلم قال الله قال رسوله، هذا هو العلم الشرعي، هو العلم بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، وما يعين على ذلك.

فالواجب على أهل العلم، أن يتمسكوا بهذا الأساس العظيم، وأن يدعوا الناس إليه، وأن يوجهوا طلابهم إليه، وأن يكون الهدف دائما العلم بما قال الله، وقال رسوله، والعمل بذلك، وتوجيه الناس وإرشادهم إلى ذلك. اهـ «مجموع الفتاوى« (٢/ ٣١٠)

حكم طلب العلم الشرعي:

قال الإمام ابن تيمية في« مجموع الفتاوى« (٢٨/ ٨٠):طلب العلم الشرعي فرض على الكفاية إلا فيما يتعين؛ مثل طلب كل واحد علم ما أمره الله به وما نهاه عنه؛ فإن هذا فرض على الأعيان كما أخرجاه في الصحيحين عن النبي ﷺأنه قال: «من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين» وكل من أراد الله به خيرا لا بد أن يفقهه في الدين فمن لم يفقهه في الدين لم يرد الله به خيرا

والدين: ما بعث الله به رسوله؛ وهو ما يجب على المرء التصديق به والعمل به وعلى كل أحد أن يصدق محمدا ﷺ فيما أخبر به ويطيعه فيما أمر تصديقا عاما وطاعة عامة ثم إذا ثبت عنه خبر كان عليه أن يصدق به مفصلا وإذا كان مأمورا من جهة بأمر معين كان عليه أن يطيعه طاعة مفصلة.

الترغيب في تعلم الكتاب الكريم والسنة النبوية وتعليمهما وبيان أجرهما:

ذكر سبحانه فضله ومنته على أنبيائه ورسله وأوليائه وعباده بما آتاهم من العلم فذكر نعمته على خاتم أنبيائه ورسله بقوله ﴿**وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً**﴾ (النساء: ١١٣). عدد سبحانه نعمه وفضله على رسوله وجعل من أجلها ان آتاه الكتاب والحكمة وعلمه ما لم يكن يعلم وقال تعالى: ﴿**لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ**﴾ (آل عمران: ١٦٤) وقال تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ**﴾ (الجمعة: ٢) ذكر عباده المؤمنين بهذه النعمة وأمرهم بشكرها وأن يذكروه على إسدائها اليهم فقال تعالى: ﴿**كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ**﴾ (البقرة: ١٥١-١٥٢) أمر نبيه أن يسأله مزيد العلم فقال تعالى ﴿**وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً**﴾ (طه: ١١٤) وكفى بهذا شرفا للعلم أن أمر نبيه أن يسأله المزيد منه. اهـ «مفتاح دار السعادة» (١/ ٥٠- ٥٢).

وقال: فليس بعد القرآن وأخبرنا وحدثنا إلا شبهات المتكلمين، وآراء المنحرفين، وخيالات المتصوفين، وقياس المتفلسفين، ومن فارق الدليل، ضل عن سواء السبيل، ولا دليل إلى الله والجنة، سوى الكتاب والسنة. وكل طريق لم يصحبها دليل القرآن والسنة فهي من طرق الجحيم، والشيطان الرجيم، والعلم ما قام عليه الدليل، والنافع منه: ما جاء به الرسول. «مدارج السالكين» (٢/ ٤٣٦).

قال ﷺ: «من علم علما فله أجر من عمل به لا ينقص من أجر العامل شيء» رواه ابن ماجه. وقال: «فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم إن الله عز وجل وملائكته وأهل السموات والأرض حتى النملة في جحرها وحتى الحوت ليصلون على معلم الناس الخير» رواه الترمذي.

قال ابن القيم: وبالجملة فالرحمة والإحسان التي خلق بهما ولهما الحيوان وكتب لهما حظهما منه إنما يعرف بالعلم فالعالم معرف لذلك فاستحق أن تستغفر له البهائم والله أعلم.

وقال: «من غدا إلى المسجد لا يريد إلا أن يتعلم خيرا أو يعلمه كان له كأجر حاج تاما حجته» رواه الطبراني وقال: «من جاء مسجدي هذا لم يأته إلا لخير يتعلمه أو يعلمه فهو بمنزلة المجاهدين في سبيل الله ومن جاء بغير ذلك فهو بمنزلة الرجل ينظر إلى متاع غيره» رواه ابن ماجه. وقال: «من طلب العلم ليباهي به العلماء ويماري به السفهاء أو ليصرف وجوه الناس إليه فهو في النار» رواه ابن ماجه وقال: «إن مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته علما علمه ونشره وولدا صالحا تركه ومصحفا ورثه أو مسجدا بناه أو بيتا لابن السبيل بناه أو نهرا أجراه أو صدقة أخرجها من ماله في صحته وحياته يلحقه من بعد موته» رواه ابن ماجة وغيره. وقال: «خير ما يخلف الرجل من بعده ثلاث ولد صالح يدعو له وصدقة تجري يبلغه أجرها وعلم يعمل به من بعده» رواه ابن ماجه. وقال: «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من اتبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا» رواه مسلم وغيره. وعن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في قوله تعالى: ﴿**قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً**﴾ (التحريم: ٦) قال: علموا أهليكم الخير. رواه الحاكم صحيح موقوفا.

قال في «مفتاح دار السعادة» (١/ ٧٠): عن الربيع بن انس قال قال رسول الله ﷺ: «من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع» قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب رواه بعضهم فلم يرفعه وإنما جعل طلب العلم من سبيل الله لان به قوام الإسلام كما أن قوامه بالجهاد فقوام الدين بالعلم والجهاد ولهذا كان الجهاد نوعين جهاد باليد والسنان وهذا المشارك فيه كثير والثاني الجهاد بالحجة والبيان وهذا جهاد الخاصة من أتباع الرسل وهو جهاد الأئمة

وهو أفضل الجهادين لعظم منفعته وشدة مؤنته وكثرة أعدائه قال تعالى في سورة الفرقان وهي مكية ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا فلا تطع الكافرين وجاهدهم به جهادا كبيرا فهذا جهاد لهم بالقرآن وهو أكبر الجهادين وهو جهاد المنافقين أيضا فإن المنافقين لم يكونوا يقاتلون المسلمين بل كانوامعهم في الظاهر وربما كانوا يقاتلون عدوهم معهم ومع هذا فقد قال تعالى يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومعلوم أن جهاد المنافقين بالحجة والقرآن والمقصود أن سبيل الله هي الجهاد وطلب العلم ودعوة الخلق به إلى الله ولهذا قال معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عليكم بطلب العلم فإن تعلمه لله خشية ومدارسته عبادة ومذاكرته تسبيح والبحث عنه جهاد ولهذا قرن سبحانه بين الكتاب المنزل والحديد الناصر كما قال تعالى لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب إن الله قوي عزيز فذكر الكتاب والحديد إذ بهما قوام الدين كما قيل:

فما هو إلا الوحي أوحد مرهف... تميل ظباه اخدعا كل ما يل

فهذا شفاء الداء من كل عاقل... وهذا دواء الداء من كل جاهل

ولما كان كل من الجهاد بالسيف والحجة يسمى سبيل الله فسر الصحابة رضي الله عنهم قوله:﴿**أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ**﴾ (النساء: ٥٩) منكم بالأمراء والعلماء فإنهم المجاهدون في سبيل الله هؤلاء بأيديهم وهؤلاء بألسنتهم فطلب العلم وتعليمه من أعظم سبيل الله عز وجل قال كعب الأحبار طالب العلم كالغادي الرايح في سبيل الله عز وجل وجاء عن بعض الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ إذا جاء الموت طالب العلم وهو على هذه الحال مات وهو شهيد. وقال سفيان بن عيينة من طلب العلم فقد بايع الله عز وجل. وقال أبو الدر داء من رأى الغدو والرواح إلى العلم ليس بجهاد فقد نقص في عقله ورأيه.

** **

(٣) فضل من تعلم ما تيسر من القرآن

عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ قَالَ: خَرَجَ إِلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَنَحْنُ فِي الصُّفَّةِ فَقَالَ: «**أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ يَغْدُوَ كُلَّ يَوْمٍ إِلَى بَطْحَانَ أَوْ الْعَقِيقِ فَيَأْتِيَ مِنْهُ بِنَاقَتَيْنِ كَوْمَاوَيْنِ فِي غَيْرِ إِثْمٍ وَلَا قَطِيعَةِ رَحِمٍ؟**»، قُلْنَا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، كُلُّنَا نُحِبُّ ذَلِكَ، قَالَ: «**أَفَلَا يَغْدُو أَحَدُكُمْ إِلَى الْمَسْجِدِ فَيَعْلَمُ أَوْ يَقْرَأُ آيَتَيْنِ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ خَيْرٌ مِنْ نَاقَتَيْنِ، وَثَلَاثٌ خَيْرٌ لَهُ مِنْ ثَلَاثٍ، وَأَرْبَعٌ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَرْبَعٍ، وَمِنْ أَعْدَادِهِنَّ مِنَ الْإِبِلِ**» رواه مسلم وغيره.

في «مختصر النهاية»: أهل الصفة فقراء المهاجرين كانوا يأوون إلى موضع مظلل في المسجد (فقال: أيكم يحب أن يغدو)، أي يذهب في الغدوة وهي أول النهار أو ينطلق (كل يوم إلى بطحان) اسم واد بالمدينة سمي بذلك لسعته وانبساطه من البطح وهو البسط (أو العقيق) قيل: أراد العقيق الأصغر وهو على ثلاثة أميال أو ميلين من المدينة، وخصهما بالذكر لأنهما أقرب المواضع التي يقام فيها أسواق الإبل إلى المدينة، والظاهر أن أو للتنويع، لكن في جامع الأصول: أو قال إلى العقيق فدل على أنه شك من الراوي (فيأتي بناقتين كوماوين) تثنية كوماء قلبت الهمزة واوا وأصل الكوم العلو، أي فيحصل ناقتين عظيمتي السنام وهي من خيار مال العرب وناقة كوماء مشرفة السنام عاليته (في غير إثم) كسرقة وغصب (ولا قطع رحم)، أي في غير ما يوجبه وهو تخصيص بعد تعميم وفي للسببية (فقلنا: يا رسول الله كلنا نحب ذلك) بالنون، وفي جامع الأصول: كلنا يحب ذلك بالياء، وهذا لا ينافي اختيارهم فقرهم فإنهم أرادوا الدنيا للدين لا للطين وليصرفوا على الفقراء والمساكين وليتجهزوا ويجهزوا جيش المسلمين فأراد ﷺ أن يرقيهم عن هذا المقام فإنه ناقص بالنسبة إلى الأولياء العظام (أفلا يغدو) أي إذا كنتم كذلك أفلا يغدو (أحدكم إلى المسجد فيعلم أو يقرأ) وعلى التنويع قوله (آيتين من كتاب الله خير) خبر مبتدأ محذوف، أي هما أو الغدو خير (له من ناقتين وثلاث)، أي من الآيات (خير له من ثلاث)، أي من الإبل (وأربع خير له من أربع ومن أعدادهن) جمع عدد (من الإبل) بيان للأعداد، قيل: من أعدادهن متعلق بمحذوف تقديره: وأكثر من أربع آيات خير من أعدادهن من الإبل فخمس آيات خير من خمس إبل، وعلى هذا القياس، وقيل: يحتمل أن يراد أن آيتين خير من ناقتين ومن

أعدادهما من الإبل، وثلاثا خير من ثلاث ومن أعدادهن من الإبل، وكذا أربع، والحاصل أن الآيات تفضل على أعدادهن من النوق ومن أعدادهن من الإبل كذا ذكره الطيبي والحاصل أنه ﷺ أراد ترغيبهم في الباقيات وتزهيدهم عن الفانيات فذكره هذا على سبيل التمثيل والتقريب إلى فهم العليل وإلا فجميع الدنيا أحقر من أن يقابل بمعرفة آية من كتاب الله تعالى أو بثوابها من الدرجات العلى.

وفيه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ إِذَا رَجَعَ إِلَى أَهْلِهِ أَنْ يَجِدَ فِيهِ ثَلَاثَ خَلِفَاتٍ عِظَامٍ سِمَانٍ؟» قُلْنَا: نَعَمْ، قَالَ: «فَثَلَاثُ آيَاتٍ يَقْرَؤُهُنَّ أَحَدُكُمْ فِي صَلَاتِهِ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ ثَلَاثِ خَلِفَاتٍ سِمَانٍ عِظَامٍ» قال ابن حجر: أي في أهله يعني في محلهم (ثلاث خلفات)، أي جمع خلفة بفتح فكسر من خلفت الناقة، أي حملت يعني حاملات (عظام) في الكمية والماهية (سمان) في الكيفية والحالية (قلنا: نعم)، أي بمقتضى الطبيعة أو على وفق الشريعة ليكون للآخرة ذريعة (قال) ؛ أي فإذا قلتم ذلك وغفلتم عما هو أولى (فثلاث آيات)، أي فاعلموا أن قراءة ثلاث آيات خير من ثلاث خلفات، وقال ابن حجر: فإذا كنتم تحبون ذلك فثلاث آيات (يقرأ بهن أحدكم في صلاته) بيان للأكمل وتقييد للأفضل (خير له من ثلاث خلفات عظام سمان) قال الطيبي: التنكير للتعظيم والتفخيم وفي الأول للشيوع في الأجناس فلذلك لم يعرف الثاني. «المرقاة» (٤/١٤٥٣-١٤٥٤).

قال ابن القيم في بدائع الفوائد (١/١٩٤): فما أشدها من حسرة وأعظمها من غبنة على من أفنى أوقاته في طلب العلم ثم يخرج من الدنيا وما فهم حقائق القرآن ولا باشر قلبه أسراره ومعانيه فالله المستعان.

وقال شيخ الاسلام ابن تيمية: قد فتح الله علي في هذه المرة -لما حبس في آخر عمره- من معاني القران، ومن أصول العلم بأشياء كان كثير من العلماء يتمنونها، وندمت على تضيع أكثر أوقاتي في غير معاني القران. «سيرة شيخ الاسلام وحكاياته مع ابناء زمانه» (ص ٣٧) لإسلام العبادي.

** **

(٤) فضل من يقرأ حرفا من القرآن

عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا لَا أَقُولُ: آلم حَرْفٌ، أَلْفٌ حَرْفٌ وَلَامٌ حَرْفٌ وَمِيمٌ حَرْفٌ»

أخرجه الترمذي وغيره، انظر تخريج«المشكاة» (٢١٣٧).

قال ﷺ: «اقرءوا القرآن، فإنكم تؤجرون عليه أما إني لا أقول: (ألم) حرف ولكن ألف عشر ولام عشر وميم عشر، فتلك ثلاثون». أخرجه لخطيب في « التاريخ» (١/ ٢٨٥) انظر «الصحيحة» (٦٦٠)

قوله: (من قرأ حرفاً) المراد بالحرف حرف البناء المعبر عنه بحرف الهجاء (من كتاب الله) أي القرآن (فله به) أي بسبب ذلك الحرف أو بدله (حسنة والحسنة بعشر أمثالها) أي مضاعفة بالعشر وهو أقل التضاعف الموعود بقوله تعالى: ﴿**مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا**﴾ (الأنعام: ١٦١) ﴿**وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاء**﴾ (البقرة: ٢٦١) والحرف يطلق على حرف الهجاء والمعاني والجملة المفيدة والكلمة المختلف في قراءتها وعلى مطلق الكلمة، ولذا قال رسول الله ﷺ (لا أقول الم حرف ألف حرف ولام حرف وميم حرف) قال الشوكاني: والحديث فيه التصريح بأن قاري القرآن له بكل حرف منه حسنة، والحسنة بعشر أمثالها. ولما كان الحرف فيه يطلق على الكلمة المتركبة من حرف أوضح النبي ﷺ، إن المراد هنا الحرف البسيط المنفرد لا الكلمة، وهذا أجر عظيم وثواب كبير ولله الحمد. اهـ «مرعاة المفاتيح» (٧/ ٢١٢).

قال العلامة عبد الكريم الخضير:قال تعالى ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً**﴾ ماذا يرجون؟ ﴿**يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ**﴾(٢٩: سورة فاطر) يرجون تجارة لا يسطو عليها لص ولا سارق، ولا يخاف عليها من كساد، إنما هي رابحة لن تبور ﴿**لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ**﴾ (سورة فاطر: ٣٠) تجارة رابحة -أيها الإخوان- لو حسبنا القرآن الكريم الذي جاء الترغيب في قراءته، وأن لكل حرفٍ عشر حسنات، يقول الرسول عليه الصلاة والسلام: «لا أقول: ألم حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف».

والقرآن على الخلاف بين أهل العلم في المراد بالحرف، هل المراد به حرف المبنى، أو حرف المعنى، فالأكثر على أن المراد به حرف المبنى، وذلك اللائق بفضل الله -جل وعلا-، وعلى هذا فالقرآن بالحسابات العادية التجارية، الحرف بعشر حسنات، وهو أكثر من ثلاثمائة ألف حرف، حرف المبنى.

إذاً الختمة الواحدة كفيلة بتحصيل ثلاثة ملايين حسنة، هذا على أقل تقدير، والله يضاعف لمن يشاء، إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، حتى جاء في المسند أن الله -جل وعلا- يضاعف لبعض عباده الحسنة إلى ألفي ألف حسنة، مليوني حسنة، والحديث فيه مقال، لا يسلم من ضعف؛ لكن فضل الله لا يحد.

وعلى القول الثاني: وهو أن المراد بالحرف حرف المعنى، يكون عدد حروف القرآن حروف المعاني، يعني كلمات القرآن، تزيد على سبعين ألف يعني الربع، على هذا تكون الختمة الواحدة فيها سبعمائة ألف حرف، شيخ الإسلام ابن تيمية يرجح القول الثاني؛ لكن ثقتنا بفضل الله -جل وعلا- أعظم من ثقتنا بعلم شيخ الإسلام -رحمه الله-، فالمرجح أن المراد بالحرف حرف المبنى، وهذا هو اللائق بفضل الله -جل وعلا- وكرمه، فإذا قلنا: ﴿**يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ**﴾ (سورة فاطر:٢٩) أقل ما يقال في الختمة الواحدة: ثلاثة ملايين حسنة.

آية القراء :

قال القرطبي في التذكار (ص ٢): لما كان القران الذي هو كلام ربنا، ومعجزة نبينا، ومنبع العلوم، ومعدن المعارف والفهوم، كان على العاقل العالم المؤمن المسلم الدين الموحد قراءته ودراسته، وتفهمه وتلاوته، وعلى قدر قراءته وتلاوته وتفهمه يكون عمله وإيمانه وإسلامه وتوحيده وفضله كله، وإذا كان ذلك كذلك كان قراءة القران أفضل الأعمال، وأسنى المقامات والأحوال وأشرف الأذكار والأقوال.

قال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ**﴾ (فاطر: ٣٠) قال في تفسيره (١٤/٣٤٥): هذه آية القراء العاملين العالمين الذين يقيمون الصلاة الفرض والنفل،

وكذا في الإنفاق. قال الألباني: وهو- مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ ..- نص عام يشمل القراءة في الصلاة وخارجها، وشموله لها من باب أولى، فليس من المعقول إذن أن تتسنى للمصلي فرصة ينال فيها هذا الفضل العظيم، ثم يضيعها، ويشغل باله بالتفكير بأمور لا تليق بالصلاة وجلالها. «أصل صفة صلاة» (٣/٣٦٩٩).

صفة قراءة النبي ﷺ في صلاة الليل:

قال الطيبي: لا شك أن قراءة القرآن في كل وقت لها مزايا وفضائل، وأعلاها أن يكون في الصلاة لاسيما في الليل قال تعالى: ﴿**إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا**﴾ (المزمل: ٦).

قال الألباني: أما القراءة في صلاة الليل في قيام رمضان أو غيره،فلم يَحُدَّ فيها النبي ﷺحداً لا يتعداه بزيادة أو نقص،بل كانت قراءته ﷺ فيها تختلف قصراً وطولاً،فكان تارة يقرأ في كل ركعة قدر ﴿**يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ**﴾ وهي عشرون آية، وتارة قدر خمسين آية، وكان يقول: «من قام بعشر آيات لم يكتب من الغافلين ومن قام بمائة آية كتب من القانتين ومن قرأ بألف آية كتب من المقنطرين». «الصحيحة» (٦٤٢). و «من قرأ في ليلة مائة آية لم يكتب من الغافلين، أو كتب من القانتين». «الصحيحة» (٦٤٣). و«من قرأ بمائة آية في ليلة كتب له قنوت ليلة» «الصحيحة» (٦٤٤). وفي حديث آخر: «.. بمئتي آية فإنه يكتب من القانتين المخلصين». وقرأ ﷺ في ليلة وهو مريض السبع الطوال، وهي سورة (البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، والأنعام، والأعراف، والتوبة) وفي قصة صلاة حذيفة بن اليمان وراء النبي عليه الصلاة والسلام أنه ﷺ قرأ في ركعة واحدة (البقرة، ثم النساء، ثم آل عمران) وكان يقرؤها مترسلاً متمهلاً.

وما كان ﷺ يصلي الليل كلَّه إلا نادراً؛ فقد راقب عبدُ الله بنُ خبّاب بن الأرَتِّ – وكان قد شهد بدراً مع رسولَ الله ﷺ رسولَ الله ﷺ الليلة كلها.

وفي لفظ: (في ليلة صلاها كلها) حتى كان مع الفجر، فلما سلَّم من صلاته؛ قال له خباب بن الأَرَتِّ: يا رسول الله! بأبي أنت وأمي؛ لقد صليت الليلة صلاة ما رأيتك صليت نحوها؟ فقال: «أجل؛ إنها صلاةُ رَغَبٍ ورَهَب، (وإني) سألت ربي عز وجل ثلاث خصال؛ فأعطاني اثنتين، ومنعني واحدة: سألت ربي أن لا يهلكنا بما أهلك به الأمم قبلنا (وفي لفظ: أن لا يهلك

أمتي بسَنَةٍ) فأعطانيها، وسألت ربي عز وجل أن لا يُظْهِرَ علينا عدواً من غيرنا؛ فأعطانيها، وسألت ربي أن لايُلْبِسَنا شِيَعاً فَمَنَعَنِيْهَا». وقام ليلة، بآية يرددها حتى أصبح وهي: ﴿إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ﴾ (٥: ١١٨) ؛ (بها يركع، وبها يسجد، وبها يدعو)، (فلما أصبح؛ قال له أبو ذر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: يا رسول الله! مازلتَ تقرأ هذه الآية حتى أصبحت؛ تركع بها، وتسجد بها)، (وتدعو بها)، (وقد علَّمَك الله القرآن كله)، (لو فعل هذا بعضُنا؛ لَوَجَدْنَا عليه؟) (قال: «إني سألت ربي عز وجل الشفاعة لأمتي؛ فأعطانيها، وهي نَائِلَةٌ إنشاء الله لمن لا يشرك بالله شيئاً»).وقال له رجل:يا رسول الله! إن لي جاراً يقوم الليل، ولا يقرأ إلا ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ (١١٢: ٤) ؛ (يرددها) (لا يزيد عليها)-كأنه يُقَلِّلُها-؟! فقال النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «والذي نفسي بيده! إنها لتعدل ثلث القرآن» «صفة الصلاة».

من وجوه إعجاز القرآن أن قارئه لا يمله:

قال القاضي عياض في«الشفا» (٢/٢٧٦-٢٧٧): قد عد جماعة من الأئمة ومقلدي الأمة في إعجازه وجوها كثيرة منها أن قارئه لا يمله وسامعه لا يمجه بل الإكباب على تلاوته يزيده حلاوة وترديده يوجب له محبة لا يزال غضا طريا وغيره من الكلام ولو بلغ في الحسن والبلاغة مبلغه يمل مع الترديد ويعادى إذا أعيد وكتابنا يستلذ به في الخلوات ويؤنس بتلاوته في الأزمات وسواء من الكتب لا يوجد فيها ذلك حتى أحدث أصحابها لها لحونا وطرقا يستجلبون بتلك اللحون تنشيطهم على قراءتها.

قراءة القران كنز من الحسنات:

قال محمد بن الحسين في «أخلاق القران» (ص٣٣): أعلم خلقه أن من تلا القرآن وأراد به متاجرة مولاه الكريم، فإنه يربحه الربح الذي لا بعده ربح، ويعرفه بركة المتاجرة في الدنيا والآخرة. قلت: للوقوف على ناتج ضرب مجموع عدد كلمات القران بعشر (٧٧٤٣٧ x ١٠ =٧٧٤٣٧٠) سبعمئة وأربع وسبعون ألف وثلثمئة وسبعون حسنة.

وكذلك نتيجة حاصل ضرب عدد حروف القران بعشر (٣٢٣٦٧١ x ١٠ = ٣٢٣٦٧١٠) ثلاثة ملايين ومائتان وستة وثلاثون ألف وسبعمائة وعشر.

(٥) في أجر من يتعلم ولده القرآن

«يَجِيءُ الْقُرْآنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَالرَّجُلِ الشَّاحِبِ، يَقُولُ لِصَاحِبِهِ: هَلْ تَعْرِفُنِي؟ أَنَا الَّذِي كُنْتُ أُسْهِرُ لَيْلَكَ، وَأُظْمِئُ هَوَاجِرَكَ، وَإِنَّ كُلَّ تَاجِرٍ مِنْ وَرَاءِ تِجَارَتِهِ، وَأَنَا لَكَ الْيَوْمَ مِنْ وَرَاءِ كُلِّ تَاجِرٍ، فَيُعْطَى الْمُلْكَ بِيَمِينِهِ، وَالْخُلْدَ بِشِمَالِهِ، وَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ تَاجُ الْوَقَارِ، وَيُكْسَى وَالِدَاهُ حُلَّتَانِ، لَا يَقُومُ لَهُمَا الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، فَيَقُولَانِ: يَا رَبُّ، أَنَّى لَنَا هَذَا؟ فَيُقَالُ لَهُمَا: بِتَعْلِيمِ وَلَدِكُمَا الْقُرْآنَ، وَإِنَّ صَاحِبَ الْقُرْآنِ يُقَالُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: اقْرَأْ، وَارْقَ فِي الدَّرَجَاتِ، وَرَتِّلْ كَمَا كُنْتَ تُرَتِّلُ فِي الدُّنْيَا، فَإِنَّ مَنْزِلَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ مَعَكَ». أخرجه الطبراني في «الأوسط عن أبي هريرة مرفوعاً به، انظر «السلسلة الصحيحة» (٢٨٢٩)

قوله: (كالرجل الشاحب) قال السيوطي: هو المتغير اللون والجسم لعارض من العوارض كمرض أو سفر ونحوهما وكأنه يجيء على هذه الهيئة ليكون أشبه بصاحبه في الدنيا، أو للتنبيه له على أنه كما تغير لونه في الدنيا لأجل القيام بالقرآن كذلك القرآن لأجله في السعي يوم القيامة، حتى ينال صاحبه الغاية القصوى في الآخرة، (فيقول) أي لصاحبه.

تعليم الصبيان القرآن:

قال الإمام البخاري: (باب تعليم الصبيان القرآن) لأنه أدعى إلى ثبوته ورسوخه عندهم كما قيل التعليم في الصغر كالنقش في الحجر، وقال بعضهم مما ذكره ابن الجوزي في تنبيه الغمر بمواسم العمر:

إن الغصون إذا قوّمتها اعتدلت ... ولا يلين إذ قوّمته الخشب
قد ينفع الأدب الأحداث في مهل ... وليس ينفع في ذي الشيبة الأدب

وعند ابن سعد بإسناد صحيح أن ابن عباس قال سلوني عن التفسير فإني حفظت القرآن وأنا صغير.

وفي تهذيب النووي أن سفيان بن عيينة حفظ القرآن وهو ابن أربع سنين وقد جاء كراهية تعليم الصبيان القرآن عن سعيد بن جبير وإبراهيم النخعي من جهة حصول الملال له والحق إن ذلك يختلف باختلاف الأشخاص.

عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ: إِنَّ الَّذِي تَدْعُونَهُ الْمُفَصَّلَ هُوَ الْمُحْكَمُ قَالَ: وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: تُوُفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَنَا ابْنُ عَشْرِ سِنِينَ وَقَدْ قَرَأْتُ الْمُحْكَمَ، (المفصل) الذي كثرت فصوله من السور وهو من الحجرات إلى آخر القرآن على الصحيح من عشرة أقوال (المحكم) الذي ليس بمنسوخ. اهـ «شرح القسطلاني» (٧٤٧/٧) وانظر الفتح(٨٣/٩) وفيه: عن الأشعث بن قيس أنه قدم غلاما صغيرا فعابوا عليه فقال ما قدمته ولكن قدمه القرآن وحجة من أجاز ذلك أنه أدعى إلى ثبوته ورسوخه عنده كما يقال التعلم في الصغر كالنقش في الحجر وكلام سعيد بن جبير يدل على أنه يستحب أن يترك الصبي أولا مرفها ثم يؤخذ بالجد على التدريج والحق أن ذلك يختلف بالأشخاص والله أعلم.

قال في «المتواري علي تراجم أبواب البخاري» (ص٣٩٤): قلت: رضي الله عنك! إنما ذكر قول ابن جبير توطئة لتفسير ابن عباس المحكم بالمفصل، وأنه تعلمه وهو صبى، ولو استشهد بمثل « غطوا أست قارئكم» وكان طفلا لم يلتزم ستر عورته بعد، لكان أقعد بتعليم الصبيان. اهـ

قال ابن الجوزي في «صيد الخاطر» (ص ٢٥٧): فأما تدبير العلم-للأولاد-، فينبغي أن يحمل الصبي من حين يبلغ خمس سنين على التشاغل بالقرآن والفقه وسماع الحديث، ولتحصل له المحفوظات أكثر من المسموعات؛ لأن زمان الحفظ إلى خمس عشرة سنة، فإذا بلغ، تشتت همته، فليضرب تارة، ويرشى أخرى، ليبلغ وقد حصل محفوظات سنيَّةً.

وأول ما ينبغي أن يكلف حفظ القرآن متقنًا؛ فإنه يثبت، ويختلط باللحم والدم، ثم مقدمة من النحو، يعرف بها اللحن، ثم الفقه مذهبًا وخلافًا، وما أمكن بعد هذا من العلوم، فحفظه حسن.

قال محمد بن الحسين في «أخلاق القران» (٣٢-٣٣): أنزل الله عز وجل القرآن على نبيه ﷺ، وأعلمه فضل ما أنزله عليه، وأعلم خلقه في كتابه وعلى لسان رسوله أن القرآن عصمة لمن اعتصم به، وهدى لمن اهتدى به، وغنى لمن استغنى به، وحرز من النار لمن اتبعه، ونور لمن استنار به، وشفاء لما في الصدور، وهدى ورحمة للمؤمنين، ثم أمر الله خلقه أن يؤمنوا به، ويعملوا بمحكمه فيحلوا حلاله، ويحرموا حرامه، ويؤمنوا بمتشابهه، ويعتبروا بأمثاله ويقولوا ﴿آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾ (آل عمران: ٧) ثم وعدهم على تلاوته والعمل به النجاة من النار، والدخول إلى الجنة، ثم ندب خلقه عز وجل إذا هم تلوا كتابه أن يتدبروه، ويتفكروا فيه بقلوبهم، وإذا سمعوه من غيرهم أحسنوا استماعه، ثم وعدهم على ذلك الثواب الجزيل، فله الحمد، ثم أعلم خلقه أن من تلا القرآن وأراد به متاجرة مولاه الكريم، فإنه يربحه الربح الذي لا بعده ربح، ويعرفه بركة المتاجرة في الدنيا والآخرة.

** **

(٦) فضل الاجتماع في المسجد لدرس القرآن

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**مَا جَلَسَ قَوْمٌ فِي مَسْجِدٍ مِنْ مَسَاجِدِ اللَّهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ، وَمَنْ أَبْطَأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ**» رواه مسلم وغيره.

قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿**وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ**﴾ (المجادلة: ١١)، وَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿**وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ**﴾ (النِّسَاء: ١١٣)، وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿**نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ**﴾ (الْأَنْعَام: ٨٣)، قَالَ مَالِكٌ: «بِالْعِلْمِ»، قِيلَ لَهُ: مَنْ حَدَّثَكَ؟ قَالَ: «زَعَمَ ذَلِكَ زَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ»، وَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿**قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ**﴾ (الزمر: ٩).

قال العلامة صديق حسن خان في «السراج الوهاج» (٥٨٩/١١): والمراد بالتلاوة هنا:القراءة، وبالتدارس: التعليم والتعلم، اللّٰهم اجعلنا منهم.

قال ابن رجب الحنبلي في «جامع العلوم والحكم»: هذا يدل على استحباب الجلوس في المساجد لتلاوة القرآن ومدارسته، وهذا إن حمل على تعلم القرآن وتعليمه، فلا خلاف في استحبابه، وفي «صحيح البخاري» عن عثمان، عن النبي ﷺ، قال: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه». وإن حمل على ما هو أعم من ذلك، دخل فيه الاجتماع في المسجد على دراسة القرآن مطلقا واستدل الأكثرون على استحباب الاجتماع لمدارسة القرآن في الجملة بالأحاديث الدالة على استحباب الاجتماع للذكر، والقرآن أفضل أنواع الذكر.

وهذه الخصال الأربع لكل مجتمعين على ذكر الله تعالى، كما في «صحيح مسلم» عن أبي هريرة وأبي سعيد، كلاهما عن النبي ﷺ، قال: «إن لأهل ذكر الله تعالى أربعا: تنزل عليهم السكينة، وتغشاهم الرحمة، وتحف بهم الملائكة، ويذكرهم الرب فيمن عنده». وقد قال الله تعالى: ﴿**فاذكروني أذكركم**﴾ (البقرة: ١٥٢) وذكر الله لعبده: هو ثناؤه عليه في الملأ الأعلى بين ملائكته ومباهاته به وتنويهه بذكره. اهـ مختصرا.

قال الأمير الصنعاني في «التنوير شرح الجامع الصغير» (٩/٣٢٧): وفيه فضيلة الاجتماع في بيوت الله لتلاوة كتابه وأنه أفضل من تلاوة الإنسان وحده وأفضل من تلاوة الجماعة في البيوت، والظاهر اختصاص المسجد بذلك من غير إلحاق محل آخر به لأن للمساجد خصوصية لا توجد في غيرها. اهـ

قال شيخ الإسلام: تعليم القرآن في المسجد لا بأس به، إذا لم يكن فيه ضرر على المسجد وأهله، بل يستحب تعليم القرآن في المساجد. (٥/٣٣٣-٣٤٤) الفتاوى الكبرى.

قالت: «اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء» من الفتوى رقم (١٦٣٤٣): قراءة القرآن جماعة بصوت واحد فهذا غير مشروع، أما على سبيل المدارسة والتعلم فهو مستحب، وكان النبي ﷺ يعرض القرآن على جبريل كل سنة في رمضان مرة واحدة، وفي السنة الأخيرة عرضه مرتين.

وصح عن النبي ﷺ أنه قال: «ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده». وقال: «إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعوله. اهـ

قراءة القرآن جماعة لها أربع صور:

الصورة الأولى: أن يقرأ واحد والباقون يستمعون له، فهذه الصورة مستحبة لا تكره بغير خلاف، لما في الصحيحين من حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال النبي ﷺ: «اقرأ علي» قلت: أقرأ عليك وعليك أنزل؟! قال: «فإني أحب أن أسمعه من غيري» فقرأت عليه سورة النساء حتى بلغت فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً، قال: «أمسك» فإذا عيناه تذرفان. قال ابن تيمية رحمه الله في «الفتاوى» (٥/٣٤٥): وأما قراءة واحد والباقون يستمعون له فلا يكره بغير خلاف وهي مستحبة، وهي التي كان الصحابة يفعلونها كأبي موسى وغيره.

الصور الثانية: أن يقرأ قارئ ثم يقطع ثم يعيد غيره ما قرأ الأول لأجل مدارسة القرآن، فهذه الصورة مستحبة باتفاق الفقهاء لأن جبريل كان يدارس النبي ﷺ برمضان يعرض كل منهما على الآخر.

قال الحافظ في الفتح: يعرض عليه رسول الله ﷺ القرآن، هذا عكس ما وقع في الترجمة لأن فيها أن جبريل كان يعرض على النبي ﷺ، وفي هذا أن النبي ﷺ كان يعرض على جبريل وتقدم في بدء الوحي، وكان يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن، فيحمل على أن كلا منهما كان يعرض على الآخر. وقال في مطالب أولي النهى ١/٥٩٨: وأما لو أعاد ما قرأه الأول وهكذا فلا يكره؛ لأن جبريل كان يدارس النبي ﷺ القرآن برمضان وهذا ما قرره البهوتي رحمه الله في كشاف القناع انظر ١/٤٣٣. وقال الخرشي في شرحه على مختصر خليل ١/٣٥٣: كما لا نكره المدارسة بالمعنى الذي كان يدارس به جبريل النبي ﷺ برمضان من قراءته وإعادة النبي ﷺ. اهـ

الصورة الثالثة: أن يقرأ قارئ ثم يقطع ثم يقرأ غيره بما بعد قراءته، فذهب جمهور أهل العلم إلى أن ذلك حسن لا يكره، وذهب الحنابلة إلى كراهة تلك الصورة، قال ابن مفلح في الفروع ١/٥٥٤: وكره أصحابنا قراءة الإدارة، وقال حرب: حسنة، وحكاه شيخنا -أي ابن تيمية رحمه الله- عن أكثر العلماء.

والراجح في هذه الصورة أنها لا تكره، لقول النبي ﷺ: ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله تعالى يتلون كتاب الله، ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده. رواه مسلم وأبو داود من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

وإذا اتفق الحنابلة مع الجمهور على استحباب الصورة الأولى فلا وجه للكراهة هنا .. إذ لا فرق بين أن يعيد القارئ ما قرأ الأول أو أن يقرأ من حيث ما وقف الأول.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في الفتاوى الكبرى ٥/٣٤٥: وقراءة الإدارة حسنة عند أكثر العلماء.

وقال الإمام النووي في التبيان: فصل في الإدارة بالقرآن وهو أن يجتمع جماعة يقرأ بعضهم عشراً أو جزءاً أو غير ذلك ثم يسكت ويقرأ الآخر من حيث انتهى الأول، ثم يقرأ الآخر وهكذا، وهذا جائز حسن وقد سئل مالك رحمه الله عنه فقال: لا بأس به. اهـ

الصورة الرابعة: أن يقرأ الكل مجتمعين بصوت واحد. فمذهب الحنابلة والشافعية استحباب ذلك وهو القول الثاني عند الأحناف، قال البهوتي رحمه الله في شرح منتهى الإرادات ٢٥٦/١: ولا تكره قراءة جماعة بصوت واحد.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتاوى الكبرى ٣٤٥/٥: وقراءة الإدارة حسنة عند أكثر العلماء ومن قراءة الإدارة قراءتهم مجتمعين بصوت واحد، وللمالكية قولان في كراهتها. اهـ

وقال محمد بن محمد الخادمي في بريقه محمودية: وكره أن يقرأ القرآن جماعة لأن فيه ترك الاستماع والإنصات المأمور بها، وقيل لا بأس به ولا بأس باجتماعهم على قراءة الإخلاص جهراً عند ختم القرآن، والأولى أن يقرأ واحد ويستمع الباقون. انظر ٢٧٠/٣.

القول الثاني: كراهة قراءة الجماعة معاً بصوت واحد لتضمنها ترك الاستماع والإنصات، وللزوم تخليط بعضهم على بعض، وهو المعتمد عند الحنفية والمالكية. قال صاحب غنية المتملي: يكره للقوم أن يقرءوا القرآن جملة لتضمنها ترك الاستماع والإنصات وقيل: لا بأس به. وقد أثبت المالكية القول بالكراهة في كتبهم وشنعوا على القائلين بالجواز بلا كراهة، وقد عقد ابن الحاج رحمه الله فصلاً في المدخل ٩٤/١ وما بعدها رد فيه على الإمام النووي رحمه الله، وما نقله من أدلة وآثار عن السلف فليراجع.

وقال الطرطوشي في الحوادث والبدع: لم يختلف قوله -يعني الإمام مالكاً- أنهم إذا قرؤوا جماعة في سورة واحدة أنه مكروه، ونقل عن مالك كراهة القراءة بالإدارة وقوله: وهذا لم يكن من عمل الناس.

وقال أبو الوليد ابن رشد: إنما كرهه مالك للمجاراة في حفظه والمباهاة والتقدم فيه.اهـ

ولهذا ينبغي ترك هذه الصورة الأخيرة، فإن الخير في اتباع من سلف، وحذراً من المجاراة والمباهاة واختلاط الأصوات وترك الإنصات. والله أعلم. مركز الفتوى إسلام ويب رقم الفتوى: (٢٧٩٣٣).

الالتحاق بدور تعليم القران في المساجد يحصل به مصالح وتندرئ به مفاسد:

قال العلامة العثيمين: وإنني لأحث إخواني الذين منَّ الله تعالى عليهم بالأولاد، أن يشجعوا أولادهم على الالتحاق بهذه الجماعات، وأن يتعاهدوهم حال التحاقهم، ويستعينوا على ذلك بالاتصال بالمسؤولين في هذه الجماعات للمتابعة، فإن تلاوة كتاب الله من أسباب الصلاح، وصلاح الولد خير للوالد في دنياه وبعد مماته كما قال النبي ﷺ، ولا شك أن الالتحاق بهذه الجماعات -أعني جماعات تحفيظ القرآن- يحصل به مصالح وتندرئ به مفاسد.

ويحصل به حفظ القرآن الكريم ومحبته والميل إليه، ويحصل به ربط الدارس ببيوت الله عز وجل المساجد، ويحصل به استغلال الوقت بهذا الهدف النبيل، ويحصل به من حسن رعاية الطالب ما يثاب عليه أبوه أو غيره من ولاة أمره، ويحصل به ثواب المجتمعين على تلاوة كتاب الله تعالى في بيت من بيوته فـ «ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده».

وكما تحصل به هذه المصالح فإنه تندرئ به مفاسد.

يندرئ به ضياع الوقت الذي هو أشد ضررًا من ضياع المال، فإن المال له ما يخلفه والوقت لا يخلفه شيء فإن كل وقت مضى لا يرجع كما قيل: أمس الدابر لا يعود. تندرس به مفسدة الفراغ مفسدة بل مفاسد كما قيل: إن الشباب والفراغ والجده مفسدة للمرء أي مفسده فمن مفاسد الفراغ أن الشباب ينشأ على حياة ضياع لا جدية فيها، ومن مفاسد الفراغ أنه قد يكون سببًا للتخريب، ومن مفاسد الفراغ أنه يفضي إلى التسكع في الأسواق والتجول الذي ربما فضي إلى فاسد الأخلاق، ومن مفاسد الفراغ البدني أنه يفضي إلى الفراغ الذهني فيتبلد الذهن ويكون الشاب سطحيًّا ليس عنده تفكير عميق ولا ذهن حاد.

وإني لأحث إخواني الذين منَّ الله عليهم بالمال أن يجودوا بشيء مما منَّ الله به عليهم، فإن بذل المال في هذه الجماعات من أفضل الأعمال لمشاركة الباذل العامل فيها في الأجر كما جاء نحو ذلك فيمن جهَّز غازيًا، قال النبي ﷺ: «من جهز غازيًا في سبيل الله فقد غزا» (ق). كما أحث سائر إخواني المسلمين على تشجيع هذه الجماعات بكافة أنواع التشجيع المعنوي والمادي، عملا بقول الله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾ (المائدة: ٢). وأسأل الله تعالى أن يجعلنا جميعًا ممن حقق ذلك بمقاله وفعاله، وأن يهب لنا منه رحمة إنه هو الوهاب، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه والذين اتبعوهم بإحسان مدى الأوقات. اهـ «كتاب العلم» (ص٢٠٥-٢٠٦).

** **

(٧) ترتيله ﷺ القرآن

كان ﷺ -كما أمره الله تعالى - يرتل القرآن ترتيلاً؛ لا هَذّاً، ولاعَجَلَةً؛ بل قراءة مفسرة؛ «**حرفاً حرفاً**»[1].

حرفاً حرفاً: أي: كلمة كلمة. يعني: مرتلة محققة مبينة. كما في « شرح الشمائل».

حتى « **كان يرتل السورة؛ حتى تكون أطولَ مِنْ أطولَ منها**».

أي: حتى تصير السورة القصيرة كـ: (الأَنْفَال) مثلاً -لاشتمالها على الترتيل- أطول من طويلة خلت عنه كـ: (الأَعْرَاف).

وفيه ندب ترتيل القراءة في الصلاة، وهو إجماع. كذا في « شرح الشمائل» للمناوي.

وقد اختلف العلماء في أيهما الأفضل: الترتيل وقلة القراءة، أو: السرعة مع كثرة القراءة؟ على قولين؛ فذهب إلى الأول: ابن مسعود، وابن عباس، واختاره ابن سيرين.

وذهب إلى الآخر: الشافعية، واحتجوا بقوله ﷺ: «من قرأ حرفاً من كتاب الله؛ فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها...». الحديث. وقد مضى في (القراءة) من التعليق.

وجمع بين القولين ابن القيم في «الزاد» (١/١٢٥)، وتبعه الحافظ في «الفتح» (٩/٧٣)؛ فقالا -واللفظ للحافظ-:

«والتحقيق: أن لكل من الإسراع والترتيل جهةَ فَضْلٍ؛ بشرط أن يكون المسرع لايخلُّ بشيء من الحروف والحركات والسكون الواجبات؛ فلا يمتنع أن يفضُل أحدهما الآخر، وأن يستويا؛ فإن من رَتَّلَ وتأمل؛ كمن تصدق بجوهرة واحدة مُثَمَّنَةٍ، ومن أسرع؛ كمن تصدق بعدة جواهر، لكن قيمتها قيمة الواحدة، وقد تكون قيمة الواحدة أكثرَ من قيمة الأُخريات، وقد يكون بالعكس. اهـ «أصل صفة صلاة النبي ﷺ» (٢/٥٦٢) للالباني.

مراتب قراءة القرآن الكريم:

---

(١) هو من حديث أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وقد سبق تخريجه، وذكرنا ألفاظه، والاختلاف الواقع في سنده ولفظه في (القراءة آيةً آيةً).

مراتب القراءة أربعة وهي: الترتيل، والتحقيق، والحدر، والتدوير.

المرتبة الأولى: الترتيل: وهو القراءة بتدبر واطمئنان مع الالتزام بأحكام التلاوة ومخارج الحروف.

المرتبة الثانية: التحقيق: وهو كالترتيل إلا أنه أكثر منه اطمئنانًا، ومرتبة التحقيق يُؤخَذ بها في مقام التعليم.

المرتبة الثالثة: الحدر: وهو الإسراع في القراءة مع الالتزام بأحكام التلاوة.

المرتبة الرابعة: التدوير: وهو مرتبة متوسطة بين الترتيل والحدر.

وأفضل هذه المراتب الترتيل لقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾ (الفرقان: ٣٢) وقوله تعالى: ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾ (المزمل: ٤).

وأليقها في مجال التعليم التحقيق، وأسرعها التدوير، وهو المعمول به في مجال الحفظ والتحفيظ، وأنسبها للحافظ المتمكن الحدر، فهو أبقى للمحافظة على كتاب الله تعالى في الصدور، وإتقان الأحكام. والغاية من مراعاة القراءة الحقة هو صون اللسان عن الخطأ واللحن عند قراءة القرآن الكريم. «الوافي في كيفية ترتيل القرآن الكريم» (ص٩٣) للحفيان. و«كيف تقرأ القرآن الكريم» (ص٩١) للمختار المقروش، وانظر«شرح طيبة النشر في القراءات» (ص٣٣-٣٤) لابن الجزري.

قال الإمام ابن الجزري في «النشر في القراءات العشر» (١/ ٢١٠-٢١٣)، ولا شك أن الأمة كما هم متعبدون بفهم معاني القرآن وإقامة حدوده متعبدون بتصحيح ألفاظه وإقامة حروفه على الصفة المتلقاة من أئمة القراءة المتصلة بالحضرة النبوية الأفصحية العربية التي لا تجوز مخالفتها ولا العدول عنها إلى غيرها، والناس في ذلك بين محسن مأجور، ومسيء آثم، أو معذور، فمن قدر على تصحيح كلام الله تعالى باللفظ الصحيح العربي الفصيح، وعدل إلى اللفظ الفاسد العجمي، أو النبطي القبيح، استغناء بنفسه، واستبدادا برأيه وحدسه واتكالا على ما ألف من حفظه، واستكبارا عن الرجوع إلى عالم يوقفه على صحيح لفظه، فإنه مقصر بلا شك، وآثم

بلا ريب، وغاش بلا مرية، فقد قال رسول الله ﷺ: الدين النصيحة: لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم.

أما من كان لا يطاوعه لسانه، أو لا يجد من يهديه إلى الصواب بيانه، فإن الله لا يكلف نفسا إلا وسعها، ولهذا أجمع من نعلمه من العلماء على أنه لا تصح صلاة قارئ خلف أمي، وهو من لا يحسن القراءة واختلفوا في صلاة من يبدل حرفا بغيره سواء تجانسا أم تقاربا، وأصح القولين عدم الصحة كمن قرأ: الحمد بالعين، أو الدين بالتاء، أو المغضوب بالخاء أو بالظاء؛ ولذلك عد العلماء القراءة بغير تجويد لحنا وعدوا القارئ بها لحانا ؛ وقسموا اللحن إلى جلي وخفي، واختلفوا في حده وتعريفه، والصحيح أن اللحن فيهما خلل يطرأ على الألفاظ فيخل، إلا أن الجلي يخل إخلالا ظاهرا يشترك في معرفته علماء القراءة وغيرهم، وأن الخفي يخل إخلالا يختص بمعرفته علماء القراءة وأئمة الأداء الذين تلقوا من أقوال العلماء وضبطوا عن ألفاظ أهل الأداء؛ الذين ترتضى تلاوتهم، ويوثق بعربيتهم، ولم يخرجوا عن القواعد الصحيحة، والنصوص الصريحة، فأعطوا كل حرف حقه؛ ونزلوه منزلته وأوصلوه مستحقه، من التجويد والإتقان، والترتيل والإحسان.

قال الشيخ الإمام أبو عبد الله نصر بن علي بن محمد الشيرازي في كتابه «الموضح في وجوه القراءات في فصل التجويد» منه بعد ذكره الترتيل والحدر ولزوم التجويد فيها قال: فإن حسن الأداء فرض في القراءة، ويجب على القارئ أن يتلو القرآن حق تلاوته صيانة للقرآن عن أن يجد اللحن والتغيير إليه سبيلا على أن العلماء قد اختلفوا في وجوب حسن الأداء في القرآن فبعضهم ذهب إلى أن ذلك مقصور على ما يلزم المكلف قراءته في المفترضات، فإن تجويد اللفظ وتقويم الحروف وحسن الأداء واجب فيه فحسب، وذهب الآخرون إلى أن ذلك واجب على كل من قرأ شيئا من القرآن كيفما كان ؛ لأنه لا رخصة في تغيير اللفظ بالقرآن وتعويجه واتخاذ اللحن سبيلا إليه إلا عند الضرورة قال الله تعالى قرءانا عربيا غير ذي عوج، انتهى. وهذا الخلاف على الوجه الذي ذكره غريب، والمذهب الثاني هو الصحيح، بل الصواب على ما قدمناه، وكذا ذكره الإمام الحجة أبو الفضل الرازي في تجويده وصوب ما صوبناه والله أعلم.

فالتجويد هو حلية التلاوة، وزينة القراءة، وهو إعطاء الحروف حقوقها وترتيبها مراتبها، ورد الحرف إلى مخرجه وأصله، وإلحاقه بنظيره وتصحيح لفظه وتلطيف النطق به على حال صيغته، وكمال هيئته من غير إسراف ولا تعسف ولا إفراط ولا تكلف، وإلى ذلك أشار النبي ﷺ بقوله: «من أحب أن يقرأ القرآن غضا كما أنزل فليقرأ قراءة ابن أم عبد»، يعني عبد الله بن مسعود، وكان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قد أعطي حظا عظيما في تجويد القرآن وتحقيقه وترتيله كما أنزله الله تعالى، وناهيك برجل أحب النبي ﷺ أن يسمع القرآن منه ولما قرأ أبكى رسول الله ﷺ كما ثبت في الصحيحين، وروينا بسند صحيح عن أبي عثمان النهدي قال: صلى بنا ابن مسعود المغرب بـ «قل هو الله أحد»، ووالله لوددت أنه قرأ بسورة البقرة من حسن صوته وترتيله.

قلت: وهذه سنة الله -تبارك وتعالى-، فمن يقرأ القرآن مجودا مصححا كما أنزل تلتذ الأسماع بتلاوته، وتخشع القلوب عند قراءته، حتى يكاد أن يسلب العقول ويأخذ الألباب، سر من أسرار الله تعالى يودعه من يشاء من خلقه، ولقد أدركنا من شيوخنا من لم يكن له حسن صوت ولا معرفة بالألحان إلا أنه كان جيد الأداء قيما باللفظ، فكان إذا قرأ أطرب المسامع، وأخذ من القلوب بالمجامع، وكان الخلق يزدحمون عليه، ويجتمعون على الاستماع إليه، أمم من الخواص والعوام، يشترك في ذلك من يعرف العربي ومن لا يعرفه من سائر الأنام مع تركهم جماعات من ذوي الأصوات الحسان، عارفين بالمقامات والألحان لخروجهم عن التجويد والإتقان-إلى أن قال- ولا أعلم سببا لبلوغ نهاية الإتقان والتجويد، ووصول غاية التصحيح والتشديد، مثل رياضة الألسن، والتكرار على اللفظ المتلقى من فم المحسن، وأنت ترى تجويد حروف الكتابة كيف يبلغ الكاتب بالرياضة وتوقيف الأستاذ، ولله در الحافظ أبي عمرو الداني -رحمه الله- حيث يقول: ليس بين التجويد وتركه إلا رياضة لمن تدبره بفكه، فلقد صدق وبصر، وأوجز في القول وما قصر، فليس التجويد بتمضيغ اللسان، ولا بتقعير الفم، ولا بتعويج الفك، ولا بترعيد الصوت، ولا بتمطيط الشد، ولا بتقطيع المد، ولا بتطنين الغنات، ولا بحصرمة الراءات، قراءة تنفر عنها الطباع، وتمجها القلوب والأسماع، بل القراءة السهلة العذبة الحلوة

اللطيفة، التي لا مضغ فيها ولا لوك، ولا تعسف ولا تكلف، ولا تصنع ولا تنطع، لا تخرج عن طباع العرب وكلام الفصحاء بوجه من وجوه القراءات والأداء.

** **

(٨) كيف كانت قراءته ﷺ للقرآن

«كان يمد قراءته (عند حروف المد)؛ فيمد ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ ويمد **﴿الرَّحْمَٰنِ﴾** ويمد **﴿الرَّحِيمِ﴾**، و **﴿نَضِيدٌ﴾** (٥٠: ٤٥) وأمثالها».

كان يمد قراءته: قال السندي: أي: يطيل الحروف الصالحة للإطالة؛ يستعين بها على التدبر، والتفكر، وتذكير من يتذكر.

ويمد **﴿الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾** أي: يمد الألف بعد الميم، والياء بعد الحاء.

ولا يخفى أن المد في كل من الاسمين الشريفين - وَصْلاً - لا يُزَادُ على قدر (ألف)، وهو المسمى بـ: المد الأصلي والذاتي والطبيعي، ووقفاً متوسطاً أيضاً، فيمد قدر أَلِفَين، أو يطول قدر ثلاث لا غير، وهو المسمى بـ: المد العارض، وعلى هذا القياسُ. وتفصيلُ أنواع المد محله كتب القراءة. وأما ما ابتدعه قراء زماننا - حتى أئمة صلاتنا - أنهم يزيدون على المد الطبيعي إلى أن يصل قدر أَلِفَيْنِ وأكثر ربما يقصرون المد الواجب! فلا مد الله في عمرهم، ولا أمد في أمرهم. كذا في « شرح الشمائل « للشيخ علي القاري.

كان ﷺ -كما أمره الله تعالى- يرتل القرآن ترتيلاً؛ لا هَذّاً، ولا عَجَلَةً؛ بل قراءة مفسرة؛ «حرفاً حرفاً» حتى «كان يرتل السورة؛ حتى تكون أطول من أطولَ منها». وكان يقف على رؤوس الآي يقرأ (الفَاتِحَة)، ويُقطعها آية آية: **﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾** (ثم يقف، ثم يقول): **﴿الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ﴾**، (ثم يقف، ثم يقول): **﴿الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾**، (ثم يقف، ثم يقول:) **﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾**، وهكذا إلى آخر السورة. وكذلك كانت قراءته كلها؛ يقف على رؤوس الآي، ولا يَصِلُها بما بعدها. كان يقطع قراءته آية آية. وهذا مطلق غير مقيد بـ: (الفَاتِحَة)، وإنما تلتها على سبيل المثال؛ لا على طريق التحديد. قال في «الزاد» (١/١٢٥): وهذا هو الأفضل: الوقوف على رؤوس الآيات؛ وإن تعلقت بما بعدها. وذهب بعض القراء إلى تتبع الأغراض، والمقاصد، والوقوف عند انتهائها. واتباع هدي النبي ﷺ وسنته أولى؛ وممن ذكر ذلك البيهقي في «شعب الإيمان» وغيره، ورجح الوقوف على رؤوس الآي؛ وإن تعلقت بما بعدها.

وقال الشيخ علي القاري: أجمع القراء على أن الوقف على الفواصل وقف حسن؛ ولو تعلقت بها بعدها. اهـ

قلت: وهذه سنة أعرض عنها جمهور القراء فضلا عن غيرهم.

الترجيع:

و«كان أحياناً يُرَجِّعُ صوته؛ كما فعل يوم الفتح وهو على ناقته، يقرأ سورة ﴿الفَتْحِ﴾ (٤٨ : ٤٩) (قراءة لينة)». وقد حكى عبد الله بن مغفل ترجيعه هكذا: (آآآ).

يُرَجِّعُ مِن: التَّرْجِيْع. قال الحافظ: هو تقارب ضروب الحركات في القراءة، وأصله: الترديد. وترجيع الصوت: ترديده في الحلق. اهـ.

وقال المناوي: وذلك ينشأ غالباً عن أَرْيَحِيَّةٍ وانبساط، والمصطفى ﷺ حصل له من ذلك حظ وافر يوم الفتح.

وهو من حديث عبد الله بن مُغَفَّل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رواه عنه معاوية بن قُرَّة قال: سمعت عبد الله بن مغفل قال: رأيت رسول الله ﷺ يوم فتح مكة على ناقته وهو يقرأ سورة (الفَتْحِ)؛ يُرَجِّعُ.

وقال (معاوية): لولا أن يجتمع الناس حولي؛ لرَجَّعْتُ كما رَجَّعَ. (ق).

قال الحافظ: وقد ثبت الترجيع في غير هذا الموضع؛ فأخرج الترمذي في «الشمائل» والنسائي، وابن ماجه، وابن أبي داود -واللفظ له- من حديث أم هانئ: كنت أسمع صوت النبي ﷺ وهو يقرأ، وأنا نائمة على فراشي؛ يُرَجِّعُ القرآن».

قلت: وهكذا أخرجه الطحاوي (٢٠٣/١) من طريق قيس بن الربيع عن هلال بن خَبَّاب عن يحيى بن جعدة عنها. وسنده حسن. قال الحافظ في شرح قوله: (آ آ آ): «بهمزة مفتوحة، بعدها ألف ساكنة، ثم همزة أخرى». ثم ذكر (٤٤٢/١٣) نحوه عن القرطبي. ونقل القاري مثله عينه ميرك شاه، ثم قال: «والأظهر أنها ثلاث ألفات ممدودات». ثم قال الحافظ: ثم قالوا: يحتمل أمرين؛ أحدهما: أن ذلك حدث من هَزِّ الناقة.

والآخر: أنه أشبع المد في موضعه؛ فحدث ذلك.

وهذا الثاني أشبه بالسياق؛ فإنَّ في بعض طرقه: لولا أن يجتمع الناس؛ لقرأت لكم بذلك اللحن. أي: النغم.

قال القرطبي: وقوله هذا يشير إلى أن القراءة بالترجيع تجمع نفوس الناس إلى الإصغاء، وتستميلها بذلك، حتى لا تكاد تصبر عن استماع الترجيع المَشُوْبِ بلذة الحكمة المهِيمة.

ثم قال الحافظ:« والذي يظهر أن في الترجيع قدراً زائداً على الترتيل؛ فعند ابن أبي داود من طريق أبي إسحاق عن علقمة قال:بتُّ مع عبد الله بن مسعود في داره، فنام، ثم قام، فكان يقرأ قراءة الرجل في مسجد حَيِّه؛ لا يرفع صوته، ويُسْمعُ من حوله، ويرتل ولا يرجِّع.

وقال الشيخ أبو محمدابن أبي جمرة: معنى الترجيع: تحسين التلاوة ... لا ترجيع الغناء؛ لأن القراءة بترجيع الغناء تنافي الخشوع الذي هو مقصود التلاوة.

قال الشيخ القاري (٢/١٤٢-١٤٣): ومن تأمل أحوال السلف؛ علم أنهم بريئون من التصنع في القراءة بالألحان المخترعة، دون التطريب، والتحسين الطبيعي؛ فالحق أن ما كان منه طبيعة وسجيَّة؛ كان محموداً -وإنْ أعانته طبيعته على زيادة تحسين وتزيين-؛ لِتأثُّرِ التالي والسامع به، وأما ما فيه تكلف وتصنع بتعلم أصوات الغناء وألحان مخصوصة؛ فهذه هي التي كرهها السلف والأتقياء من الخلف. «أصل صفة الصلاة» (٢/٥٦٥-٥٦٩) مختصرا. للالباني.

** **

(٩) من أحب أن يسمع القرآن من غيره

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**اقْرَأْ**» قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَقْرَأُ عَلَيْكَ وَعَلَيْكَ أُنْزِلَ، قَالَ: «**نَعَمْ**»، فَقَرَأْتُ سُورَةَ النِّسَاءِ حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿**فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا**﴾ (النساء: ٤١) قَالَ: «**حَسْبُكَ الْآنَ**» فَالْتَفَتُّ إِلَيْهِ فَإِذَا عَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ. متفق عليه.

وعنه، قَالَ: قَالَ لِي النَّبِيُّ ﷺ: «**اقْرَأْ عَلَيَّ**» قُلْتُ: آقْرَأُ عَلَيْكَ وَعَلَيْكَ أُنْزِلَ؟ قَالَ: «**فَإِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيْرِي**» فَقَرَأْتُ عَلَيْهِ سُورَةَ النِّسَاءِ، حَتَّى بَلَغْتُ: ﴿**فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا**﴾ (النساء: ٤١) قَالَ: «**أَمْسِكْ**» فَإِذَا عَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ.

(قال لي) دل على الخصوصية (وهو على المنبر: اقرأ علي)، أي حتى أستمع إليك (قلت: أقرأ) أي: أأقرأ (عليك وعليك أنزل) أي القرآن، والجملة حالية يعني جريان الحكمة على لسان الحكيم أحلى، وكلام المحبوب على لسان الحبيب أولى، وهذا طريق السلف أنهم كانوا يقرءون القرآن والحديث، والطلبة يستمعون منهم ويأخذون عنهم بالوجه الحثيث (قال: إني أحب)، أي في بعض الأحوال (أن أسمعه من غيري) جمعا بين الفضيلتين حتى قيل إن الاستماع أفضل، ولكن يحمل على أنه إذا كان للتعليم على الوجه الأكمل، وبهذا أخذ الخلف من القراء والمحدثين حيث يستمعون القرآن والحديث من التلامذة والطالبين، وهذا أقرب إلى الضبط بالنسبة إلى فهم المتأخرين، والأولون حيث كانوا في مرتبة الأعلى فكانوا يدركون بالسماع الحظ الأوفر والنصيب الأعلى، وقول ابن حجر: قال: «اقرأ علي وإن كان أنزل علي فإني أحب» موهم أن الرواية بالفاء، وليس كذلك بل هي بلا فاء على ما في النسخ المصححة (فقرأت سورة النساء حتى أتيت إلى هذه الآية «فكيف»)، أي يصنع هؤلاء الكفرة من اليهود وغيرهم ﴿**إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ**﴾ (النساء: ٤١)، أي أحضرنا منهم شهيدا عليهم بما فعلوا وهو نبيهم ﴿**وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ**﴾ (النساء: ٤١)، أي أمتك، وقال ابن الملك: أي المكذبين (شهيدا، قال: حسبك)، أي كافيك ما

قرأته (الآن)، أي لا تقرأ شيئا آخر فإني مشغول بالتفكير في هذه الآية وجاءني البكاء والحالة المانعة من استماع القرآن (فالتفت)، أي إليه كما في نسخة صحيحة (فإذا عيناه تذرفان) بكسر الراء، أي تدمعان وتسيلان دمعا إما لرحمته على أمته، وإما خوفا من ظهور عظمته -تعالى- وجلالته.

وفي حديث بن مسعود هذا فوائد منها استحباب استماع القراءة والإصغاء لها والبكاء عندها وتدبرها واستحباب طلب القراءة من غيره ليستمع له وهو أبلغ في التفهم والتدبر من قراءته بنفسه وفيه تواضع أهل العلم والفضل ولو مع أتباعهم. اهـ

قال ابن بطال في شرحه (١٠/٢٨١): البكاء عند قراءة القرآن حسن، قد فعله النبي ﷺ وكبار الصحابة، وإنما بكى ﷺ عند هذا لأنه مثل لنفسه أهوال يوم القيامة، وشدة الحال الداعية له إلى شهادته لأمته بتصديقه والإيمان به، وسؤاله الشفاعة لهم ليريحهم من طول الموقف وأهواله، وهذا أمر يحق له طول البكاء والحزن.

وقال ابن الجوزي في«كشف المشكل» (١/٢٩٢): وإنما بكى عليه السلام عند هذه الآية،لأنه لا بد له من الشهادة، والحكم على المشهود عليه إنما يكون بقول الشاهد، فلما كان هو الشاهد، وهو الشافع بكى على المفرطين منهم.

يُسْتَحَبُّ بعد الانتهاء من تلاوة القرآن أن يُقال:

سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ.

الدليل: عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: مَا جَلَسَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَجْلِسًا قَطُّ، وَلاَ تَلاَ قُرْآناً، وَلاَ صَلَّى صَلاَةً إِلاَّ خَتَمَ ذَلِكَ بِكَلِمَاتٍ، قَالَتْ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَرَاكَ مَا تَجْلِسُ مَجْلِساً، وَلاَ تَتْلُو قُرْآنًا، وَلاَ تُصَلِّي صَلاَةً إِلاَّ خَتَمْتَ بِهَؤُلاَءِ الْكَلِمَاتِ ؟ قَالَ: «(نَعَمْ، مَنْ قَالَ خَيْراً خُتِمَ لَهُ طَابَعٌ عَلَى ذَلِكَ الْخَيْرِ، وَمَنْ قَالَ شَرّاً كُنَّ لَهُ كَفَّارَةً: سُبْحَانَكَ) اللَّهُمَّ (وَبِحَمْدِكَ، لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ)». ولقد بَوَّب الإمامُ النسائي على هذا الحديث بقوله:

(ما تُختم به تلاوة القرآن). وإسناده صحيح: أخرجه النسائي في «السنن الكبرى» (١٠٠٦٧/١٢٣/٩)، والطبراني في «الدعاء» (رقم ١٩١٢)، والسمعاني في «أدب الإملاء والاستملاء» (ص٧٥)، وابن ناصر الدين في «خاتمة توضيح المشتبه» (٢٨٢/٩).

وقال الحافظ ابن حجر في «النكت» (٧٣٣/٢): (إسناده صحيح)، وقال الشيخ الألباني في «الصحيحة» (٤٩٥/٧): (هذا إسنادٌ صحيحٌ أيضاً على شرط مسلم)، وقال الشيخ مُقْبِل الوادعي في «الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين» (١٢٨/٢): (هذا حديثٌ صحيحٌ) ملتقى اهل الحديث - سليلة الغرباء.

قال النووي في «التبيان» (ص١٠٣): لا يمنع الكافر من سماع القران لقول الله تعالى ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾ (التوبة: ٦).

سماع القرآن هو سماع النبيين والمؤمنين والعالمين والعارفين:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: السماع الذي شرعه الله تعالى لعباده وكان سلف الأمة من الصحابة والتابعين وتابعيهم يجتمعون عليه لصلاح قلوبهم وزكاة نفوسهم فهو سماع آيات الله تعالى وهو سماع النبيين والمؤمنين وأهل العلم وأهل المعرفة.

قال الله تعالى لما ذكر من ذكره من الأنبياء في قوله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ (مريم: ٥٨) وقال: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ (الأنفال: ٢). وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾ (الإسراء: ١٠٧) ﴿وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا﴾ (الإسراء: ١٠٨) ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ (الإسراء: ١٠٩). وقال تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ﴾ (المائدة: ٨٣). وبهذا السماع أمر الله تعالى كما قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (الأعراف: ٢٠٤) وعلى أهله أثنى كما في قوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ﴾ (الزمر: ١٦) ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾

(الزمر: ١٧). وقال في الآية الأخرى: ﴿**أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ**﴾ (المؤمنون: ٦٨) فالقول الذي أمروا بتدبره هو القول الذي أمروا باستماعه. وقد قال تعالى: ﴿**أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا**﴾ (محمد: ٢٤). وقال تعالى: ﴿**كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ**﴾ (ص: ٢٩).

وكما أثنى على هذا السماع ذم المعرضين عن هذا السماع فقال تعالى: ﴿**وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا**﴾ (لقمان: ٧) وقال تعالى: ﴿**وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ**﴾ (فصلت: ٢٦). وقال تعالى: ﴿**وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا**﴾ (الفرقان:٣٠-٣١) وقال تعالى: ﴿**فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ**﴾ (المدثر: ٤٨-٥١). وقال تعالى: ﴿**وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ**﴾ (فصلت: ٥). وقال تعالى: ﴿**وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا**﴾(الإسراء:٤٥-٤٦).

وهذا هو السماع الذي شرعه الله لعباده في صلاة الفجر والعشاءين وغير ذلك. وعلى هذا السماع كان أصحاب رسول الله ﷺ يجتمعون وكانوا إذا اجتمعوا أمروا واحدا منهم أن يقرأ والباقون يستمعون وكان عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يقول لأبي موسى: يا أبا موسى؛ ذكرنا ربنا فيقرأ وهم يستمعون. وهذا هو السماع الذي كان النبي ﷺ يشهده مع أصحابه ويستدعيه منهم كما في الصحيح عن عبد الله بن مسعود قال: قال النبي ﷺ: «اقرأ علي القرآن» قلت: أقرؤه عليك وعليك أنزل فقال: «إني أحب أن أسمعه من غيري» فقرأت عليه سورة النساء حتى وصلت إلى هذه الآية ﴿**فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا**﴾ (النساء: ٤١) قال: حسبك فنظرت فإذا عيناه تذرفان. وهذا هو الذي كان النبي ﷺ يسمعه هو وأصحابه. كما قال تعالى: ﴿**لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ**﴾ (آل عمران: ١٦٥) و (الحكمة) هي السنة.

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنْذِرِينَ﴾ (النمل: ٩١-٩٢) وكذلك غيره من الرسل قال تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنِ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (الأعراف: ٣٥) وبذلك يحتج عليهم يوم القيامة.

كما قال تعالى: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾ (الأنعام: ١٣٠). وقال تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ (الزمر: ٧١).

وقد أخبر أن المعتصم بهذا السماع مهتد مفلح والمعرض عنه ضال شقي.

قال تعالى: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى﴾ (طه: ١٢٣-١٢٦). وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ (الزخرف: ٣٦). و(ذكر الله) يراد به تارة: ذكر العبد ربه ويراد به الذكر الذي أنزله الله.

كما قال تعالى: ﴿وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ﴾(الأنبياء: ٥٠). وقال نوح: ﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ﴾ (الأعراف: ٦٣) وقال: ﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ (الحجر: ٦). وقال: ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ (الأنبياء: ٢). وقال: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ (الزخرف: ٤٤). وقال: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ (٢٧) لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾ (التكوير: ٢٧-٢٨) وقال: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ﴾ (يس: ٦٩). وهذا (السماع)

له آثار إيمانية من المعارف القدسية والأحوال الزكية يطول شرحها ووصفها وله في الجسد آثار محمودة من خشوع القلب ودموع العين واقشعرار الجلد وهذا مذكور في القرآن.

وهذه الصفات موجودة في الصحابة ووجدت بعدهم آثار ثلاثة: الاضطراب والصراخ والإغماء والموت في التابعين. و (بالجملة) فهذا السماع هو أصل الإيمان؛ فإن الله بعث محمدا ﷺ إلى الخلق أجمعين ليبلغهم رسالات ربهم فمن سمع ما بلغه الرسول فآمن به واتبعه اهتدى وأفلح ومن أعرض عن ذلك ضل وشقي. اهـ مجموع الفتاوى (١١/٥٥٨-٥٦٢)

روعته في السمع وهيبته في القلوب:

قال القاضي عياض في«الشفا» (٢/٢٧٣-٢٧٥): ومن وجوه إعجازه الروعة التي تلحق قلوب سامعيه وأسماعهم عند سماعه والهيبة التي تعتريهم عند تلاوته لقوة حاله وإنامة خطره وهى على المكذبين به أعظم حتى كانوا يستثقلون سماعه ويزيدهم نفورا كما قال تعالى ويودون انقطاعه لكراهتهم له ولهذا قال ﷺإن القرآن صعب مستصعب على من كرهه وهو الحكم وأما المؤمن فلا تزال روعته به وهيبته إياه مع تلاوته توليه انجذابا وتكسبه هشاشة لميل قلبه إليه وتصديقه به قال الله تعالى:﴿**تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ**﴾(الزمر: ٢٣) وقال: ﴿**لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ**﴾ الآية. (الحشر: ٢١) ويدل على أن هذا شيء خص يه أنه يعتري من لا يفهم معانيه ولا يعلم تفاسيره كما روي عن نصرا ني أنه مر بقارئ فوقف يبكي فقيل له مم بكيت قال للشجا والنظم وهذه الروعة قد اعترت جماعة قبل الإسلام وبعده فمنهم من أسلم لها لأول وهلة وآمن به ومنهم من كفر، فحكي في الصحيح عن جبير بن مطعم قال سمعت النبي ﷺ يقرأ في المغرب بالطور فلما بلغ هذه الآية ﴿**أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ**﴾ إلى قوله ﴿**الْمُصَيْطِرُونَ**﴾ (الطور: ٣٥-٣٧) كاد قلبي أن يطير للإسلام، وفي رواية وذلك أول ما وقر الإسلام في قلبي، وعن عتبة بن ربيعة أنه كلم النبي ﷺ فيما جاء به من خلاف قومه فتلا عليهم (حم) فصلت إلى قوله ﴿**صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ**﴾ (: ١-١٣) فأمسك عتبة بيده على في النبي ﷺ وناشده الرحم أن يكف وفي رواية فجعل النبي ﷺ يقرأ وعتبة مصغ ملق يديه خلف ظهره معتمد عليهما حتى انتهى إلى السجدة

فسجد النبي ﷺ وقام عتبة لا يدري بم يراجعه ورجع إلى أهله ولم يخرج إلى قومه حتى أتوه فاعتذر لهم وقال والله لقد كلمتي بكلام والله ما سمعت أذناي بمثله قط فما دريت ما أقول له، وقد حكي عن غير واحد ممن رام معارضته أنه اعترته روعة وهيبة كف بها عن ذلك فحكي أن ابن المقفع طلب ذلك ورامه وشرع فيه فمر بصبي يقرأ ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ﴾ (هود: ٤٤) فرجع فمحى ما عمل وقال أشهد أن هذا لا يعارض وما هو من كلام البشر وكان من أفصح أهل وقته وكان يحيى بن حكم الغزال بليغ الأندلس في زمنه فحكي أنه رام شيئا من هذا فنظر في سورة الإخلاص ليحذو على مثالها وينسج بزعمه على منوالها قال فاعترتني منه خشية ورفة حملتني على التوبة والإنابة.

قال-الإمام ابن الجزري في «النشر» (١/٢١٢-٢١٣): وهذه سنة الله -تبارك وتعالى -، فمن يقرأ القرآن مجودا مصححا كما أنزل تلتذ الأسماع بتلاوته، وتخشع القلوب عند قراءته، حتى يكاد أن يسلب العقول ويأخذ الألباب ؛ سر من أسرار الله تعالى يودعه من يشاء من خلقه، ولقد أدركنا من شيوخنا من لم يكن له حسن صوت ولا معرفة بالألحان إلا أنه كان جيد الأداء قيما باللفظ، فكان إذا قرأ أطرب المسامع، وأخذ من القلوب بالمجامع، وكان الخلق يزدحمون عليه، ويجتمعون على الاستماع إليه، أمم من الخواص والعوام، يشترك في ذلك من يعرف العربي ومن لا يعرفه من سائر الأنام

مع تركهم جماعات من ذوي الأصوات الحسان، عارفين بالمقامات والألحان لخروجهم عن التجويد والإتقان، وأخبرني جماعة من شيوخي وغيرهم أخبارا بلغت التواتر عن شيخهم الإمام تقي الدين محمد بن أحمد الصائغ المصري رحمه الله، وكان أستاذا في التجويد أنه قرأ يوما في صلاة الصبح ﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ﴾ (النمل: ٢٠) وكرر هذه الآية فنزل طائر على رأس الشيخ يسمع قراءته حتى أكملها فنظروا إليه، فإذا هو هدهد، وبلغنا عن الأستاذ الإمام أبي محمد عبد الله بن علي البغدادي المعروف بسبط الخياط مؤلف المبهج وغيره في القراءات رحمه الله أنه كان قد أعطي من ذلك حظا عظيما، وأنه أسلم جماعة من اليهود والنصارى من سماع قراءته، وآخر من علمناه بلغ النهاية في ذلك الشيخ بدر الدين محمد بن أحمد

بن بصخان شيخ الشام، والشيخ إبراهيم بن عبد الله الحكري شيخ الديار المصرية رحمهما الله، وأما اليوم فهذا باب أغلق، وطريق سد، نسأل الله التوفيق، ونعوذ به من قصور الهمم ونفاق سوق الجهل في العرب والعجم.

** **

(١٠) البكاء عند قراءة القرآن

عَنْ عَطَاءٍ قَالَ دَخَلْتُ أَنَا وَعُبَيْدُ بْنُ عُمَيْرٍ عَلَى عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فَقَالَتْ لِعُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ قَدْ آنَ لَكَ أَنْ تَزُورَنَا فقَالَ أَقُولُ يَا أُمَّهْ كَمَا قَالَ الْأَوَّلُ زُرْ غِبًّا تَزْدَدْ حُبًّا قَالَ فَقَالَتْ دَعُونَا مِنْ رَطَانَتِكُمْ هَذِهِ قَالَ بن عُمَيْرٍ أَخْبِرِينَا بِأَعْجَبِ شَيْءٍ رَأَيْتِهِ مِنْ رسول الله ﷺ قال فَسَكَتَتْ ثُمَّ قَالَتْ لَمَّا كَانَ لَيْلَةٌ مِنَ اللَّيَالِي قَالَ «**يَا عَائِشَةُ ذَرِينِي أَتَعَبَّدُ اللَّيْلَةَ لِرَبِّي**» قُلْتُ وَاللَّهِ إِنِّي لَأُحِبُّ قُرْبَكَ وَأُحِبُّ مَا سَرَّكَ قَالَتْ فَقَامَ فَتَطَهَّرَ ثُمَّ قَامَ يُصَلِّي قَالَتْ فَلَمْ يَزَلْ يَبْكِي حَتَّى بَلَّ حِجْرَهُ قَالَتْ ثُمَّ بَكَى فَلَمْ يَزَلْ يَبْكِي حَتَّى بَلَّ لِحْيَتَهُ قَالَتْ ثُمَّ بَكَى فَلَمْ يَزَلْ يَبْكِي حَتَّى بَلَّ الْأَرْضَ فَجَاءَ بِلَالٌ يُؤْذِنُهُ بِالصَّلَاةِ فَلَمَّا رَآهُ يَبْكِي قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ لِمَ تَبْكِي وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ وَمَا تَأَخَّرَ قَالَ «**أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا، لَقَدْ نَزَلَتْ عَلَيَّ اللَّيْلَةَ آيَةٌ وَيْلٌ لِمَنْ قَرَأَهَا وَلَمْ يَتَفَكَّرْ فِيهَا: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾**» الآية كلها (آل عمران: ١٩٠). رواه ابن حبان في صحيحه وغيره انظر «الصحيحة» (٦٨).

عَنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ، قَالَ: قَامَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى إِذَا تَوَرَّمَتْ قَدَمَاهُ، فَقِيلَ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَتَفْعَلُ هَذَا وَقَدْ غُفِرَ لَكَ مَا تَقَدَّمَ وَمَا تَأَخَّرَ؟ قَالَ: «**أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا**». متفق عليه.

قال أبو بكر بن خزيمة: في هذا دلالة على أن الشكر لله عز وجل قد يكون بالعمل له؛ لأن الشكر كله لله، وقد يكون باللسان قال الله ﴿**اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا**﴾ (سبأ: ١٣)، فأمرهم جل وعلا أن يعملوا له شكرا، فالشكر قد يكون بالقول والعمل جميعا، لا على ما يتوهم العامة أن الشكر إنما يكون باللسان فقط. « صحيح ابن خزيمة» (٢/ ٢٠١).

فضل البكاء من خشية الله تعالى:

قال تعالى: ﴿**أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا**﴾ (مريم: ٥٨).

لما ذكر هؤلاء الأنبياء المكرمين، وخواص المرسلين، وذكر فضائلهم ومراتبهم قال: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ﴾ أي: أنعم الله عليهم نعمة لا تلحق، ومنة لا تسبق، من النبوة والرسالة، وهم الذين أمرنا أن ندعو الله أن يهدينا صراط الذين أنعمت عليهم، وأن من أطاع الله، كان ﴿مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ﴾ الآية. وأن بعضهم ﴿مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾ أي: من ذريته ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ﴾ فهذه خير بيوت العالم، اصطفاهم الله، واختارهم، واجتباهم، وكان حالهم عند تلاوة آيات الرحمن عليهم، المتضمنة للإخبار بالغيوب وصفات علام الغيوب، والإخبار باليوم الآخر، والوعد والوعيد.

﴿خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ أي: خضعوا لآيات الله، وخشعوا لها، وأثرت في قلوبهم من الإيمان والرغبة والرهبة، ما أوجب لهم البكاء والإنابة، والسجود لربهم، ولم يكونوا من الذين إذا سمعوا آيات الله خروا عليها صما وعميانا.

وفي إضافة الآيات إلى اسمه ﴿الرَّحْمَنِ﴾ دلالة على أن آياته، من رحمته بعباده وإحسانه إليهم حيث هداهم بها إلى الحق، وبصرهم من العمى، وأنقذهم من الضلالة، وعلمهم من الجهالة. اهـ «تفسير السعدي» (ص٤٩٦).

قال الحافظ ابن كثير في« تفسيره» (٢٤٣/٥):قال سفيان الثوري، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن أبي معمر قال: قرأ عمر بن الخطاب، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، سورة مريم، فسجد وقال: هذا السجود، فأين البكي؟ يريد البكاء.

قال الإمام القرطبي في « تفسيره(٣٦٦/٧): قال تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ (الزمر: ٢٣). أي: تسكن نفوسهم من حيث اليقين إلى الله وإن كانوا يخافون الله. فهذه حالة العارفين بالله، الخائفين من سطوته وعقوبته، لا كما يفعله جهال العوام والمبتدعة الطغام من الزعيق والزئير ومن النهاق الذي يشبه نهاق الحمير.

فيقال لمن تعاطى ذلك وزعم أن ذلك وجد وخشوع: لم تبلغ أن تساوي حال الرسول ولا حال أصحابه في المعرفة بالله، والخوف منه، والتعظيم لجلاله، ومع ذلك فكانت حالهم عند المواعظ الفهم عن الله والبكاء خوفا من الله.

ولذلك وصف الله أحوال أهل المعرفة عند سماع ذكره وتلاوة كتابه فقال: ﴿**وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ**﴾ (المائدة: ٨٣). فهذا وصف حالهم وحكاية مقالهم، ومن لم يكن كذلك فليس على هديهم ولا على طريقتهم، فمن كان مستنا فليستن، ومن تعاطى أحوال المجانين والجنون فهو من أخسهم حالا، والجنون فنون.

روى مسلم عن أنس بن مالك أن الناس سألوا النبي ﷺ حتى أحفوه في المسألة، فخرج ذات يوم فصعد المنبر فقال: «سلوني لا تسألوني عن شي إلا بينته لكم ما دمت في مقامي هذا» فلما سمع ذلك القوم أرموا ورهبوا أن يكون بين (يدي) أمر قد حضر. قال أنس: فجعلت ألتفت يمينا وشمالا فإذا كل إنسان لاف رأسه في ثوبه يبكي. وذكر الحديث.

وروى الترمذي وصححه عن العرباض بن سارية قال: وعظنا رسول الله ﷺ موعظة بليغة ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب. الحديث.

ولم يقل: زعقنا ولا رقصنا ولا زفنا ولا قمنا. اهـ

صفة بكاء النبي ﷺ:

قال الإمام ابن القيم: وأما بكاؤه ﷺ فكان من جنس ضحكه لم يكن بشهيق ورفع صوت، كما لم يكن ضحكه بقهقهة، ولكن كانت تدمع عيناه حتى تهملا، ويسمع لصدره أزيز، وكان بكاؤه تارة رحمة للميت، وتارة خوفا على أمته وشفقة عليها، وتارة من خشية الله، وتارة عند سماع القرآن وهو بكاء اشتياق ومحبة وإجلال مصاحب للخوف والخشية. (وبكى لما قرأ عليه ابن مسعود سورة النساء وانتهى فيها إلى قوله تعالى: ﴿**فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيداً**﴾ (النساء: ٤١)، . اهـ «زاد المعاد» (١/١٧٦-١٧٨) وقد ذكر فيه أنواع البكاء.

قال العلماء (ص ٢٦-٢٧): من فضل القرآن انه كلام رب العالمين غير مخلوق، كلام من ليس كمثله شئ، وصفة من ليس له شبيه ولا ند، ولولا أنه سبحانه جعل في قلوب عباده من القوة على حمله ما جعله يتدبروه وليعتبروه، وليتذكروا ما فيه من طاعته وعبادته وأداء وحقوقه وفرائضه لضعفت ولا اندكت بثقله أو لتضعضعت له وأنى تطيقه وهو يقول تعالى جده وقوله الحق: ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ (الحشر: ٢١) فأين قوة القلوب من قوة الجبال! ولكن الله تعالى رزق عباده من القوة على حمله ما شاء أن يرزقهم فضلا منه ورحمة. اهـ

الترغيب في البكاء من خشية الله تعالى:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لاَ يَلِجُ النَّارَ رَجُلٌ بَكَى مِنْ خَشْيَةِ اللهِ حَتَّى يَعُودَ اللَّبَنُ فِي الضَّرْعِ، وَلاَ يَجْتَمِعُ غُبَارٌ فِي سَبِيلِ اللهِ وَدُخَانُ جَهَنَّمَ». رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح والنسائي والحاكم وقال صحيح الإسناد.

عَنْ مُطَرِّفٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يُصَلِّي وَفِي صَدْرِهِ أَزِيزٌ كَأَزِيزِ الرَّحَى مِنَ الْبُكَاءِ ﷺ. رواه أبو داود والنسائي ولفظه رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يُصَلِّي وَلِجَوْفِهِ أَزِيزٌ كَأَزِيزِ الْمِرْجَلِ. يَعْنِي: يَبْكِي. ورواه ابن خزيمة وابن حبان في صحيحيهما نحو رواية النسائي إلا أن ابن خزيمة قَالَ: وَلِصَدْرِهِ أَزِيزٌ كَأَزِيزِ الْمِرْجَلِ.

وعَنْ عَلِيٍّ، قَالَ: مَا كَانَ فِينَا فَارِسٌ يَوْمَ بَدْرٍ غَيْرُ الْمِقْدَادِ، وَلَقَدْ رَأَيْتُنَا وَمَا فِينَا إِلا نَائِمٌ، إِلَّا رَسُولَ اللهِ ﷺ تَحْتَ شَجَرَةٍ يُصَلِّي، وَيَبْكِي، حَتَّى أَصْبَحَ. رواه ابن خزيمة في صحيحه.

وعَنْ عَائِشَةَ فِي قِصَّةِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ ابْتَنَى مَسْجِدًا بِفِنَاءِ دَارِهِ وَكَانَ يُصَلِّي فِيهِ، وَيَقْرَأُ الْقُرْآنَ فَتَقِفُ عَلَيْهِ نِسَاءُ الْمُشْرِكِينَ، وَأَبْنَاؤُهُمْ وَهُمْ يَتَعَجَّبُونَ مِنْهُ وَيَنْظُرُونَ إِلَيْهِ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ رَجُلًا بَكَّاءً لَا يَمْلِكُ دَمْعَهُ حِينَ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ.

وعَنْ أَبِي مُلَيْكَةَ، قَالَ: جَلَسْنَا إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو فِي الْحِجْرِ، فَقَالَ: ابْكُوا فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا بُكَاءً فَتَبَاكَوْا، لَوْ تَعْلَمُونَ الْعِلْمَ لَصَلَّى أَحَدُكُمْ حَتَّى يَنْكَسِرَ ظَهْرُهُ وَلَبَكَى حَتَّى يَنْقَطِعَ صَوْتُهُ(صحيح موقوف).

وعَنْ بَهْزِ بْنُ حَكِيمٍ، قَالَ: أَمَّنَا زُرَارَةُ بْنُ أَوْفَى فِي مَسْجِدِ بَنِي قُشَيْرٍ فَقَرَأَ الْمُدَّثِّرَ، فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى هَذِهِ الْآيَةِ ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ﴾ (المدثر: ٨) خَرَّ مَيِّتًا.

قَالَ بَهْزٌ: فَكُنْتُ فِيمَنْ حَمَلَهُ. رواه الحاكم «صحيح الترغيب والترهيب» للالباني.

«شيبتني هود وأخواتها قبل المشيب». (ابن مردويه). قال أبو بكر: يا رسول الله قد شبت قال: «شيبتني هود والواقعة والمرسلات وعم يتساءلون وإذا الشمس كورت». (ت. ك) عن ابن عباس (ك) عن أبي بكر (ابن مردويه) عن سعد «شيبتني هود وأخواتها من المفصل». (ص) عن أنس (ابن مردويه) عن عمران. «الصحيحة» (٩٥٥) قال في «التنوير شرح الجامع الصغير» (٥٢٨/٦): قال العلماء لعل ذلك لما فيهن من التخويف الفظيع والوعيد الشديد باشتمالهن على قصرهن على حكايته أحوال الآخرة وعجائبها ومصائبها وأحوال الهالكين والمعذبين مع ما في بعضهن من الأمر بالاستقامة وهو من أصعب المقامات.

بكاء السماء والأرض:

قال الله تعالى: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ﴾ (الدخان: ٣٠) قال الحافظ ابن كثير في «تفسيره» (٢٥٣/٧): أي: لم تكن لهم أعمال صالحة تصعد في أبواب السماء فتبكي على فقدهم ولا لهم في الأرض بقاع عبدوا الله تعالى فيها فقدتهم فلهذا استحقوا أن لا ينظروا ولا يؤخروا لكفرهم وإجرامهم وعتوهم وعنادهم.

وقد ذكر النووي رحمه الله في «التبيان» فصلا في البكاء عند قراءة القرآن وبين السبيل الموصلة إلى هذه الفضيلة العظيمة.

فقال: البكاء في حال القراءة هو صفة العارفين وشعار عباد الله الصالحين، قال الله تعالى: ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ (الإسراء: ١٠٩).

*** ***

(١١) علو القرآن على سائر الكتب المنزلة

عَنْ وَاثِلَةَ بْنِ الْأَسْقَعِ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**أُعْطِيتُ مَكَانَ التَّوْرَاةِ السَّبْعَ الطوال وَمَكَانَ الزَّبُورِ الْمِئِينَ وَمَكَانَ الْإِنْجِيلِ الْمَثَانِيَ وَفُضِّلْتُ بِالْمُفَصَّلِ**» أخرجه الطيالسي وغيره «السلسلة الصحيحة» (١٤٨٠).

القرآن الكريم أطول الكتب السماوية وأشملها ففي الحديث: «أُعْطِيتُ مَكَانَ التَّوْرَاةِ السَّبْعَ الطوال ...» الحديث. «الرسل والرسالات»

قال العلماء: القرآن ينقسم إلى أقسام:

أولا: (السبع الطوال) قال الألباني (فائدة): المقصود من (السبع الأول): السور السبع الطوال من أول القرآن، وهي مع عدد آياتها:

١- البقرة (٢٨٦)، ٢- آل عمران (٢٠٠)، ٣- النساء (١٧٦)، ٤- المائدة (١٢٠)، ٥- الأنعام (١٦٥)، ٦- الأعراف (٢٠٦)، ٧- التوبة (١٢٩).

ثانيا: (المئين) قال ابن رجب الحنبلي «فتح الباري» (٦٧/٧): وهي ما كان من السور وعدد آياته مائة آية، أو يزيد، أو ينقص شيئا، وأوله الحجرات على الأشهر.

ثالثا: (المثاني) قال البيهقي: المثاني فاتحة الكتاب لأنها تثنى في كل ركعة وقيل هي كل سورة دون المئين وفوق المفصل كأن المئين جعلت مبادئ والتي تليها مثاني«السنن الصغير» للبيهقي (٣٤١/١) قال في «التيسير » (المثاني) أي السورة التي آيها أقل من مائة وقد تطلق على الفاتحة وتطلق على القرآن كله.

رابعا: (المفصل) وآخره سورة الناس اتفاقا والأصح أن أوله الحجرات. « التيسير بشرح الجامع الصغير» (١٧٢/١).

قال ﷺ: «مَنْ أَخَذَ السَّبْعَ الْأُوَلَ مِنَ الْقُرْآنِ فَهُوَ حَبْرٌ» أي عالم وفي رواية «فَهُوَ خَيْرٌ له» أي: من حفظها واتخذ قراءتها وردا فذلك خير كثير يعني بذلك كثرة الثواب عند الله تعالى. «فيض القدير» (٤١/٦) أخرجه احمد وغيره انظر «الصحيحة» (٢٣٠٥).

قلت: وقد قرأ ﷺ ليلة وهو وجع السبع الطوال فعَنْ أَنَسٍ، قَالَ: وَجَدَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ لَيْلَةٍ شَيْئًا، فَلَمَّا أَصْبَحَ قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ أَثَرَ الْوَجَعِ عَلَيْكَ يَتَبَيَّنُ، قَالَ: «إِنِّي إِنَّمَا عَلَى مَا تَرَوْنَ بِحَمْدِ اللَّهِ، قَدْ قَرَأْتُ السَّبْعَ الطِّوَالَ» أخرجه الحاكم انظر «أصل صفة الصلاة» (١/٤٥١).

و لقد أعطي النبي ﷺ من وحي الله وقرآنه مالم يعط أحد من الأنبياء من قبله ولا أحد من بعده وهي من نعم الله وفضله الواسع عليه وعلى أمته من بعده كقوله ﷺ: «أعطيت هذه الآيات من آخر البقرة من كنز تحت العرش لم يعطها نبي قبلي (ولا يعطى منه أحد بعدي)». «الصحيحة» (١٤٨٢) (أعطيت هذه الآيات من آخر سورة البقرة) وهي التي أولها آمن الرسول (من كنز تحت العرش) يعني أنها ادخرت وكنزت فلم يؤتها أحد قبله ذكره الحافظ العراقي ولذا قال (لم يعطها نبي قبلي).

وقوله: «ما أنزل الله عز وجل في التوراة، ولا في الإنجيل مثل (أم القرآن)؛ وهي السبع المثاني (والقرآن العظيم الذي أوتيته)» أخرجه النسائي وغيره «أصل صفة الصلاة» (١/٣١٨).

قال أبو حاتم: معنى هذه اللفظة (ما في التوراة ولا في الإنجيل مثل أم القرآن) أن الله لا يعطي لقارئ التوراة والإنجيل من الثواب ما يعطي لقارئ أم القرآن إذ الله بفضله فضل هذه الأمة على غيرها من الأمم وأعطاها الفضل على قراءة كلام الله أكثر مما أعطى غيرها من الفضل على قراءة كلامه وهو فضل منه لهذه الأمة وعدل منه على غيرها.

قلت: والنص ظاهر بخصوصية الفاتحة وأنها لم تنزل في الكتب السابقة.

علو القرآن على سائر الكتب السماويه:

قال تعالى: ﴿**وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا**﴾ (الزخرف: ٤) وقال تعالى: ﴿**وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ**﴾ (المائدة: ٤٨).

قال الإمام القرطبي في «التذكار» (ص ٣١-٣٢): قال علماؤنا: أي عال عليه، وعلوه على سائر كتب الله تعالى وان كان الكل كلام الله تعالى بأمور، احدها بما زاد عليه من السور، فقد جاء في الحديث الصحيح أن نبينا ﷺ خص بسورة الحمد، وخواتيم سورة البقرة على ما يأتي.

والأمر الثاني أن جعله الله قرانا عربيا مبينا، وكل نبي قد بين لقومه بلسانهم كما اخبر الله عز وجل ولكن للسان العربي مزية في البيان، والثالث أن جعل نطقه وأسلوبه معجزا وان كان الإعجاز في سائر كتب الله سبحانه من حيث الإخبار عن المغيبات والإعلام بالأحكام المبينات وسنن الله المشروعات وغير ذلك وليس فيها نظم وأسلوب خارج عن المعهود فكان أعلى منها بهذه المعاني وأمثالها، ولهذا المعنى الإشارة بقوله الحق: ﴿**وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا**﴾ (الزخرف: ٤) وقد قال تعالى: ﴿**مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا**﴾ (البقرة: ١٠٦) أي: بأنفع لكم أيها الناس في عاجل إن كانت الناسخة أحق، أو في آجل إن كانت أثقل، أو بمثلها إن كانت مستوية فيكون علوه راجعا إلى الزيادة في التصديق والبيان، وكونه معجزا يصدق من جاء به ويصدق ما قبله من الكتب والرسل مع انه ناسخ لها. اهـ

قال ابن عباس في قوله: « وَمُهَيْمِنًا عَلَيهِ» على كل كتاب قبله.

قال تعالى: ﴿**وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ**﴾ (المائدة: ٤٨).

قال شيخ الإسلام: فكتابه مهيمن على ما بين يديه من كتب السماء وقد أوجب الله على أهل الكتابين وسائر أهل الأرض الإيمان به وهذا مذكور في غير موضع من القران والحديث وهو مع أنه إجماع من المسلمين فهو معلوم بالاضطرار من دينه متواتر عنه كما تواتر عنه غزوه اليهود والنصارى. (ص ٤٥٣) «الرد على المنطقيين».

وقال: فبين أنه أنزل هذا القرآن مهيمنا على ما بين يديه من الكتب والمهيمن الشاهد المؤتمن الحاكم يشهد بما فيها من الحق وينفي ما حرف فيها ويحكم بإقرار ما أقره الله من أحكامها وينسخ ما نسخه الله منها وهو مؤتمن في ذلك عليها «الجواب الصحيح» (٢/ ٢٧٢).

قال ابن كثيرفي تفسيره (٣/ ١٢٨): بعد أن ذكر أقوال السلف في معنى كلمة مهيمن: «وهذه الأقوال كلها متقاربة المعنى، فإنّ اسم المهيمن يتضمن هذا كلّه، فهو أمين وشاهد وحاكم على كلّ كتاب قبله، جعل الله هذا الكتاب العظيم الذي أنزله آخر الكتب وخاتمها أشملها وأعظمها وأكملها حيث جمع فيه محاسن ما قبله، وزاده من الكمالات ما ليس في غيره، فلهذا

جعله شاهداً وأميناً وحاكماً عليها كلها. وانظر تفسير الآية محققا موسعا في (١٧/ ٤٤) مجموع الفتاوى.

جميع الكتب السماوية نزلت في شهر رمضان:

عَنْ وَاثِلَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «أُنْزِلَتْ صُحُفُ إِبْرَاهِيمَ أَوَّلَ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ، وَأُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ لِسِتٍّ مَضَيْنَ مِنْ رَمَضَانَ وَأُنْزِلَ الْإِنْجِيلُ لِثَلَاثَ عَشْرَةَ مَضَتْ مِنْ رَمَضَانَ، وَأُنْزِلَ الزَّبُورُ لِثَمَانَ عَشْرَةَ خَلَتْ مِنْ رَمَضَانَ، وَأُنْزِلَ الْقُرْآنُ لِأَرْبَعَ عَشْرَةَ خَلَتْ مِنْ رَمَضَانَ». رواه الطبراني وغيره. انظر «السلسلة الصحيحة» (١٥٧٥).

من الفروق بين القران الكريم والكتب السماوية الأخرى:

١. قال أهل العلم: تكفل الله بحفظ القرآن حيث قال: ﴿**إِنَّا نَحْنُ نزلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾ (سورة الحجر: ٩) بينما أوكل المهمة إلى اليهود في حفظ توراتهم فقال في القرآن نفسه ﴿**بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ**﴾ (المائدة: ٤٤) ووكل نفس المهمة إلى النصارى حيث قال في القرآن ﴿**بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ**﴾ (المائدة: ٤٤).

٢. قاموا الصحابة بكتابته في عهد النبي عليه الصلاة والسلام وتوقفوا حين مات النبي لأنه القرآن قد انتهى بالأصل .. بينما التوراة كانت مكتوبة في عهد موسى عليه السلام .. وكتب الإنجيل بعد وفاة عيسى عليه السلام بحوالي ٣٥ عام.

٣. هيأ الله للعرب ذاكرة قوية فحفظ معظمهم القرآن غيبا فحفظه الله من التزوير والتحريف .. بينما لم يحفظ اليهود من التوراة الا القليل .. ولم يحفظ النصارى من الإنجيل إلا تلاميذ المسيح فقط ولكنهم لم يكتبوها في وقتها.

٤. يحفظ القرآن اليوم ملايين المسلمين مع كبر حجم القرآن .. بينما لايوجد حفظة لتوراة موسى لأن موسى رفض تسليمها لبني إسرائيل وأعطاها لبني لاوى خوفا من تحريفهم لها.. أما الإنجيل فلا يوجد حفظة له رغم قلة حجمه.

٥. مات النبي محمد ﷺ وهو منتصرا مع قومه مما أتاح الفرصة لنشر المصحف وكتابته وحفظه وتعليمه .. بينما مات موسى عليه السلام وقومه يتيهون في الصحراء .. ومات عيسى عليه السلام وقومه مضطهدون يقتلون ويحرقون فلم تتح الفرصة للتلاميذ بنشر تعاليم الانجيل.

٦. جميع مخطوطات القرآن متطابقة .. بينما جميع مخطوطات الإنجيل والتوراة غير متطابقة مع بعضها البعض.

٧. نسخ القرآن واحدة في كل العالم .. أما التوراة فيوجد نسخة للعبرانيين ونسخة للسامرين ونسخة يونانية للكاثوليك والارثودوكس والنسخة الواحدة فيها تناقضات كثيرة .. أما الأناجيل فالنسخ الأربعة لايتطابق فيها حرفا.

٨. سند تلقي الحفظة عن مشايخ المسلمين سند متصل الى الله سبحانه وتعالى .. بينما في التوراة سندهم إلى عزرا الذي أعاد كتابة التوراة وبينه وبين موسى حوالي ١٤٠٠ سنة .. أما في الإنجيل فلا يوجد سند متصل لان كثيرا من كتاب الإنجيل لم يسمعوا من المسيح مباشرة وإنما أخذوا من تلاميذه.

٩. لغة القرآن هي اللغة العربية التي هي نفسها التي نزلت على النبي محمد ﷺ .. بينما لغة التوراة الحديثة هي ليست اللغة التي تحدث بها موسى عليه السلام .. ولغة الانجيل الحديثة هي ليست اللغة التي تحدث بها عيسى عليه السلام.

١٠. أحرقت التوراة في زمن نبوخذ نصر عام ٥٨٨ ق م وقتل جميع اللاويين حفظة التوراة .. بينما لم تبدأ كتابة الإنجيل الا عام ٦١م فكانت النتيجة أن قال الله فيهم ﴿**وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ**﴾ (المائدة: ١٣).

١١. توراة موسى الأصلية قليلة الحجم لذلك أوصى النبي موسى عليه السلام النبي يشوع بكتابتها في جدار المعبد بينما التوراة اليوم يصل حجمها إلى ثلاثين ألف سفرا وهي كلها كتبت بعد وفاة النبي موسى عليه السلام فأنظر كيف حفظ الله كتابه القرآن الكريم وكيف أتلف الناس الكتب الأخرى.

*** ***

(١٢) من يخشى الله هو أحسن النَّاس صوتا بالقرآن:

عَنْ طَاوُسٍ، قَالَ: سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ أَيُّ النَّاسِ أَحْسَنُ صَوْتًا لِلْقُرْآنِ، وَأَحْسَنُ قِرَاءَةً؟ قَالَ: «**مَنْ إِذَا سَمِعْتَهُ يَقْرَأُ، أُرِيتَ أَنَّهُ يَخْشَى اللَّهَ**» قَالَ طَاوُسٌ: «وَكَانَ طَلْقٌ كَذَلِكَ». رواه الدارمي. انظر «أصل صفة الصلاة» (٢/٥٧٥).

قوله: (وأحسن قراءة)، أي: ترتيلا وأداء (من إذا سمعته يقرأ أريت) بصيغة المجهول أي حسبته وظننته (إنه يخشى الله) أي إذا قرأ حصل له الخوف لما يتدبره من المواعظ ولما فيه من الوعيد.

قال السندي: أي المطلوب من تحسين الصوت بالقرآن أن تنتج قراءته خشية الله فمن رأيتم فيه الخشية فقد حسن الصوت بالقرآن المطلوب شرعاً فيعد من أحسن الناس صوتاً. اهـ.

وقال في اللمعات: حاصل الجواب إنه يظهر في حسن صوته آثار الخشية والتحزن فالخشية إنما يفهم من صوته وقراءته على الصفة المخصوصة فمن يوجد في صوته هذه الصفة فهو أحسن صوتاً، فليس الجواب على الأسلوب الحكيم، كما قال الطيبي حيث اشتغل بالجواب عن الصوت الحسن بما يظهر الخشية في القاري والمستمع. اهـ «مرعاة المفاتيح» (٧/٢٩٣).

ونص كلام الطيبي: إن من حسبته وظننته أنه يخشى الله، وتظهر أمارات الخشية منه، ويتأثر به قلبك. ولا يكون القارىء حينئذ إلا عالما بزواجره، وقوارعه، ومواعيده، فيخشى عذاب الله، ويرجو رحمته. وكأن الجواب من الأسلوب الحكيم حيث اشتغل في الجواب عن الصوت الحسن بما يظهر الخشية في القاريء والمستمع.

قال طاووس: وكان طلق كذلك: أي بهذا الوصف، قال الطيبي: هو أبو علي طلق بن على بن عمرو النخعي اليمامي، ويقال أيضا: طلق بن يمامة وهو والد قيس بن طلق اليمامي اهـ. وذكره المؤلف في الصحابة، وقال: روى عنه ابنه قيس. رواه الدارمي.

وفي رواية:«إن أحسن الناس قراءة الذي إذا قرأ رأيت أنه يخشى الله». رواه أبو نعيم في «أخبار أصبهان» «الصحيحة» (١٥٨٣).

وقال: «إن من أحسن الناس صوتا بالقرآن الذي إذا سمعته يقرأ رأيت أنه يخشى الله».

رواه ابن ماجه عن جابر. «الترغيب» (٢/ ٢١٥).

قال في اللمعات: المراد بالتغني تحسين الصوت وتطييبه وتزيينه وترقيقة وتحزينة بحيث يورث الخشية ويجمع الهم ويزيد الحضور ويبعث الشوق ويرق القلب ويؤثر في السامعين مع رعاية قوانين التجويد ومراعاة النظم في الكلمات والحروف كما جاء في الحديث أي الناس أحسن صوتاً للقرآن قال من إذا سمعته يقرأ أريت أنه يخشى وهو الصوت الطبيعي للعرب بحسن غاية الطبيعية المراد بلحن العرب، وإليه الإشارة بقول أبي موسى الأشعري لحبرته تحبيراً. وأما التكلف برعاية قوانين الموسيقي فمكروه، وإذا أدى إلى تغير القرآن فحرام بلا شبهة وسيأتي من الأحاديث ما يدل على ذلك. اهـ «مرعاة المفاتيح» (٧/ ٢٦٧).

قال محمد بن الحسين في «أخلاق أهل القرآن» (ص٨٦-٨٨): فأحب لمن يقرأ القرآن أن يتحزن عند قراءته، ويتباكى ويخشع قلبه، ويتفكر في الوعد والوعيد ليستجلب بذلك الحزن، ألم تسمع إلى ما نعت الله عز وجل من هو بهذه الصفة؟ وأخبرنا بفضلهم، فقال عز وجل: ﴿**اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ**﴾ (الزمر: ٢٣) الآية، ثم ذم قوما استمعوا القرآن فلم تخشع له قلوبهم، فقال عز وجل: ﴿**أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ**﴾ (النجم: ٥٩-٦١) ثم ينبغي لمن قرأ القرآن أن يرتل كما قال الله عز وجل: ﴿**وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا**﴾ (المزمل: ٤) قيل في التفسير: تبينه تبيينا، واعلم أنه إذا رتله وبينه انتفع به من يسمعه منه، وانتفع هو بذلك؛ لأنه قرأه كما أمر الله عز وجل في قوله تعالى: ﴿**وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ**﴾ (الإسراء: ١٠٦) على تؤدةعن مجاهد في قول الله عز وجل: ﴿**وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ**﴾ (الإسراء: ١٠٦) قال على تؤدة. وقال (ص٨٣): والقليل من الدرس للقرآن مع الفكر فيه وتدبره أحب إلي من قراءة الكثير من القرآن بغير تدبر، ولا تفكر فيه، وظاهر القرآن يدل على ذلك، والسنة وقول أئمة المسلمين

قال محمد بن الحسين: ينبغي لمن رزقه الله حسن الصوت بالقرآن أن يعلم أن الله قد خصه بخير عظيم فليعرف قدر ما خصه الله به، وليقرأ لله لا للمخلوقين وليحذر من الميل إلى أن يستمع منه ليحظى به عند السامعين رغبة في الدنيا والميل إلى حسن الثناء والجاه عند أبناء الدنيا، والصلاة بالملوك دون الصلاة بعوام الناس فمن مالت نفسه إلى ما نهيته عنه خفته أن يكون حسن صوته فتنة عليه، وإنما ينفعه حسن صوته إذا خشي الله عز وجل في السر والعلانية وكان مراده أن يستمع منه القرآن؛ لينتبه أهل الغفلة عن غفلتهم، فيرغبوا فيما رغبهم الله عز وجل وينتهوا عما نهاهم، فمن كانت هذه صفته انتفع بحسن صوته، وانتفع به الناس.

تفضيل بعض القراء :

يجوز تفضيل بعض قراء القرآن على بعض من أجل أحكام التلاوة وحسن الترتيل، ويجوز تسجيل قراءة القرآن على أشرطة وبيع هذه الأشرطة. فتاوى اللجنة الدائمة الفتوى رقم (٨٨٠٩).

حكم تحسين الصوت في القراءة:

جاء في فتاوى «اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء» من الفتوى رقم (٨٢٩): حكم تحسين الصوت في القرآن والأذان؟

الجواب: إن كان تحسين الصوت بهما لا يصل إلى حد الغناء.

قال ابن القيم بعد ذكر الاختلاف في تفسير التغني بالقرآن: وفي مسألة تحسين الصوت به وقراءته بالألحان، وذكر احتجاج كل فريق ما لفظه، وفصل النزاع أن يقال التطريب والتغني على وجهين: أحدهما ما اقتضته الطبيعة وسمحت به من غير تكلف ولا تمرين وتعليم بل إذا خلى وطبعه واسترسلت طبيعتة جاءت بذلك التطريب والتلحين فذلك جائز، وإن أعان طبيعته فضل تزيين وتحسين كما قال أبوموسى للنبي ﷺ وعلمت إنك تسمع لحبرته تحبيراً والحزين، ومن هاجه الطرب والحب والشوق لا يملك من نفسه دفع التحزين والتطريب في القراءة، ولكن النفوس تقلبه وتستحليه لموافقته الطبع وعدم التكلف والتصنع فهو مطبوع لا متطبع وكلف لا

متكلف، فهذا هو الذي كان السلف يفعلونه ويستمعونه وهو التغني الممدوح المحمود، وهو الذي يتأثر به السامع والتالي وعلى هذا الوجه تحمل أدلة أرباب هذا القول كلها.

والوجه الثاني ما كان من ذلك صناعة من الصنائع وليس في الطبع السماحة به بل لا يحصل إلا بتكلف وتصنع وتمرن كما يتعلم أصوات الغناء بأنواع الإلحان البسيطة، والمركبة على إيقاعات مخصوصة وأوزان مخترعة لا تحصل إلا بتعليم والتكلف فهذه هي التي كرهها السلف وعابوها وذموها ومنعوا القراءة بها وأدلة أرباب هذا القول إنما تتناول هذا الوجه، وبهذا التفصيل يزول الاشتباه ويتبين الصواب من غيره، وكل من له علم بأحوال السلف يعلم قطعاً أنهم براء من القراءة بإلحان الموسيقية المتكلفة التي هي إيقاع وحركات موزونة معدودة محدودة، وإنهم اتقى لله من أن يقرؤا بها ويسوغوها ويعلم قطعاً أنهم كانوا يقرؤن بالتحزين والتطريب، ويحسنون أصواتهم بالقرآن ويقرؤنه بشجي تارةً وبطرب تارةً وبشوق تارة، وهذا أمر في الطبائع تقاضيه ولم ينه عنه الشارع مع شدة تقاضي الطبائع له بل أرشد إليه وندب إليه وأخبر عن استماع الله لمن قرأ به.

وقال ليس منا من لم يتغن بالقرآن وفيه وجهان، أحدهما أنه إخبار بالواقع الذي كلنا نفعله، والثاني أنه نفي لهدى من لم يفعله عن هديه وطريقته ﷺ. اهـ «مرعاة المفاتيح» (٧/ ٢٧٠).

** **

(١٣) أهل القرآن هم أهل الله وخاصته

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**إِنَّ لِلَّهِ أَهْلِينَ مِنَ النَّاسِ**» قَالُوا: مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «**أَهْلُ الْقُرْآنِ هُمْ أَهْلُ اللَّهِ وَخَاصَّتُهُ**». اخرجه احمد وغيره. انظر «السلسلة الضعيفة» (١٥٨٢).

(إن لله أهلين من الناس) قالوا من هم يا رسول الله قال: (أهل القرآن) وأكد ذلك وزاده بيانا وتقريرا في النفوس بقوله: (هم أهل الله وخاصته) أي المختصون به بمعنى أنه لما قربهم واختصهم كانوا كأهله «التيسير بشرح الجامع الصغير» (٣٣٦/١) قال في «فيض القدير» (٦٧/٣). (أهل القرآن هم أهل الله وخاصته): أي حفظة القرآن العاملون به هم أولياء الله المختصون به اختصاص أهل الإنسان به سموا بذلك تعظيما لهم كما يقال بيت الله.

قال الألباني: وما أهل الله إلا أهل القرآن القائمين به والعاملين بأحكامه. «السلسلة الضعيفة» (١٠٥/١).

(التلاوة نوعان: لفظية و حكمية).

(أهل الله) يعني: أولياؤه وأحبابه الذين يتلون القرآن ويعملون به، ويمتثلون أوامره وينتهون عن زواجره، ويقفون عند حدوده، ويؤمنون بمتشابهه، ويعملون بمحكمه، ويتعظون بمواعظه، هؤلاء هم أهل القرآن، وهم أهل الله وخاصته، وهم الذين يتلونه حق تلاوته، كما قال الله سبحانه: ﴿**الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاوَتِهِ أُوْلَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ**﴾ (البقرة:١٢١) يعني: يعملون به؛ لأن التلاوة نوعان كما سبق: تلاوة لفظية، وهذه يقرأها البر والفاجر، كما في حديث أبي موسى، فالمنافق يقرأ القرآن والمؤمن يقرأ القرآن.

والنوع الثاني: تلاوة حكمية، وهي تنفيذ أحكامه وتحقيق أخباره، وهذه هي المراد من الحديث، وهي المعول عليها، وهي التي عليها مدار السعادة والنجاة، والتلاوة الحكمية مذكورة في قول الله عز وجل: ﴿**الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاوَتِهِ أُوْلَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ**﴾ (البقرة:١٢١)، يعني: يعملون به ويتبعون ما فيه، فهذه التلاوة هي الاتباع، ومن ذلك ما جاء في الحديث في قصة الرجل الفاجر الذي يوضع في قبره ويضرب

بمرزبة من حديد ويقال له: لا دريت ولا تليت، لا دريت: أي: لا علمت الحق بنفسك، ولا تليت: ولا تبعت من يعمل بالحق، فأهل القرآن وخاصته هم الذين يقرءونه ويعملون به وينفذون أحكامه ويصدقون أخباره. «شرح سنن ابن ماجة» للعلامة عبد العزيز الراجحي (الدرس-١٤).

قال العلامة الخضير:الأهل هنا بمعنى الأولياء، أي: أولياء الله تعالى، الذين اصطفاهم مِن خلقه وعباده، هم أهل القرآن، كما قال تعالى: ﴿**أَلاَ إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾ وقال تعالى: ﴿**إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ**﴾. فالذين آمنوا وعملوا الصالحات هم أولياء الله، وأهلون هنا بمعنى: الأولياء، وعبر بالأهل هنا؛ لأنهم قريبون من الله تعالى، فأهل الرجل هم أقرب الناس إليه، وأقرب الناس إلى الله تعالى هم أهل الطاعة والاستجابة لأمره تعالى، وأعظم أمرٍ يقرب إلى الله جل وعلا هو قراءة القرآن الكريم، والمداومة على قراءته، آناء الليل وأطراف النهار، فالذي يقرأ القرآن، ويداوم عليه قريب من الله، وقريب من رحمته، وقريب من إحسانه، وقريب من ثوابه جل وعلا وقد قال الله تعالى: ﴿**وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ**﴾. وكل عمل صالح فإنه يقرب إلى الله -تعالى، فالإحسان يقرب إلى الله: ﴿**إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ**﴾. والصلاة تقرب إلى الله: ﴿**وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ**﴾. فكل عمل صالح جاءت به الشريعة في القرآن أو السنة، فإنه العمل الذي يقرب إلى الله تعالى: ﴿**أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ**﴾.

وأنبياء الله جل وعلا هم أقرب الناس إلى ربهم، كما أخبر الله تعالى عن أنبيائه، وقال تعالى عن عيسى عليه السلام: ﴿ **إِذْ قَالَتِ الْمَلاَئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ** اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾. ففي هذه الآية قال الله تعالى عنه: وجيهًا في الدنيا، ووجيهًا في الآخرة، وأيضًا من المقربين، فالوجاهة عند الله تعالى بالعمل الصالح، وهي في الحياة الطيبة، كما أخبر الله تعالى في سورة النحل: ﴿**مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً**﴾.

فالحياة الطيبة في هذه الدنيا في السعادة، وفي طمأنينة النفس، وفي القناعة، وفي الزهد، وفي الآخرة بدخول الجنة، ورؤية الرب جل وعلا، فهذا النبي عيسى عليه السلام وصفه الله تعالى بأنه وجيه في الدنيا، ووجيه في الآخرة، وأنه من المقربين، وهكذا أنبياء الله -تعالى؛ لأنهم المصطفون من عباده، فنَفْهَم من قوله عليه الصلاة والسلام: «للهِ أَهْلُونَ». أو في الرواية الأخرى: « إِنَّ للهِ أَهْلِينَ». لما سُئِل ﷺ: مَنْ هم يا رسول الله؟ قال: «أَهْلُ الْقُرْآنِ، هُمْ أَهْلُ اللهِ وَخَاصَّتُهُ». وأكد ذلك بالخصوصية أيضًا بأنهم يظهرون كلام الله جل وعلا ويقرؤونه وينشرونه؛ إما بتلاوته، أو بالدعوة إليه، أو بالعمل بأحكامه، أو بالسير على منهاجه، فكل هذا العمل داخل في هذه القربة إلى الله تعالى.

إذن نفهم من قوله: «إِنَّ للهِ مِنَ النَّاسِ أَهْلِينَ». أن أهل القرآن هم أولياء الله تعالى، وهم أقرب الناس إلى ربهم وخاصته، اختصهم الله تعالى من بين سائر الناس؛ لأن الناس في هذه الحياة الدنيا يلهون ويسرحون ويمرحون وينخدعون بزخارفها ومتاعها وشهواتها، فمنهم العاصي من المؤمنين، ومنهم الكافر الذي كفر بربه، فهؤلاء بعيدون عن القرآن؛ فأهل الكفر بعيدون كلَّ البعد، وأهل المعاصي يتركون القرآن تارة ويبتعدون عنه تارة.

ولكن أهل الطاعة هم أهل الإيمان، وهم أهل القرآن، وهم أهل الخاصة، وهم خاصة الناس المقربون إلى الله جل وعلا في كل شؤونهم وأحوالهم، فلا تنفك حياتهم ولا أعمالهم عن القرآن، فكما يأكلون ويشربون وينامون ولا يتخلون عن هذه الأمور، فإنهم لا يتخلون عن القرآن؛ لأن مَن دَاوم على القرآن الكريم حصلت له طمأنينة النفس وسعادتها وفلاحها ونجاحها في هذه الدنيا، وحصل له الخير العظيم في الدنيا وفي الآخرة؛ لأنه يعمل بهذا القرآن ويتلوه.

والمؤمن عليه أن يخصص لنفسه دائمًا وقتًا يقرأ فيه القرآن؛ حتى ينال هذا الوصف العظيم الذي جاء من النبي ﷺ أن أهل القرآن هم أهل القرب من الله -جل وعلا، وهذه الصفة لا تكون إلا للعاملين بالقرآن، كما تقدم في الآيات: ﴿**يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاوَتِهِ**﴾،

أي: يعملون به حق العمل، فالعاملون بالقرآن المتبعون له المتدبرون لآياته المستجيبون لأوامره، هؤلاء هم أهل القرآن، وهؤلاء هم أولياء الله، وهؤلاء هم المقربون من الله جل وعلا، قد عصمهم الله من الموبقات، ومن وساوس الشيطان.

** **

(١٤) فضل الذين يعملون بالقرآن

عَنْ نَوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**يَأْتِي الْقُرْآنُ وَأَهْلُهُ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ بِهِ فِي الدُّنْيَا تَقْدُمُهُ سُورَةُ الْبَقَرَةِ وَآلُ عِمْرَانَ**» قَالَ نَوَّاسٌ: وَضَرَبَ لَهُمَا رَسُولُ اللهِ ﷺ ثَلاثَةَ أَمْثَالٍ مَا نَسِيتُهُنَّ بَعْدُ قَالَ: «**تَأْتِيَانِ كَأَنَّهُمَا غَيَابَتَانِ وَبَيْنَهُمَا شَرْقٌ، أَوْ كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ سَوْدَاوَانِ، أَوْ كَأَنَّهُمَا ظُلَّةٌ مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ تُجَادِلاَنِ عَنْ صَاحِبِهِمَا**». أخرجه مسلم وغيره.

قال الطيبي: (يأتي القرآن) يصور القرآن صورة بحيث يجيء يوم القيامة ويراه الناس كما يجعل الله لأعمال العباد خيرها وشرها صورة ووزناً يوضع في الميزان، فليقبل المؤمن هذا وأمثاله، ويعتقده بإيمانه، لأنه ليس للعقل إلي مثل هذا سبيل، وفي تقدم هاتين السورتين على القرآن دليل علي أنهما أعظم من غيرهما، لأهما أطول، والأحكام فيهما أكثر.

قوله: (وأهله الذين كانوا يعملون به): هذا إعلام بأن من قرأ القرآن، ولم يعمل به، ولم يحرم حرامه، ولا يحلل حلاله، ولا يعتقد عظمته لم يكن القرآن شفيعاً له يوم القيامة.

قوله: (يقدمه) الضمير راجع إلى (القرآن).

قوله: (بينهما شرق) (نه): أي ضوء، وهو الشمس، والشق أيضاً إنما وصفهما بالسواد، لكثافتهما وارتكام البعض منهما علي بعض، وذلك أجدي ما يكون من الظلال في الأمر المطلوب عنهما، ثم بين ﷺ بقوله: (بينهما شرق) إنهما مع ارتكامهما وكثافتهما لا يستران الضوء، ولا يمحوانه.

فعلي هذا الأشبه أن لا يراد بالشرق الشق، ولأنه استغني بقوله: (ظلتان) عن بيان البينونة. قوله (يجادلان عن صاحبهما).

وفي رواية (يحاجان عن أصحابهما) قال الشوكاني في تحفته: أي يقيمان الحجة له ويجادلان عنه وصاحبهما هو المستكثر من قراءتهما وظاهر الحديث أنهما يتجسمان حتى يكونا كأحد هذه الثلاثة التي شبهها بها ﷺ كأنهما غمامتان أو كأنهما غيايتان أو كأنهما فرقان من طير صواف ثم يقدرهما الله سبحانه وتعالى على النطق بالحجة وذلك غير مستبعد من قدرة القادر القوي الذي يقول للشيء كن فيكون. اهـ (ص ٤٠٠).

قال الخطيب البغدادي: إني موصيك يا طالب العلم بإخلاص النية في طلبه، وإجهاد النفس على العمل بموجبه، فإن العلم شجرة والعمل ثمرة، وليس يعد عالما من لم يكن بعلمه عاملا، وقيل: العلم والد والعمل مولود، والعلم مع العمل، والرواية مع الدراية فلا تأنس بالعمل ما دمت مستوحشا من العلم، ولا تأنس بالعلم ما كنت مقصرا في العمل ولكن اجمع بينهما، وإن قل نصيبك منهما.

وقال: العلم يراد للعمل كما العمل يراد للنجاة، فإذا كان العمل قاصرا عن العلم، كان العلم كلا على العالم، ونعوذ بالله من علم عاد كلا، وأورث ذلا، وصار في رقبة صاحبه غلا، قال بعض الحكماء: العلم خادم العمل، والعمل غاية العلم، فلولا العمل لم يطلب علم ولولا العلم لم يطلب عمل، ولأن أدع الحق جهلا به أحب إلي من أن أدعه زهدا فيه، قال الشيخ: وهل أدرك من السلف الماضين الدرجات العلى إلا بإخلاص المعتقد، والعمل الصالح.

الترهيب من أن يعلم ولا يعمل بعلمه ويقول ولا يفعله:

قال تعالى ﴿**إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بإيمانهم**﴾ (يونس: ٩) قال تعالى:﴿**وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ**﴾ (محمد: ٢) وقال تعالى: ﴿**اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلا ما تذكرون**﴾ (الأعراف: ٣) وقال تعالى: ﴿**وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون**﴾ (الأنعام: ١٥٥) وقال تعالى: ﴿**الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته**﴾ (البقرة: ١٢١) وقال تعالى: ﴿**وقال الرسول يا رب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا**﴾ (الفرقان: ٣٠) قال تعالى: ﴿**الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُوْلَئِكَ هُمْ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ**﴾ (الزمر: ١٨) قال الله تعالى: ﴿**وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**﴾ ﴿**إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ**﴾ (الأنبياء: ٩٠) وقال تعالى: ﴿**واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه فمثله كمثل**

الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون﴾ (الأعراف: ١٧٥ - ١٧٦).

قال ابن القيم: فشبه سبحانه من آتاه كتابه وعلمه العلم الذي منعه غيره، فترك العمل به، واتبع هواه وآثر سخط الله على رضاه، ودنياه على آخرته، والمخلوق على الخالق؛ بالكلب الذي هو من أخبث الحيوانات، وأوضعها قدرا، وأخسها نفسا، وهمته لا تتعدى بطنه، وأشدها شرها وحرصا. وفي تشبيه من آثر الدنيا وعاجلها على الله والدار الآخرة مع وفور علمه بالكلب في حال لهثه سر بديع، وهو أن هذا الذي حاله ما ذكره الله من انسلاخه من آياته واتباعه هواه إنما كان لشدة لهفه على الدنيا لانقطاع قلبه عن الله والدار الآخرة فهو شديد اللهف عليها، ولهفه نظير لهف الكلب الدائم في حال إزعاجه وتركه، قلت: مراده بانقطاع فؤاده أنه ليس له فؤاد يحمله على الصبر وترك اللهث؛ وهكذا الذي انسلخ من آيات الله، لم يبق معه فؤاد يحمله على الصبر عن الدنيا وترك اللهف عليها، فهذا يلهف على الدنيا من قلة صبره عنها، وهذا يلهث من قلة صبره عن الماء، فالكلب من أقل الحيوانات صبرا عن الماء، وتأمل ما في هذا المثل من الحكم والمعنى: فمنها قوله: ﴿**آتيناه آياتنا**﴾ (الأعراف: ١٧٥) فأخبر سبحانه أنه هو الذي آتاه آياته، فإنها نعمة، والله هو الذي أنعم بها عليه، فأضافها إلى نفسه، ثم قال: ﴿**فانسلخ منها**﴾ (الأعراف: ١٧٥) أي خرج منها كما تنسلخ الحية من جلدها، وفارقها فراق الجلد يسلخ عن اللحم، ولم يقل فسلخناه منها لأنه هو الذي تسبب إلى انسلاخه منها باتباع هواه. ومنها أنه سبحانه قال: ﴿**ولو شئنا لرفعناه بها**﴾ (الأعراف: ١٧٦) فأخبر سبحانه أن الرفعة عنده ليست بمجرد العلم، فإن هذا كان من العلماء، وإنما هي باتباع الحق وإيثاره وقصد مرضاة الله.

فإن هذا كله من أعلم أهل زمانه، ولم يرفعه الله بعلمه ولم ينفعه به فنعوذ بالله من علم لا ينفع، وأخبر سبحانه أنه هو الذي يرفع عبده إذا شاء بما آتاه من العلم، وإن لم يرفعه الله فهو موضوع لا يرفع أحد به رأسا، فإن الخافض الرافع سبحانه خفضه ولم يرفعه، والمعنى لو شئنا فضلناه وشرفناه ورفعنا قدره ومنزلته بالآيات التي آتيناه، قال ابن عباس: ولو شئنا لرفعناه بعمله بها، وقالت طائفة: الضمير في قوله: ﴿**لرفعناه**﴾ (الأعراف: ١٧٦) عائد على الكفر،

والمعنى لو شئنا لرفعنا عنه الكفر بما معه من آياتنا، قال مجاهد وعطاء: لرفعنا عنه الكفر بالإيمان وعصمناه؛ وهذا المعنى حق، والأول هو مراد الآية، وهذا من لوازم المراد، وقد تقدم أن السلف كثيرا ما ينبهون على لازم معنى الآية فيظن الظان أن ذلك هو المراد منها: وقوله: ﴿ولكنه أخلد إلى الأرض﴾ (الأعراف: ١٧٦) قال سعيد بن جبير: ركن إلى الأرض. اهـ مختصرا انظره كاملا مفيدا في «إعلام الموقعين» (١/١٢٧-١٣٠).

قال تعالى:﴿**مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**﴾ (الجمعة: ٥).

وقال: فقاس من حملة كتابه -سبحانه- ليؤمن به ويتدبره ويعمل به ويدعو إليه، ثم خالف ذلك، ولم يحمله إلا على ظهر قلب، فقراءته بغير تدبر ولا تفهم ولا اتباع له، ولا تحكيم له وعمل بموجبه، كحمار على ظهره زاملة أسفار لا يدري ما فيها، وحظه منها حمله على ظهره ليس إلا، فحظه من كتاب الله كحظ هذا الحمار من الكتب التي على ظهره. فهذا المثل وإن كان قد ضرب لليهود فهو متناول من حيث المعنى لمن حمل القرآن فترك العمل به، ولم يؤد حقه، ولم يرعه حق رعايته. اهـ «المرجع السابق» (١/١٥٠).

وقال ﷺ «اقْرَءُوا الْقُرْآنَ وَاعْمَلُوا بِهِ، وَلَا تَجْفُوا عَنْهُ، وَلَا تَغْلُوا فِيهِ، وَلَا تَأْكُلُوا بِهِ، وَلَا تَسْتَكْثِرُوا بِهِ». «الصحيحة» (٢٦٠) وقال «لَا تَزُولُ قَدَمَا ابْنِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ خَمْسٍ: -منها- وَمَاذَا عَمِلَ فِيمَا عَلِمَ؟». «الصحيحة» (٩٤٦) كَانَ أَبُو الدَّرْدَاءِ يَقُولُ: «إِنَّمَا أَخْشَى مِنْ رَبِّي يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنْ يَدْعُوَنِي عَلَى رُؤوسِ الْخَلَائِقِ، فَيَقُولُ لِي: يَا عُوَيْمِرُ، فَأَقُولُ: لَبَّيْكَ رَبِّي، فَيَقُولُ لِي: مَا عَمِلْتَ فِيمَا عَلِمْتَ؟» وقال ﷺ «مَثَلُ الْعَالِمِ الَّذِي يُعَلِّمُ النَّاسَ الْخَيْرَ وَيَنْسَى نَفْسَهُ كَمَثَلِ السِّرَاجِ يُضِيءُ لِلنَّاسِ وَيَحْرِقُ نَفْسَهُ» (طب الضياء) "اقتضاء العلم" (٧٠،٧١) وقال: «مَثَلُ الَّذِي يُعَلِّمُ النَّاسَ الْخَيْرَ وَيَنْسَى نَفْسَهُ مِثْلُ الْفَتِيلَةِ تُضِيءُ لِلنَّاسِ وَتَحْرِقُ نَفْسَهَا». (طب) صحيح الترغيب" (١٢٦، ١٢٧)

الجفاء عن القرآن:

وقال: «أَتَيْتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي عَلَى قَوْمٍ تُقْرَضُ شِفَاهُهُمْ بِمَقَارِيضَ مِنْ نَارٍ، كُلَّمَا قُرِضَتْ وَفَتْ، فَقُلْتُ: يَا جِبْرِيلُ، مَنْ هَؤُلَاءِ؟ قَالَ: خُطَبَاءُ من أُمَّتِكَ الَّذِينَ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ، وَيَقْرَءُونَ كِتَابَ اللهِ وَلَا يَعْمَلُونَ». (هب) "الاقتضاء"(١١١) وقال: «يُؤْتَى بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُهُ، فَيُقَالُ أَلَيْسَ كُنْتَ تَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ، قَالَ: كُنْتُ آمُرُكُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا أَفْعَلُهُ، وَأَنْهَاكُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَآتِيهِ» (ق). هاجر العمل بالقرآن الكريم يعذب في قبره إلى قيام الساعة.

روى البخاري من حديث سمرة بن جندب رؤيا النبي ﷺ وفيها: فانطلقنا حتى أتينا على رجل مضطجع على قفاه، ورجل قائم على رأسه بفهر أو صخرة، فيشدخ به رأسه، فإذا ضربه تدهده الحجر، فانطلق إليه ليأخذه فلا يرجع إلى هذا حتى يلتئم رأسه، وعاد رأسه كما هو، فعاد إليه فضربه، قلت: من هذا ؟قالا: انطلق وفي آخر الحديث: والذي رأيته يُشدخ رأسه فرجل علمه الله القرآن، فنام عنه بالليل ولم يعمل فيه بالنهار، يفعل به إلى يوم القيامة. رواه البخاري وكان يقول اللّهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع رواه مسلم قال الفضيل بن عياض: إنما نزل القرآن ليعمل به، فاتخذ الناس قراءته عملاً! قيل: كيف العمل به؟ قال: أن يحلوا حلاله، ويحرموا حرامه، ويأتمروا بأوامره، وينتهوا عن نواهيه ويقفوا عند عجائبه.

ولمسلم عن أبي موسى أنه قال لقراء البصرة: اتلوه، ولا يطولن عليكم الأمد فتقسوا قلوبكم كما قست قلوب من كان قبلكم.

وعن ابن مسعود قال: إن بني إسرائيل لما طال عليهم الأمد فقست قلوبهم فاخترعوا كتابا من عند أنفسهم استحلته أنفسهم، وكان الحق يحول بينهم وبين كثير من شهواتهم حتى نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم.

** **

(١٥) كان خلقه ﷺ القرآن

عَنْ سَعْدِ بْنِ هِشَامٍ، قَالَ: سَأَلْتُ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فَقُلْتُ: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ، أَنْبِئِينِي عَنْ خُلُقِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَتْ: أَلَسْتَ تَقْرَأُ الْقُرْآنَ؟ قُلْتُ: بَلَى، قَالَتْ: فَإِنَّ خُلُقَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَانَ الْقُرْآنَ. أخرجه مسلم وغيره.

كان خلقه القرآن: أي ما دل عليه القرآن من أوامره ونواهيه ووعده ووعيده وغير ذلك.

وقال القاضي: أي خلقه كان جميع ما حصل في القرآن فإن كل ما استحسنه وأثنى عليه ودعا إليه فقد تحلى به وكل ما استهجنه ونهى عنه تجنبه وتخلى عنه فكان القرآن بيان خلقه انتهى.

وقال في الديباج: معناه العمل به والوقوف عند حدوده والتأدب بآدابه والاعتبار بأمثاله وقصصه وتدبيره وحسن تلاوته «فيض القدير» (٥/١٧٠) انظر«جامع العلوم والحكم» (١/٣٧٠).

في «التبيان في أقسام القرآن » (ص ٢١٦- ٢١٧) قال تعالى: ﴿**وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾ وهذه من أعظم آيات نبوته ورسالته لمن منحه الله فهماً ولقد سئلت أم المؤمنين عن خلقه ﷺ، فأجابت بما شفى وكفى فقالت كان خلقه القرآن فهم سائلها أن يقوم لا يسألها شيئاً بعد ذلك ومن هذا قال ابن عباس وغيره أي على دين عظيم وسمى الدين خلقاً لأن الخلق هيئة مركبة من علوم صادقة وإرادات زاكية وأعمال ظاهرة وباطنة موافقة للعدل والحكمة والمصلحة وأقوال مطابقة للحق تصدر تلك الأقوال والأعمال عن تلك العلوم والإرادات فتكتسب النفس بها أخلاقاً هي أزكى الأخلاق وأشرفها وأفضلها فهذه كانت أخلاق رسول الله المقتبسة من مشكاة القرآن فكان كلامه مطابقاً للقرآن تفصيلا له وتبيينا وعلومه علوم القرآن وإرادته وأعماله ما أوجبه وندب إليه القرآن وإعراضه وتركه لما منع منه القرآن ورغبته فيما رغب فيه وزهده فيما زهد فيه وكراهته لما كرهه ومحبته لما أحبه وسعيه في تنفيذ أوامره وتبليغه والجهاد في إقامته فترجمت أم المؤمنين لكمال معرفتها بالقرآن وبالرسول وحسن تعبيرها عن هذا كله بقولها كان خلقه القرآن وفهم هذا السائل لها عن هذا المعنى فاكتفى به واشتفى.

** **

(١٦) كان يأمر بتحسين الصوت بالقرآن

فيقول: - تزيين الصوت بالقرآن - «**زينوا القرآن بأصواتكم؛ (فإن الصوت الحسن يزيد القرآن حسناً)**». أخرجه أبوداوود وغيره انظر «الصحيحة» (٧٧١).

عن علقمة بن قيس قال: كنت رجلا قد أعطاني الله حسن الصوت بالقرآن، فكان عبد الله بن مسعود يرسل إلي فأقرأ عليه، قال فكنت إذا فرغت من قرائتي قال: زدنا من هذا فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «حسن الصوت زينة القرآن». «السلسلة الصحيحة» (١٨١٥).

قوله: «زينوا القرآن بأصواتكم»؛ أي: قراءته بأصواتكم؛ أي: بتحسين أصواتكم عند القراءة؛ فإن الكلام الحسن يَزيد حُسناً وزينةً بالصوتِ الحسن، وهذا مشاهد. كما قال السندي.

وأما حمل الحديث على القلب؛ أي: زينوا أصواتكم بالقرآن. فمما لا ضرورة لهذا التأويل؛ إذ إنه خلاف الأصل، والرواية التي وردت على القلب شاذة؛ مخالفة لجميع روايات الثقات -كما سبق- وهي أيضاً تنافي الزيادة المذكورة: «فإن الصوت الحسن يزيدُ القرآنَ حسناً». فإنها تعلل الأمر بتحسين الصوت عند قراءة القرآن، وهو أنه يزيد القرآن حسناً؛ فالزينة للقرآن لا للصوت، خلافاً لما قاله المناوي. قال في «فيض القدير»: «وفي أدائه بحسن الصوت وجودة الأداء بَعْثٌ للقلوب على استماعه وتدبره والإصغاء إليه.

قال التُّورِبِشْتي: هذا إذا لم يخرجه التغني عن التجويد، ولم يصرفه عن مراعاة النظم في الكلمات والحروف، فإن انتهى إلى ذلك؛ عاد الاستحبابُ كراهةً.

وأما ما أحدثه المتكلفون بمعرفة الأوزان والموسيقى؛ فيأخذون في كلام الله مأخذهم في التشبيب والغزل؛ فإنه من أسوأ البدع، فيجب على السامع النكير، وعلى التالي التعزير.

وأخذ جمع من الصوفية منه ندب السماع من حَسَن الصوت، وتُعقب بأنه قياس فاسد، وتشبيه للشيء بما ليس مثله، وكيف يشبه ما أمر الله به بما نهى عنه؟! اهـ «أصل صفة الصلاة» (٢/٥٧٣-٥٧٤).

قال الإمام ابن الجزري «التمهيد في علم التجويد» (ص٤٣-٤٦): إن مما ابتدع الناس في قراءة القران أصوات الغناء، وهي التي أخبر بها رسول الله ﷺ أنها ستكون بعده، ونهى عنها

ويقال إن أول ما غني به من القرآن قوله عز وجل ﴿**أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر**﴾، نقلوا ذلك من تغنيهم بقول الشاعر:

أما القطاة فإني سوف أنعتها ... نعتًا يوافق عندي بعض ما فيها

وقد قال رسول الله ﷺ في هؤلاء: «مفتونه قلوبهم وقلوب من يعجبهم شأنهم» (طس هب) عن حذيفة ضعيف صحيح الجامع الصغير(١٠٦٧).

وابتدعوا أيضاً شيئاً سموه الترقيص، وهو أن يروم السكت على الساكن ثم ينفر مع الحركة في عدو وهرولة.

وآخر سموه الترعيد، وهو أن يرعد صوته كالذي يرعد من برد وألم، وقد يخلط بشيء من ألحان الغناء.

وآخر يسمى التطريب، وهو أن يترنم بالقرآن ويتنغم به، فيمد في غير مواضع المد، ويزيد في المد على ما ينبغي لأجل التطريب، فيأتي بما لا تجيزه العربية.

كثر هذا الضرب في قراء القرآن.

وآخر يسمى التحزين، وهو أن يترك طباعه وعادته في التلاوة، ويأتي بالتلاوة على وجه آخر، كأنه حزين يكاد يبكي مع خشوع وخضوع، ولا يأخذ الشيوخ بذلك، لما فيه من الرياء.

وآخر أحدثه هؤلاء الذين يجتمعون فيقرأون كلهم بصوت واحد، فيقولون في نحو قوله: ﴿**أفلا يعقلون**﴾ ﴿**أو لا يعلمون**﴾: أفل يعقلون، أول يعلمون، فيحذفون الألف، وكذلك يحذفون الواو فيقولون: قال رَحِمَهَا ٱللَّهُ آمنا، والياء فيقولون: يوم الدن في ﴿يوم الدين﴾.

ويمدون ما لا يمد، ويحركون السواكن التي لم يجز تحريكها، ليستقيم لهم الطريق التي سلكوها، وينبغي أن يسمى هذا التحريف.

وأما قراءتنا التي نقرأ ونأخذ بها، فهي القراءة السهله المرتله العذبه الألفاظ، التي لا تخرج عن طباع العرب وكلام الفصحاء، على وجه من وجوه القراءات، فنقرأ لكل إمام بما نقل عنه، من مد، أو قصر، أو همز، أو تخفيف همز أو تشديد أو تخفيف أو إماله أو فتح أو إشباع أو نحو ذلك.

واعلم أن المستفاد بذلك حصول التدبر لمعاني كتاب الله تعالى، والتفكر في غوامضه، والتبحر في مقاصده، وتحقيق مراده -جل اسمه- من ذلك.

فانه تعالى قال: ﴿**كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب**﴾، وذلك أن الألفاظ إذا أجليت على الأسماع في أحسن معارضها، وأحلى جهات النطق بها، حسب ما حث عليه رسول الله ﷺ بقوله: «زينوا القرآن بأصواتكم» كان تلقي القلوب وإقبال النفوس عليها بمقتضى زيادتها في الحلاوة والحسن، على ما لم يبلغ ذلك المبلغ منها، فيحصل حينئذ الامتثال لأوامره، والانتهاء عن مناهيه، والرغبة في وعده، والرهبة من وعيده، والطمع في ترغيبه، والارتجاء بتخويفه، والتصديق بخبره، والحذر من إهماله، ومعرفة الحلال والحرام.

وتلك فائدة جسيمة، ونعمه لا يهمل ارتباطها إلا محروم، ولهذا المعنى شرع الإنصات إلى قراءة القرآن في الصلاة وغيرها، وندب الإصغاء إلى الخطبة في يوم الجمعة، وسقطت القراءة عن المأموم ما عدا الفاتحة، ومن أجل ذلك دأب الأئمة في السكوت على التام من الكلام، أو ما يستحسن الوقف عليه، لما في ذلك من سرعة وصول المعاني إلى الأفهام، واشتمالها عليها، بغير مقارعة للفكر، ولا احتمال مشقة لا فائدة فيها غير ما ذكرناه.

تحبير القرآن:

قال ﷺ لأبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**لو رأيتَني وأنا أستمع لقراءتك البارحة! لقد أوتيتَ مزماراً من مزامير آل داود**». (فقال أبو موسى: لو علمتُ مكانك؛ لحبّرت (٢) لك تحبيراً). أخرجه مسلم وغيره.

قال العلماء: المراد بالمزمار هنا: الصوت الحسن. وأصل الزمر: الغناء. وآل داود: هو داود نفسه. وآل فلان: قد يطلق على نفسه، وكان داود ﷺ حسن الصوت جداً. ذكره النووي في « شرح مسلم».

يريد: تحسين الصوت وتحزينه. يقال: حبَّرت الشيء تحبيراً؛ إذا حسنته. كما في «النهاية» اهـ «أصل الصلاة» قال الحافظ ابن كثير في فضائل القرآن (١٩١-١٩٨): والغرض أن أبا موسى قال: لو أعلم أنك تسمعه لحبَّرتُه لك تحبيرًا،فدَلَّ على جواز تعاطى ذلك وتكلفه، وقد كان أبو

موسى كما قال عليه السلام: قد أعطى صوتا حسنا، كما سأذكره إن شاء الله، مع خشية تامة ورقة أهل اليمن (الموصوفة)، فدلَّ على أن هذا من الأمور الشرعية. والغرض أن المطلوب شرعا، إنما هو التحسين بالصوت الباعث على تَدَبُّرِ القرآن وتفهمه، والخشوع والخضوع والإنقياد للطاعة.

قراءة القرآن بالألحان:

فأما الأصوات بالنغمات المحدثة، المركبة على الأوزان، والأوضاع الملهية والقانون الموسيقائي، فالقرآن يُنَزَّه عن هذا ويجل ويعظم أن يسلك في أدائه هذا المذهب.

حدَّثَنَا يعقوب، عن ابراهيم، عن الأعمش،عن رجل، عن أنس أنه سمع رجلًا يقرأ القرآن بهذه الألحان التى أحدث الناس، فأنكر ذلك ونهى عنه، وهذه طرق حسنة في باب الترهيب.

وهذا يدلُّ على أنه محذور كبير، وهو قراءة القرآن بالألحان التى يسلك بها مذاهب الغناء، وقد نصَّ الأئمة -رحمهم الله- على النهى عنه، فأما إن خرج به إلى التمطيط الفاحش، الذى يزيد بسببه حرفا أو ينقص حرفا، فقد اتفق العلماء على تحريمه، والله أعلم. اهـ مختصرا.

تحسين الصوت بالقرآن:

قال الحافظ ابن كثير (ص ١٩٠): والمراد من تحسين الصوت بالقرآن تطريبه وتحزينه والتَّخَشُّع به – ذكر حديث أبي موسى الاشعري- قال الالباني: ورواه ابن سعد – كما في «الفتح»- بلفظ: أن أبا موسى قام ليلة يصلي، فسمع أزواجُ النبي ﷺ صوته، وكان حلو الصوت؛ فقمن يستمعن، فلما أصبح؛ قيل له. فقال: لو علمت؛ لحبرته لهن تحبيراً. وإسناده على شرط مسلم. قلت: وهو في «مختصر قيام الليل» (٥٥) بلفظ: لحبرت لكن تحبيراً، ولشوَّقْتُكن تشويقاً.

قال في «طرح التثريب» فيه منقبة لأبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وفي حديث أبي موسى جواز مدح الإنسان في وجهه إذا لم يخش من ذلك مفسدة لحصول العجب للممدوح. والله أعلم.

لا يُقال: حسن القرآن.

قال الإمام بكر أبو زيد: قال الحافظ ابن حجر -رحمه الله تعالى- عن البخاري -رحمه الله تعالى-: يقال: فلان حسن القراءة، ورديء القراءة. ولا يُقال: حسن القرآن، ولا رديء القرآن، وإنما يسند إلى العباد: القراءة، لا القرآن؛ لأن القرآن كلام الرب سبحانه وتعالى، والقراءة فعل العبد، ولا يخفى هذا إلا على من لم يوفق ... اهـ. «معجم المناهي اللفظية» (ص٢٣١).

التغني بالقرآن والترنم به

ويقول: «ما أذن الله لشيء ما أَذِنَ (وفي لفظ: كأَذَنِه) لنبي (حسن الصوت) وفي لفظ: (حسن الترنم) يتغنى بالقرآن، (يجهر به)». البخاري ومسلم وغيرهما. «أصل صفةالصلاة (٢/٥٨٨-٥٩٠) (٣)

قوله ما (أَذِنَ): قال الحافظ ابن كثير في فضائل القران (ص ١٧٩-١٨١): معناه: أن الله تعالى ما استمع لشيء كاستماعه لقراءة نبيٍّ يجهر بقراءته ويحسِّنُها، وذلك أنه يجتمع فى قراءة الأنبياء طيب الصوت لكمال خلقهم وتمام الخشية، وذلك هو الغاية فى ذلك، وهو -سبحانه وتعالى- يسمع أصوات العباد كلهم برهم وفاجرهم.

كما قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: سبحان الذى وسع سمعه الأصوات، ولكن استماعه لقراءة عباده المؤمنين أعظم، كما قال تعالى: ﴿**وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ**﴾ الآية، ثم استماعه لقراءة أنبيائه أبلغ، كما دلَّ عليه هذا الحديث العظيم.

وقول سفيان بن عيينة: أن المراد بالتغنِّي: يستغني به، فإن أراد أنه يستغني به عن الدنيا، وهو الظاهر من كلامه الذي تابعه عليه أبو عبيد القاسم بن سلَّام وغيره، فخلاف الظاهر من مراد الحديث؛ لأنه قد فسَّره بعض رواته بالجهر، وهو تحسين القراءة والتحزين بها. قال حرملة: سمعت ابن عُيَيْنَةَ يقول: معناه: يستغنى به، فقال لى الشافعى: ليس هو هكذا، ولو كان هكذا لكان يتغانَى، إنما هو يتحزَّن. انتهى

قوله: (يتغنى بالقرآن)؛ اختُلف في المراد من (التغني) على خمسة أقوال؛ ذكرها في «الفتح »، والصحيح - كما قال النووي في « شرح مسلم»- أنه: تحسين الصوت، قال: وهو قول أكثر العلماء من الطوائف وأصحاب الفنون.

ويؤيده قوله: (يجهر به)، وكذا قوله: (حسن الترنم) فإن الترنم -كما قال الطبري- لا يكون إلا بالصوت إذا حسنه القارئ، وطرَّب به.

ولذلك قال الحافظ: وظواهر الأخبار ترجح أن المراد تحسين الصوت. قال: ولا شك أن النفوس تميل إِلى سماع القراءة بالترنم أكثر من ميلها لمن لا يترنم؛ لأن للتطريب تأثيراً في رقة القلب، وإجراء الدمع. اهـ.

وقال ابن القيم (١/١٩٣): وذلك عَوْنٌ على المقصود، وهو بمنزلة الحلاوة التي تُجعل في الدواء؛ لتُنفِذه إلى موضع الداء، وبمنزلة الأفاويه والطِّيب الذي يُجعل في الطعام؛ لتكون الطبيعة أدعى له قَبُولاً، وبمنزلة الطِّيب والتحلِّي وتجمُّل المرأة لبعلها؛ ليكون أدعى إلى مقاصد النكاح.

قال السيد رشيد رضا رحمه الله: كثيراً ما رأينا بعض أدباء النصارى يرغبون في سماع القرآن من القراء المجودين، ويعترفون بقوة تأثيره في القلوب.

وفي «الصحيح» أن المشركين كانوا يؤذون أبا بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ويمنعونه من الصلاة في المسجد الحرام، ثم حاولوا منعه من رفع صوته بالقرآن في بيته؛ لما رأوا من إقبال لناس -ولا سيما النساء، والأولاد المُدْرِكين- عليه، وتأثير قراءته في نفوسهم. وقد أدرك بعض علماء الإفرنج ما كان لتلاوة رسول الله ﷺ للقرآن من التأثير العظيم في جذب العرب إلى الإسلام، واعترف بأنه كان أشد تأثيراً من جميع معجزات الأنبياء في هدايةالناس. اهـ.

ثم قال الحافظ: وكان بين السلف اختلاف في جواز القراءة بالألحان، أما تحسين الصوت وتقديم حَسَنِ الصوت على غيره؛ فلا نزاع في ذلك.

ثم ذكر أقوال العلماء في القراءة بالألحان، وحكى جوازه عن جماعة من الصحابة والتابعين، وهو المنصوص للشافعي، ونقله الطحاوي عن الحنفية. ثم قال: ومحل هذا الاختلاف

إذا لم يختل شيء من الحروف عن مخرجه، فلو تغير -قال النووي في «التبيان»:- أجمعوا على تحريمه. اهـ.

وقد ذكر ابن القيم في «الزاد» أقوال الفريقين المبيحين للقراءة بالألحان والمانعين (١/ ١٩١- ١٩٥)، ثم قال: وفصل النزاع أن يقال: التطريب والتغنِّي على وجهين:

أحدهما: ما اقتضته الطبيعة، وسمحت به من غير تكلُّف، ولا تمرين وتعليم؛ بل إذا خُلِّيَ وطَبْعَه، واسترسلت طبيعته؛ جاءت بذلك التطريب والتلحين، فذلك جائز، وإن أعان طبيعتَه فضلُ تزيين وتحسين؛ كما قال أبو موسى للنبي ﷺ: لو علمتُ أنك تسمع؛ لحبّرتُه لك تحبيراً، والحزين، ومن هاجه الطرب والحب والشوق لا يملك من نفسه دفع التحزين والتطريب في القراءة، ولكن النفوس تقبله، وتستحليه؛ لموافقته الطبع، وعدم التكلف، والتصنع؛ فهو مطبوع لا متطبع، وكَلِف لا متكلِّف.

فهذا هو الذي كان السلف يفعلونه ويستمعونه؛ وهو التغني الممدوح المحمود، وهوالذي يتأثر به السامع والتالي، وعلى هذا الوجه تحمل أدلة أرباب هذا القول كلها.

الوجه الثاني: ما كان من ذلك صناعة من الصنائع، وليس في الطبع السماحة به، بل لايحصل إلا بتكلف وتصنع وتمرن؛ كما يتعلم أصوات الغناء بأنواع الألحان البسيطة والمركبة على إيقاعات مخصوصة، وأوزان مخترعة، لا تحصل إلا بالتعلم والتكلف؛ فهذه هي التي كرهها السلف، وعابوها، وذموها، ومنعوا القراءة بها، وأنكروا على من قرأ بها.

وأدلة أرباب هذا القول إنما تتناول هذا الوجه. وبهذا التفصيل يزول الاشتباه، ويتبين الصواب من غيره، وكل من له علم بأحوال السلف يعلم قطعاً أنهم برآء من القراءة بألحان الموسيقى المتكلفة؛ التي هي إيقاع، وحركات موزونة معدودة محدودة، وأنهم أتقى لله من أن يقرؤوا بها ويُسَوِّغوها، ويعلم قطعاً أنهم كانوا يقرؤون بالتحزين والتطريب، ويحَسِّنون أصواتهم بالقرآن، ويقرؤونه بشجى تارة، وبطرب تارة، وبشوق تارة، وهذا أمر(مركوز) في الطباع تقاضيه، ولم يَنْهَ عنه الشارع، مع شدة تقاضي الطباع له؛ بل أرشد إليه، وندب إليه، وأخبر عن استماع الله لمن قرأ به.

وقال: قالوا: ولا بدَّ للنفس من طرب واشتياق إلى الغناء؛ فعُوِّضَت عن طرب الغناء بطرب القرآن، كما عُوِّضت عن كل محرم ومكروه بما هو خير لها منه؛ كما عُوِّضت عن الاستقسام بالأزلام بالاستخارة؛ التي هي محض التوحيد والتوكل، وعن السِّفاح بالنكاح، وعن القمار بالمراهنة بالنِّصَال وسباق الخيل، وعن السماع الشيطاني بالسماع الرحماني القرآني، ونظائره كثيرة جداً.

فائدة: عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «خفف على داود القرآن فكان يأمر بدوابه فتسرج فيقرأ القرآن قبل أن تسرج دوابه ولا يأكل إلا من عمل يديه» . رواه البخاري قال ابن الجوزي "في كشف المشكل" (٥٢٩/٣):يعني القراءة لكتابه الزبور. قال الحافظ في الفتح (٣٩٧/٣) :ووقع في رواية لأبي ذر القراءة والمراد بالقرآن مصدر القراءة لا القرآن المعهود لهذه الأمة.

** **

(١٧) نزول القرآن على سبعة أحرف

عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ، قَالَ: لَقِيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ جِبْرِيلَ، فَقَالَ: «**يَا جِبْرِيلُ إِنِّي بُعِثْتُ إِلَى أُمَّةٍ أُمِّيِّينَ: مِنْهُمُ العَجُوزُ، وَالشَّيْخُ الكَبِيرُ، وَالغُلَامُ، وَالجَارِيَةُ، وَالرَّجُلُ الَّذِي لَمْ يَقْرَأْ كِتَابًا قَطُّ، قَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنَّ القُرْآنَ أُنْزِلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ**». رواه الترمذي وفي رواية لأحمد وأبي داود: قال: «**لَيْسَ مِنْهَا إِلَّا شَافٍ كَافٍ**».

وفي رواية للنسائي قال: «**إِنَّ جِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ أَتَيَانِي، فَقَعَدَ جِبْرِيلُ عَنْ يَمِينِي وَمِيكَائِيلُ عَنْ يَسَارِي، فَقَالَ جِبْرِيلُ: اقْرَإِ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفٍ، فَقَالَ مِيكَائِيلُ: بَلِ اسْتَزِدْهُ، حَتَّى بَلَغَ سَبْعَةَ أَحْرُفٍ، فَكُلُّ حَرْفٍ شَافٍ كَافٍ**».

نزول القران الكريم على النبي ﷺ في الفترة المكية على حرف واحد:

قال العلماء: إن التيسير بتعدد الأحرف تأخر إلى العهد المدني، هذا ما يفهم من حديث أبيّ عند مسلم وفيه: (أن النبي ﷺ كان عند أضاة بني غفار قال: فأتاه جبريل- عليه السلام- الحديث). حيث كانت هذه الأضاة بالمدينة كما قال الحافظ رحمه الله في (الفتح) ج ٩ ص ٢٨.

والظاهر أن هذا التأخر إنما كان لعدم الحاجة- في العهد المكي- إلى تعدد الأحرف لعدم انتشار الإسلام والقرآن آنئذ بين أحياء العرب، وقصوره على القلة المؤمنة به، وأغلبهم من قريش الذين أرسل النبي ﷺ بين ظهرانيهم، وأن القرآن المكي كان على أفصح لهجة مشهورة ومستفيضة في جميع بطون قريش، وأن هذه اللهجة كانت بالتالي مفهومة وميسرة لأولئك القلة المؤمنين به، فلم تمس حاجتهم وقتئذ إلى المزيد من التيسير، فلما كانت الهجرة إلى المدينة وبدء انتشار الإسلام بين العرب وفيهم من يمكن ألا يتقن تلك اللهجة، مست الحاجة إلى التيسير بتعدد الأحرف، وشمل هذا التعدد عندئذ بطبيعة الحال جميع القرآن مكيه ومدنيه من قبل أن التكليف هو بكل القرآن لا ببعضه دون بعض، كما شمل تشريع هذا التعدد جميع الناس منذئذ لا فرق في ذلك بين قرشي وغير قرشي من قبل أن الكل في التشريع سواء.

ومن هنا اختلفت الأحرف المقروء بها سورة الفرقان المكية مثلا بين عمر بن الخطاب وهشام بن حكيم بن حزام وهما قرشيان، كما اختلفت بين أبيّ الأنصاري وغيره في سورة النحل المكية أيضا، وقراءة عبد الله بن مسعود وآخر فى سورة من حم المكيات كذلك، إلى آخر تلك الوقائع.

وهكذا وجدنا القراءات العشر المتواترة المنسوبة إلى القراء العشرة لا تفرق في تعددها واختلافها بين مكي ومدنى من الذكر الحكيم، بل تعمها جميعا وعلى حد سواء، كما لا تفرق في تلقيها وأدائها بين أحد من الناس، بل ورث القراءة بها في الكل والإقراء بها للكل كابرا عن كابر، ثم لم يزل الأمر على هذا الشمول للمقروء وقرائه إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها إن شاء الله تعالى.

ولعل ما قلناه من نزول القسم المكي من القرآن أول ما نزل بتلك اللهجة المستفيضة في بطون قريش والمفهومة لها جميعا هو ما عناه عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من قوله للرهط القرشيين عند جمع القرآن: (إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في عربية من عربية القرآن، فاكتبوها بلسان قريش، فإن القرآن أنزل بلسانهم)

معنى الأحرف السبعة:

قال شيخنا في كتابه «أحسن البيان» (ص ١٦): المراد بالأحرف اللغات أو اللهجات التي نزل بها القرآن، فالعرب وان جمعها جميعها اسم عرب، فهم مختلفو الألسن بالبيان، متباينو المنطق والكلام. فان قيل: فلهجات العرب أكثر من سبع، قلنا: هي أفصحها، وهو قول علي بن ابي طالب وعبد الله بن عباس وابن مسعود وانس بن مالك وسفيان بن عيينة والأعمش وأبو عبيد القاسم بن سلام وابن جرير الطبري وأبو شامة والقرطبي وابن الجوزي وغيرهم وقال (ص ١٨): و المقصود بلغات العرب: ان تقرا كل قبيلة من العرب بلغتهم وما جرى عليه عادتهم من الإدغام والإظهار والفتح والإمالة والتفخيم والترقيق والإشمام والإتمام والهمز والتليين وغير ذلك بتوقيف من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا بما شاء القارئ أن يقرا مما يوافق لغته من غير توقيف. اهـ

وقال (ص ٢٦): القراءات العشر التي يقرا بها الناس اليوم إنما هي جزء من الأحرف السبعة التي نزل بها القران ووافق خط المصحف، وهي متفرقة في القران في كل قراءة، ولا تجمعها رواية ولا قراءة واحدة فإذا قرأ القارئ برواية من الروايات فإنما قرأ ببعضها لا بكلها. و هي منزلة من عند الله تبارك وتعالى لا اجتهاد فيها لجبريل أو النبي ﷺ وليس لأحد من العلماء بعده أن يغير شيئا بزيادة أو نقص أو إبدال.

مثل: ﴿وَوَصَّى﴾ (البقرة: ١٣٢) كتبت في المصحف المدني والشامي بزيادة همزة لذا فهي قراءة نافع وأبي جعفر وابن عامر، وقرا الباقون بدون همز كما رسمت مصاحفهم، ﴿وَسَارِعُوا﴾ (آل عمران: ١٣٣)كتبت في المصحف المدني والشامي بدون واو لذا فهي قراءة نافع وأبو جعفر وابن عامر، وقرا الباقون بواو كما رسمت مصاحفهم، ﴿تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ﴾ (التوبة: ١٠٠) كتبت في المصحف المكي بزيادة ﴿من﴾ لذا فهي قراءة ابن كثير المكي، وقرا الباقون بدونها كما رسمت مصاحفهم، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ (الحديد: ٢٤) كتبت في المصحف المدني والشامي بدون ﴿هُوَ﴾لذا فهي قراءة نافع وأبو جعفر وابن عامر، وقراها الباقون كما رسمت مصاحفهم.

الفرق بين القرآن والقراءات

قال الزركشي في «البرهان» (١/٣١٨): اعلم أن القرآن والقراءات حقيقتان متغايرتان فالقرآن هو الوحي المنزل على محمد ﷺ للبيان والإعجاز والقراءات هي اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في كتبة الحروف أو كيفيتها من تخفيف وتثقيل وغيرهما.

الحكمة في نزول القرآن على سبعة أحرف:

قال العلماء: إن نزول القرآن على سبعة أحرف سببه التيسير على الأمة والتخفيف عليها وإجابة لقصد نبيها حيث أتاه جبريل فأمره أن تقرأ أمته القرآن على حرف، فطلب منه رسول الله ﷺ أن يسأل الله-سبحانه وتعالى- المعافاة لأمته لأنها لا تطيق ذلك، ولم يزل يردد المسألة حتى بلغ سبعة أحرف.

ولأن النبي ﷺ أرسل للناس كافة فسيعسر على الناس الانتقال من لغتهم إلى لغة أخرى؛ ولذلك خفّف عن هذه الأمة بالأحرف السبعة كما أن هناك فوائد أخرى لنزول القرآن على سبعة أحرف: أن من تمام التيسير على الأمة جمع الأحرف السبعة لوجهات النظر المختلفة في التأمل البلاغي في النص القرآني، مما يبقى للقرآن مكانته السامية في الإعجاز؛ إذ كل قراءة بمنزلة آية، فيكون هذا التنوع بمثابة الجمع لمناحي الإعجاز اللغوي والبلاغي.

وأن السبعة أحرف كلها منزلة، متساوية فى كل الأحكام الخاصة بالتلاوة والإعجاز.

ومن فوائد نزول القرآن على أحرف سبعة تعظيم ثواب هذه الأمة حيث إنهم يفرغون جهدهم ليبلغوا قصدهم في تتبع معاني ذلك التنوع والتعدد، فالأجر على قدر المشقة.

ومن فوائده أيضا: بيان قدر هذه الأمة وشرفها، من حيث تلقيهم لكتاب ربهم بهذا التلقي، وحفظه لفظة لفظة، بصيغه وسكناته وحركاته وتفخيم حروفه وترقيقها، فحفظوه من التحريف والتصحيف بما لم يهتد إليه فكر أمة من الأمم، مما يؤكد اتصال سند هذه الأمة بكتاب ربها، مما يدفع ارتياب الملحدين في وصله.

هذا ما ذكره ابن الجزري(١/٥٢-٥٤) من فوائد لنزول القرآن على سبعة أحرف. «المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، مصر».

« اقرأ القرآن على سبعة أحرف كلها شاف كاف» «الصحيحة» (٢٥٨١).

قال العلامة الألباني في «الصحيحة» عقب هذا الحديث: وفي ذلك بيان أن المراد بالسبعة أحرف سبع لغات في حرف واحد وكلمة واحدة باختلاف الألفاظ واتفاق المعاني، كما شرحه وبينه بيانا شافيا الإمام الطبري في مقدمة تفسيره، كما أوضح أن الأمة ثبتت على حرف واحد دون سائر الأحرف الستة الباقية، وأنه ليس هناك نسخ ولا ضياع، وأن القراءة اليوم على المصحف الذي كان عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ جمع الناس عليه، في كلام رصين متين، فراجعه، فإنه مفيد جدا.

الجدال والمراء في القران كفر:

قال ﷺ: «إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف، فأي ذلك قرأتم أحسنتم (وفي رواية:أصبتم)، ولا تماروا فيه، فإن المراء فيه كفر». أخرجه أحمد «الصحيحة» (١٥٢٢) وقال: «الجدال في القرآن كفر». أخرجه الحاكم صحيح الترغيب (١٣٩).

وقال:«لا تجادلُوا بالقُرْآن، ولا تكذِّبُوا كتابَ اللهِ بعضَه ببعْضٍ؛ فو الله! إنّ المؤمنَ لَيجادلُ بالقرآن فيُغلَبُ وإنّ المنافقَ لَيجادلُ بالقرآن فيَغلِبُ» أخرجه الطبراني في «مسند الشاميين» (٢/٧٤/٩٤٢) «الصحيحة» (٣٤٤٧).

قال الألباني (فائدة): قال ابن عبد البر عقب الحديث: والمعنى: أن يتمارى اثنان في آية؛ يجحدها أحدهما ويدفعها، أو يصير فيها إلى الشك، فذلك هو المراء الذي هو الكفر. وأما التنازع في أحكام القرآن ومعانيه؛ فقد تنازع أصحاب رسول الله ﷺ في كثير من ذلك، وهذا يبين لك أن المراء الذي هو الكفر: هو الجحود والشك كما قال عز وجل: ﴿**ولا يزال الذين كفروا في مرية منه**﴾ (الحج: ٥٥)، والمراء والملاحاة غير جائز شيء منهما؛ وهما مذمومان بكل لسان، ونهى السلف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ عن الجدال في الله جل ثناؤه في صفاته وأسمائه.

وأما الفقه؛ فأجمعوا على الجدال فيه والتناظر؛ لأنه علم يحتاج فيه إلى رد الفروع على الأصول للحاجة إلى ذلك، وليس الاعتقادات كذلك؛ لأن الله عز وجل لا يوصف إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسول الله ﷺ أو أجمعت عليه الأمة، وليس كمثله شيء فيدرك بقياس أو بإنعام نظر، وقد نهينا عن التفكر في الله، وأمرنا بالتفكر في خلقه الدال عليه. اهـ.

قلت: انظر «السراج الوهاج من كشف مطالب صحيح مسلم بن الحجاج» (١١/ ٦٣٢) لصديق حسن خان.

قال شيخنا الدكتور الحافظ المقرئ محمد موسى نصر في كتابه «القول المفيد» (ص ٧٤-٧٥): جمع القراءات السبع أو العشر حال التلقي وحال القراءة في المجامع والمحافل وهي بدعة حدثت بعد أربعمائة سنة من هجرة الرسول ﷺ ولم يفعلها أحد من سلف الأمة وانما أجازها المتاخرون لسرعة الأخذ والتلقي والإجماع منعقد على تحريم القراءة بالجمع في المحافل، والجمهور منعوا القراءة بالجمع حال التلقي، وممن أفتى ببدعيتها شيخ الإسلام ابن تيمية

وصاحب «السنن والمبتدعات» انظر(ص٢١٣) وانظر كتاب «الأيات البينات في حكم جمع القراءات» وكتاب «رد مفتريات الشيخ خليل الحنايني» للشيخ ابراهيم سعودي.

قلت: وانظر كتاب شيخنا الدكتور توفيق ضمرة «احسن البيان شرح طرق الطيبة لرواية حفص بن سليمان» (ص٩-١٠) وكتاب «النشر في القراءات العشر» للإمام ابن الجزري «باب بيان إفراد القراءات وجمعها» (٢/ ١٩٤-١٩٩)

سئل شيخ الإسلام ابن تيمية: عن جمع القراءات السبع هل هو سنة أم بدعة؟ وهل جمعت على عهد رسول الله ﷺ أم لا؟ وهل لجامعها مزية ثواب على من قرأ برواية أم لا؟

فأجاب: الحمد لله، أما نفس معرفة القراءة وحفظها فسنة متبعة يأخذها الآخر عن الأول فمعرفة القراءة التي كان النبي ﷺ يقرأ بها أو يقرهم على القراءة بها أو يأذن لهم وقد أقروا بها سنة، والعارف في القراءات الحافظ لها له مزية على من لم يعرف ذلك ولا يعرف إلا قراءة واحدة، وأما جمعها في الصلاة أو في التلاوة فهو بدعة مكروهة وأما جمعها لأجل الحفظ والدرس فهو من الاجتهاد الذي فعله طوائف في القراءة. اهـ. «مجموع الفتاوى» (١٣/ ٤٠٤)

كتب علم القراءات

http://www.halqat.com/Books-٣-١.html

موقع (ن) للقرآن وعلومه - نون للقرآن وعلومه - www.nquran.com

جميع مصاحف وكتب القراءات لفضيلة الشيخ توفيق ضمرة حفظه الله.

www.studyqeraat.com

** **

(١٨) القرآن سبب لذهاب الهم والحزن وسبب للفرج

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**مَا أَصَابَ أَحَدًا قَطُّ هَمٌّ وَلَا حُزْنٌ فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ، ابْنُ عَبْدِكَ، ابْنُ أَمَتِكَ، فِي قَبْضَتِكَ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ، عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ، سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ عَلَى أَحَدٍ فِي كِتَابِكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ، أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي، وَنُورَ صَدْرِي، وَجَلَاءَ حُزْنِي، وَنُورَ بَصَرِي، وَذَهَابَ هَمِّي، إِلَّا أَذْهَبَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَمَّهُ وَحُزْنَهُ وَأَبْدَلَهُ مَكَانَهُ فَرَحًا**»، قَالَ: فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلَا نَتَعَلَّمُهَا؟

قَالَ: «**بَلَى، يَنْبَغِي لِمَنْ سَمِعَهَا أَنْ يَتَعَلَّمَهَا**» اخرجه احمد وغيره انظر «السلسلة الصحيحة » (١٩٩).

قال الإمام ابن القيم في«الصواعق المرسلة» (٢/ ٧٤١): إن الله سبحانه أخبر أن قلوب المؤمنين مطمئنة بذكره وهو كتابه الذي هدى به عباده فقال تعالى: ﴿**وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ**﴾ (الرعد ٢٨- ٢٧) أجابهم سبحانه عن سؤالهم ترك إنزال آيات الاقتراح بجوابين: أحدهما أنها لا توجب إيمانا بل الله هو الذي يهدي من يشاء ويضل من يشاء لا الآيات التي اقترحتموها الثاني أنه نبههم على أعظم الآيات وأشدها اقتضاء للإيمان وأنها في اقتضائها للإيمان أبلغ من الآيات التي تقترحونها وهي كتابه الذي هو ذكره وما تضمنه من الحق الذي تطمئن إليه القلوب وتسكن إليه النفوس ولو كان باطلا لم يزد القلوب إلا شكا وريبا فإن الكذب ريبة والصدق طمأنينة فلو كانت كلماته وألفاظه لا تفيد اليقين بمدلولها لم تطمئن به القلوب فإن الطمأنينة هي سكون القلب إلى الشيء ووثوقه به وهذا لا يكون إلا مع اليقين بل هو اليقين بعينه.

وقال في «شفاء العليل»: هذا الحديث الصحيح استوعب أقسام المكروه الواردة على القلب فالهم يكون على مكروه يتوقع في المستقبل يهتم به القلب والحزن على مكروه ماض من

فوات محبوب أو حصول مكروه إذا تذكره أحدث له حزنا والغم يكون على مكروه حاصل في الحال يوجب لصاحبه الغم فهذه المكروهات هي من أعظم أمراض القلب وأدوائه وقد تنوع الناس في طرق أدويتها والخلاص منها وتباينت طرقهم في ذلك تباينا لا يحصيه إلا الله بل كل أحد يسعى في التخلص منها بما يظن أو يتوهم أنه يخلصه منها وأكثر الطرق والأدوية التي يستعملها الناس في الخلاص منها لا يزيدها إلا شدة لمن يتداوى منها بالمعاصي على اختلافها من أكبر كبائرها إلى أصغرها وكمن يتداوى منها باللهو واللعب والغناء وسماع الأصوات المطربة وغير ذلك فأكثر سعي بني آدم أو كله إنما هو لدفع هذه الأمور والتخلص منها وكلهم قد أخطأ الطريق إلا من سعى في إزالتها بالدواء الذي وصفه الله لإزالتها وهو دواء مركب من مجموع أمور متى نقص منها جزء نقص من الشفاء بقدره وأعظم أجزاء هذا الدواء هو التوحيد والاستغفار قال تعالى: ﴿**اعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ**﴾ ولذلك كان الدعاء المفرج للكرب محض التوحيد وهو لا إله إلا الله العظيم الحليم لا إله إلا هو رب العرش العظيم لا إله إلا هو رب السماوات ورب الأرض رب العرش الكريم.

وفي الترمذي وغيره عن النبي ﷺ: «دعوة أخي ذي النون ما دعاها مكروب إلا فرج الله كربه لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين» فالتوحيد يدخل العبد على الله على والاستغفار والتوبة يرفع المانع ويزيل الحجاب الذي يحجب القلب عن الوصول إليه فإذا وصل القلب إليه زال عنه همه وغمه وحزنه وإذا انقطع عنه حصرته الهموم والغموم والأحزان وأتته من كل طريق ودخلت عليه من كل باب فلذلك صدر هذا الدعاء المذهب للهم والغم والحزن بالاعتراف له بالعبودية حقا منه.

وقوله «أن تجعل القرآن ربيع قلبي ونور صدري» يجمع أصلين الحياة والنور فإن الربيع هو المطر الذي يحيي الأرض فينبت الربيع فيسأل الله بعبوديته وتوحيده وأسمائه وصفاته أن يجعل كتابه الذي جعله روحا للعالمين ونورا وحياة لقلبه بمنزلة الماء الذي يحيي به الأرض ونورا له بمنزلة الشمس التي تستنير بها الأرض والحياة والنور جماع الخير كله قال تعالى: ﴿**أَوَمَنْ كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ**﴾ وقال تعالى: ﴿**وَكَذَلِكَ**

أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُوراً نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾ فأخبر أنه روح تحصل به الحياة ونور تحصل به الهداية فأتباعه لهم الحياة والهداية ومخالفوه لهم الموت والضلال وقد ضرب سبحانه المثل لأوليائه وأعدائه بهذين الأصلين في أول سورة البقرة وفي وسط سورة النور وفي سورة الرعد وهما المثل المائي والمثل الناري وقوله وجلاء حزني وذهاب همي وغمي إن جلاء هذا يتضمن إزالة المؤذي الضار وذلك يتضمن تحصيل النافع السار فتضمن الحديث طلب أصول الخير كله ودفع الشر وبالله التوفيق. انظره كاملا مفيدا. (ص ٢٧٤-٢٧٨)

وقال في «الفوائد» قوله: «أن تجعل القرآن ربيع قلبي ونور صدري»: الربيع المطر الذي يحيي الأرض شبه القرآن به لحياة القلوب به وكذلك شبهه الله بالمطر وجمع بين الماء الذي تحصل به الحياة والنور الذي تحصل به الإضاءة والإشراق كما جمع بينهما سبحانه في قوله أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا ومما توقدون عليه في النار ابتغاء حلية وفى قوله ﴿**مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم**﴾ ثم قال ﴿**أو كصيب من السماء**﴾ وفي قوله الله نور السموات والأرض مثل نوره الآيات ثم قال ألم تر أن الله يزجي السحاب ثم يؤلف بينه الآية فتضمن الدعاء أن يحيي قلبه بربيع القرآن وأن ينور به صدره فتجتمع له الحياة والنور قال تعالى ﴿**أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها**﴾ ولما كان الصدر أوسع من القلب كان النور الحاصل له يسري منه إلى القلب لأنه قد حصل لما هو أوسع منه ولما كانت حياة البدن والجوارح كلها بحياة القلب تسري الحياة منه إلى الصدر ثم إلى الجوارح سأل الحياة له بالربيع الذي هو مادتها ولما كان الحزن والهم والغم يضاد حياة القلب واستنارته سأل أن يكون ذهابها بالقرآن فإنها أحرى أن لا تعود وأما إذا ذهبت بغير القرآن من صحة أو دنيا أو جاه أو زوجة أو ولد فإنها تعود بذهاب ذلك والمكروه الوارد على القلب إن كان من أمر ماض أحدث الحزن زان كان من مستقبل أحدث الهم وإن كان من أمر حاضر أحدث الغم والله أعلم انظره محبرا(ص٢٢-٢٦).

** **

(١٩) الْقُرْآنُ يَشْفَعُ لِصَاحِبِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

عَنْ أَبِي أُمَامَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «**اقْرَءُوا الْقُرْآنَ، فَإِنَّهُ يَأْتِي مُشْفِعًا لِأَصْحَابِهِ**» أخرجه مسلم وغيره.

الشفاعة من مسائل العقيدة المهمة؛ لأنه قد ضل في إثباتها أناس، وغلا في إثباتها أناس، وتوسط فيها أناس.

فالشفاعة يوم القيامة الناس فيها على ثلاثة أقسام:

قوم غلوا في إثباتها حتى طلبوها من الأموات ومن القبور ومن الأصنام والأشجار والأحجار ﴿**ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله**﴾ (يونس: ١٨)، ﴿**ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى**﴾ (الزمر: ٣).

وطائفة غلت في نفي الشفاعة كالمعتزلة والخوارج، فإنهم نفوا الشفاعة في أهل الكبائر، وخالفوا ما تواترت به الأدلة من الكتاب والسنة في إثبات الشفاعة.

وأهل السنة والجماعة توسطوا فأثبتوا الشفاعة على الوجه الذي ذكره الله ورسوله، وآمنوا بها من غير إفراط ولا تفريط. «التعليقات المختصرة على متن العقيدة الطحاوية» للعلامة الفوزان، انظر موسعا: شروحات «الطحاوية» و «الواسطية» و «التوحيد» وغيرها لأهل السنة والجماعة.

قال شيخ الإسلام «الفتاوى الكبرى» (٤٧/٣): والله سبحانه لم يجعل له أحدا من الأنبياء والمؤمنين واسطة في شيء من الربوبية، والألوهية، مثل ما ينفرد به من الخلق والرزق، وإجابة الدعاء والنصر على الأعداء، وقضاء الحاجات، وتفريج الكربات؛ بل غاية ما يكون العبد سببا: مثل أن يدعو أو يشفع، والله تعالى يقول: ﴿**من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه**﴾ (البقرة: ٢٥٥) ويقول: ﴿**ولا يشفعون إلا لمن ارتضى**﴾ (الأنبياء: ٢٨) ويقول: ﴿**وكم من ملك في السماوات لا تغني شفاعتهم شيئا إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى**﴾ (النجم: ٢٦) وقال تعالى: ﴿**قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا**﴾ (الإسراء: ٥٦)

﴿**أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه إن عذاب ربك كان محذورا**﴾ (الإسراء: ٥٧).

قال أهل العلم: خص الله سبحانه وتعالى كتابه المبين القرآن الكريم من بين سائر الكتب بأن يشفع لأهله يوم القيامة، وقد ثبت هذا للقرآن الكريم كله ولسور منه بعينها، ووردت في السنة أحاديث تبين هذه الشفاعة.

ففي صحيح مسلم عَنْ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «اقْرَءُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ، اقْرَءُوا الزَّهْرَاوَيْنِ الْبَقَرَةَ وَسُورَةَ آلِ عِمْرَانَ فَإِنَّهُمَا تَأْتِيَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ أَوْ كَأَنَّهُمَا غَيَايَتَانِ أَوْ كَأَنَّهُمَا فِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ تُحَاجَّانِ عَنْ أَصْحَابِهِمَا، اقْرَءُوا سُورَةَ الْبَقَرَةِ فَإِنَّ أَخْذَهَا بَرَكَةٌ وَتَرْكَهَا حَسْرَةٌ وَلَا تَسْتَطِيعُهَا الْبَطَلَةُ». قَالَ مُعَاوِيَةُ -أحد الرواة-: بَلَغَنِي أَنَّ الْبَطَلَةَ السَّحَرَةُ.

ثبت في السنة الصحيحة أن القرآن يشفع لمن قرأه في الليل، وآثره على النوم، كما روى أحمد (٦٦٢٦) عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ قال: «الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة يقول الصيام: أي رب منعته الطعام والشهوات بالنهار فشفعني فيه. ويقول القرآن: منعته النوم بالليل فشفعني فيه. قال: فيشفعان» رواه أحمد وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (٣٨٨٢) قال الإمام الألباني أي: يشفعهما الله فيه ويدخله الجنة، قال المناوي: وهذا القول يحتمل أنه حقيقة بأن يجسد ثوابهما ويخلق الله فيه النطق ﴿**وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾، ويحتمل أنه على ضرب من المجاز والتمثيل.

قلت: والأول هو الصواب الذي ينبغي الجزم به هنا وفي أمثاله من الأحاديث التي فيها تجسيد الأعمال ونحوها، كمثل تجسيد الكنز شجاعاً أقرع، ونحوه كثير، وتأويل مثل هذه النصوص ليس من طريقة السلف، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، بل هو طريقة المعتزلة ومن سلك سبيلهم من الخلف، وذلك مما ينافي أول شروط الإيمان ﴿**الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ**﴾، فحذار أن تحذو حذوهم، فتضل وتشقى، والعياذ بالله تعالى. «التعليق على الترغيب والترهيب» (١/ ٤١٩). انتهى وصح كما سياتي عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، أنه قَالَ: «الْقُرْآنُ شَافِعٌ مُشَفَّعٌ» أي: شافع لتاليه ومشفع عند بارئه. وقد

تقدم فضل التلاوة والوصية بها من الرسول الكريم وبيان اجرها وصح قوله ﷺ: «القرآن شافع مشفع وماحل مصدق من جعله أمامه قاده إلى الجنة ومن جعله خلفه ساقه إلى النار». (حب هب) عن جابر (طب هب) عن ابن مسعود. صحيح الجامع (٤٤٤٣).

ومن فضلها شفاعتها بصاحب القران وتاليه ففي رواية للطبراني: «يُؤْتَى الرَّجُلُ فِي قَبْرِهِ، فَإِذَا أُتِيَ مِنْ قِبَلِ رَأْسِهِ دَفَعَتْهُ تِلَاوَةُ الْقُرْآنِ، وَإِذَا أُتِيَ مِنْ قِبَلِ يَدَيْهِ دَفَعَتْهُ الصَّدَقَةُ، وَإِذَا أُتِيَ مِنْ قِبَلِ رِجْلَيْهِ دَفَعَهُ مَشْيُهُ إِلَى الْمَسَاجِدِ »(حسن) صحيح الترغيب.

أما خصوصية شفاعة بعض سور القران فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «إِنَّ سُورَةً فِي الْقُرْآنِ ثَلَاثُونَ آيَةً تَسْتَغْفِرُ لِصَاحِبِهَا حَتَّى يُغْفَرَ لَهُ: ﴿**تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ**﴾ (الملك: ١)» رواه أحمد وَعَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ سُورَةً مِنْ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مَا هِيَ إِلَّا ثَلَاثُونَ آيَةً، شَفَعَتْ لِرَجُلٍ فَأَخْرَجَتْهُ مِنَ النَّارِ وَأَدْخَلَتْهُ الْجَنَّةَ وَهِيَ سُورَةُ تَبَارَكَ» (حسن). (ك) عن أبي هريرة. الترغيب (٢/٢٢٢).

هل يشفع القرآن لحافظه أم لقارئه ؟

النصوص التي تدل على شفاعة القرآن لأصحابه لم تشترط حفظهم له، فقد جاء في الحديث الذي أخرجه الإمام أبو عبيد بسنده عن أنس مرفوعاً: «القرآن شافع مشفع وماحل مصدق، من جعله إمامه قاده إلى الجنة ومن جعله خلفه ساقه إلى النار». اهـ. من فتوى فضيلة الدكتور أحمد طه ريان –أستاذ الفقه المقارن بجامعة الأزهر.

** **

(٢٠) اغتباط صاحب القرآن

عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**لَا حَسَدَ إِلَّا عَلَى اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الْقُرْآنَ فَهُوَ يَقُومُ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا، فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ**» متفق عليه.

(لا حسد)، أي لا غبطة (إلا على اثنتين) وقيل: لو كان الحسد جائزا لجاز عليهما (رجل) بالجر على البدلية، وقيل: بالرفع على تقدير هما أو منهما أو أحدهما (آتاه الله القرآن)، أي من عليه بحفظه له كما ينبغي (فهو يقوم به)، أي بتلاوته وحفظ مبانيه أو بالتأمل في أحكامه ومعانيه أو بالعمل بأوامره ومناهيه أو يصلي به ويتحلى بآدابه (آناء الليل وآناء النهار)، أي في ساعاتهما جمع إنى بالكسر بوزن معى وإنو وإني بسكون النون والمعنى: أنه لا يغفل عنه إلا في قليل من الأوقات (ورجل) بالوجهين (آتاه الله مالا)، أي حلالا (فهو ينفق)، أي لله في وجوه الخير منه (آناء الليل وآناء النهار)، أي في أوقاتهما (سرا وعلانية) ولعل هذه نكتة تقديم الليل في الموضعين والمراد في الحديث: لا غبطة محمودة إلا في هاتين الخصلتين اهـ يعني فيهما وأمثالهما، ولذا قال المظهر: يعني لا ينبغي أن يتمنى الرجل أن يكون له مثل صاحب نعمة إلا أن تكون النعمة مما يتقرب به إلى الله -تعالى- كتلاوة القرآن والتصدق بالمال وغيرهما من الخيرات اهـ يعني من العبادات البدنية والطاعات المالية (متفق عليه).

قال ابن كثير: صاحب القرآن فى غبطة، وهى حُسْنُ الحال، فينبغى أن يكون شديد الاغتباط بما هو فيه، ويستحب تغبيطه بذلك، يقال: غبِطه فيغبِطه غبطًا؛ إذا تمنَّى مثل ما هو فيه من النعمة، وهذا بخلاف الحسد المذموم، وهو تمنِّي زوال نعمة المحسود عنه،سواء حصلت لذلك الحاسد أو لا، وهذا مذموم شرعًا مهلك، وهو أول معاصى إبليس حين حسد آدم ما منحه الله تعالى من الكرامة والإحترام والإعظام.

نعمة القرآن والمال:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لاَ حَسَدَ إِلاَّ فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ عَلَّمَهُ اللهُ الْقُرْآنَ فَهُوَ يَتْلُوهُ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ،فَسَمِعَهُ جَارٌ لَهُ فَقَالَ: لَيْتَنِي أُوتِيتُ مِثْلَ مَا أُوتِيَ فُلاَنٌ فَعَمِلْتُ

مِثْلَ مَا يَعْمَلُ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالاً فَهْوَ يُهْلِكُهُ فِي الْحَقِّ،فَقَالَ رَجُلٌ: لَيْتَنِي أُوتِيتُ مِثْلَ مَا أُوتِيَ فُلاَنٌ فَعَمِلْتُ مِثْلَ مَا يَعْمَلُ». (خ، حم).

قال القسطلاني في« إرشاد الساري» (٧/٤٧١): قال في شرح المشكاة: أثبت الحسد لإرادة المبالغة في تحصيل النعمتين الخطيرتين يعني ولو حصلتا بهذا الطريق المذموم فينبغي أن يتحرّى ويجتهد في تحصيلهما، فكيف بالطريق المحمود لا سيما وكل واحدة من الخصلتين بلغت غاية لا أمد فوقها ولو اجتمعتا في امرئ بلغ من العلياء كل مكان. اهـ.

(حفظ القرآن وفهمه):

الأولى: الجديرة بالتمني، الحقيقة بالجدّ في إدراكها، والسعي في نوالها خلة رجل من الله عليه بالقرآن، فوهبه حفظه، وعلم ما تضمنه، من حلال وحرام وحكم وأحكام، وقصص وأخبار، وآداب وأخلاق، فذاق حلاوته وعرف مكانته، فحرص عليه الحرص كله، وعض عليه بالنواجذ واتخذه سميره وجليسه وخليله وأنيسه، فهو يتلوه آناء الليل، وآناء النهار، فلسانه به رطب، وقلبه حي، وعقله في نمو وعلو، ونفسه مهتدية بهديه، ومقتفية لأثره، يفصل به في المشكلات ويحكم في المنازعات، ويقضي على الشبهات، يفتي به المستفتين، ويفض شجار المتنازعين يدعو الناس إليه، ويحثهم على أن يقرئهم آيه، ويعلمهم أحكامه، يعظهم بعظاته، ويهديهم بكلماته، يبشرهم بما فيه من النعيم ويحذرهم عذاب الجحيم، فهو به عليم، ولأمره سميع، ولآيه قارىء، وبأحكامه فاصل، ولما فيه ناشر، فأورثه ذلك الحكمة التي يزن بها الأمور بميزان الحق.

ويقول فيها القول الفصل: ﴿**يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً وَما يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبابِ**﴾ (سورة البقرة: ٢٦٩).

نعم من أوتي القرآن أوتي خيرا كثيرا، أوتي صحة في جسم وطهارة في نفس، وكمالا في عقل، وسعة في مال، وعزة في تواضع، وشدة في رحمة، ورسوخا في علم، وصدقا في قول، وما يذكر بما يسمع إلا ذوو العقول الراجحة، والألباب الناضجة، فأولئك إذا سعد جدهم بجار علّمه الله القرآن، ووفقه لتلاوته ليله ونهاره يتمنون أن يؤتوا مثل ما أوتي من الذكر الحكيم، وأن

يوفقوا لتلاوته كما وفق، ويعملوا به كما عمل، فهذا منهم رجاء مشروع، وتمن محمود، جدير بالمسابقة إليه، والتنافس فيه.

(الاعتدال في إنفاق المال):

الثانية: الخليقة بالرغبة، الحرية بالغبطة خلة رجل وهبه الله مالا، فلم يكن فيه قتورا بخيلا، ولا مبذرا سفيها، يبدده بين الكأس والطاس، وينثره تحت اقدام المائلات المميلات الفاتنات الراقصات، ويرمي بيده على مناضد الميسر، ويهلكه في ولائم الرياء والشهرة، ولكن في سبيل الله ينفقه، وفي إقامة الحق يهلكه، وفي سبيل العزة لقومه، والاستقلال لبلده ينثره، يهذّب به نفسه ويرقى، ويعلم أولاده ويثقف، يصل به أقرباءه، ويواسي أصحابه، يفتح به المدارس، وينشىء المصحات والملاجىء، ويقيم المصانع، ويؤلف به الشركات النافعة، وينهض بالمشروعات المثمرة، ويعطف به على الأرامل والأيتام، والمساكين والفقراء يساعد به الغارمين، ويقضي به على الظالمين وينصر المظلومين، يفك به العانين، ويحرر المستعبدين.

فيده في إنفاقه مطلقة، ولا لآفة مهلكة؛ ولكن في سبيل الله؛ لا في سبيل الشيطان، وفي سبيل الحق والشرف. لا في سبيل الترف والسرف. فمن تمنى مثل هذا المال، ورجا الله أن يوفقه لمثل هذه الأعمال: كان ذا الخلة المحمودة، والغبطة المشكورة.

تانك هما الخلتان الخليقتان بالتمني، وإنهما لأس الفضائل، وجماع المكارم ثروة في العلم وثروة في المال، وقفهما على الخير؛ وجدّ بهما في النفع، فأي فضل بعد هذا في ذلك فليتنافس المتنافسون، ولمثل هذا فليعمل العاملون. اهـ. «الأدب النبوي» (١/١٩٥-١٩٨) للشيخ محمد عبد العزيز الخَوْلي.

** **

(٢١) منازل أهل القرآن من الجنة

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بن عمرو، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «**يُقَالُ لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: اقْرَأْ، وَارْقَ، وَرَتِّلْ كَمَا كُنْتَ تُرَتِّلُ فِي الدُّنْيَا، فَإِنَّ مَنْزِلَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرَؤُهَا**» أخرجه أبو داود (١٤٦٤) وغيره انظر « السلسلة الصحيحة» (٢٢٤٠).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**يَجِيءُ القُرْآنُ يَوْمَ القِيَامَةِ فيَقُولُ: يَا رَبِّ حَلِّهِ، فَيُلْبَسُ تَاجَ الكَرَامَةِ، ثُمَّ يَقُولُ: يَا رَبِّ زِدْهُ، فَيُلْبَسُ حُلَّةَ الكَرَامَةِ، ثُمَّ يَقُولُ: يَا رَبِّ ارْضَ عَنْهُ، فَيَرْضَى عَنْهُ، فَيُقَالُ لَهُ: اقْرَأْ وَارْقَ، وَيُزَادُ بِكُلِّ آيَةٍ حَسَنَةً**». «صحيح سنن الترمذي» (رقم٢٩١٥).

(لصاحب القرآن)، أي من يلازمه بالتلاوة والعمل لا من يقرؤه وهو يلعنه (اقرأ وارتق)، أي إلى درجات الجنة (في الدنيا) من تجويد الحروف ومعرفة الوقوف الناشئ عن علوم القرآن ومعارف الفرقان (فإن منزلك عند آخر آية تقرؤها) وقد ورد في الحديث أن درجات الجنة على عدد آيات القرآن.

قال الطيبي: وقيل: المراد أن الترقي يكون دائما، فكما أن قراءته في حال الاختتام استدعت الافتتاح الذي لا انقطاع له كذلك هذه القراءة والترقي في المنازل التي لا تتناهى، وهذه القراءة لهم كالتسبيح للملائكة لا تشغلهم من مستلذاتهم بل هي أعظم مستلذاتهم، وقال ابن حجر: ويؤخذ من الحديث أنه لا ينال هذا الثواب الأعظم إلا من حفظ القرآن وأتقن أداءه وقراءته كما ينبغي له، فإن قلت: ما الدليل على أن الصاحب هو الحافظ دون الملازم للقراءة في المصحف، قلت: الأصل فيها في الجنة أنه يحكي ما في الدنيا، وقوله في الدنيا صريح في ذلك على أن الملازم له نظرا لا يقال له صاحب القرآن على الإطلاق وإنما يقال ذلك لمن لا يفارق القرآن في حالة من الحالات، وأيضا ففي رواية عند أحمد: « «يقال لصاحب القرآن إذا دخل الجنة اقرأ واصعد فيقرأ ويصعد بكل أية درجة حتى يقرأ شيئا معه» « فقوله معه صريح في أنه حافظه.

وقال الطيبي: والمنزلة التي في الحديث هي ما يناله العبد من الكرامة على حسب منزلته في الحفظ والتلاوة لا غير، وذلك لما عرفنا من أصل الدين أن العامل بكتاب الله المتدبر له أفضل من الحافظ والتالي له إذا لم ينل شأنه في العمل والتدبر، وقد كان في الصحابة من هو أحفظ من الصديق وأكثر تلاوة منه وكان هو أفضلهم على الإطلاق لسبقه عليهم في العلم بالله وبكتابه وتدبره له وعمله به، وإن ذهبنا إلى الثاني وهو أحق الوجهين وأتمهما فالمراد من الدرجات التي يستحقها بالآيات سائرها وحينئذ تقدر التلاوة في القيامة على قدر العمل فلا يستطيع أحد أن يتلو آية إلا وقد أقام ما يجب عليه فيها، واستكمال ذلك إنما يكون للنبي ﷺ ثم للأمة بعده على مراتبهم ومنازلهم في الدين ومعرفة اليقين، فكل منهم يقرأ على مقدار ملازمته إياه تدبرا وعملا اهـ وهو في غاية من الحسن والبهاء ونهاية الظهور والجلاء ولا عبرة بطعن ابن حجر فيه وتضعيف كلامه وحمله على التكلفة والمنافاة لظاهر الحديث فإن التحقيق كما يستفاد من حديث: أن من عمل بالقرآن فكأنه يقرؤه دائما وإن لم يقرأه، ومن لم يعمل بالقرآن فكأنه لم يقرأه وإن قرأه دائما، وقد قال الله تعالى ﴿**كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب**﴾ (ص: ٢٩) فمجرد التلاوة والحفظ لا يعتبر اعتبارا يترتب عليه المراتب العلية في الجنة العالية.

قال الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٢٨٤/٥)واعلم أن المراد بقوله: (صاحب القرآن)، حافظه عن ظهر قلب على حد قوله ﷺ «يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله..» أي أحفظهم، فالتفاضل في درجات الجنة إنما هو على حسب الحفظ في الدنيا، وليس على حسب قراءته يومئذ واستكثاره منها كما توهم بعضهم، ففيه فضيلة ظاهرة لحافظ القرآن، لكن بشرط أن يكون حفظه لوجه الله تبارك وتعالى، وليس للدنيا والدرهم والدينار، وإلا فقد قال ﷺ: «أكثر منافقي أمتي قراؤها». وقد مضى تخريجه برقم (٧٥٠).

قال ابن الجوزي في «صيد الخاطر» (ص٢٨٣) فالموفق من تلمح قصر الموسم المعمول فيه، وامتداد زمان الجزاء الذي لا آخر له، فانتهب حتى اللحظة، وزاحم كل فضيلة، فإنها إذا فاتت، فلا وجه لاستدراكها، أوليس في الحديث: «يقال للرجل: اقرأ وارق، فمنزلك عند آخر آية تقرؤها؟» فلو أن الفكر عمل في هذا حق العمل، حفظ القرآن عاجلًا.

(٢٢) من جعل القرآن أمامه قاده إلى الجنة

عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**الْقُرْآن شَافِع مُشَفع وَمَاحِل مُصَدَّقٌ مَنْ جَعَلَهُ إِمَامَهُ قَادَهُ إِلَى الْجَنَّةِ وَمَنْ جَعَلَهُ خَلْفَ ظَهْرِهِ سَاقَهُ إِلَى النَّارِ**». أخرجه الطبراني وغيره انظر «السلسلة الصحيحة» (٢٠١٩).

قال الأمير الصنعاني في«التنوير» (١٠٧/٨) (القرآن شافع) لتاليه، (مشفع) عند بارئه (وما حل) أي مخاصم والمراد أنه مخاصم لمن تركه وأعرض عنه، (مصدق) عليه عند الله في خصامه، (من جعله أمامه) فاهتدى بهديه، (قاده إلى الجنة ومن جعله خلفه) وبإهماله وإضاعته (ساقه إلى النار) لأنه الهادي إلى الخير فمن أعرض عنه وقع في العذاب.

وفي «فيض القدير» (١٣٥/٤): (من جعله أمامه قاده إلى الجنة ومن جعله خلفه ساقه إلى النار) لأن القانون الذي تستند إليه السنة والإجماع والقياس فمن لم يجعله إمامه فقد بنى على غير أساس فانهار به في نار جهنم وقال الزمخشري في «الفائق» (٣٤٩/٣): الماحل الساعي وهو من المحال وفيه مطاولة وإفراط من التماحل ومنه المحل وهو القحط المتطاول الشديد يعني من اتبعه وعمل بما فيه فهو شافع له مقبول الشفاعة في العفو عن فرطاته ومن ترك العمل به نم على إساءته وصدق عليه فيما يرفع من مساويه وقال في «الزاهر» (١٠/١): معناه من شهد عليه القرآن بالتقصير والتضييع فهو في النار ويقال لا تجعل القرآن ماحلا أي شاهدا عليه. اهـ.

وفي «مسلم»: كتاب الله عز وجل هو حبل الله من اتبعه كان على الهدى ومن تركه كان على الضلالة. وفيه: والقرآن حجة لك أو حجة عليك، قال الإمام القرطبي في «التذكار» (ص ٦٠): القرآن حجة لمن عمل به واتبع ما فيه وحجة على من لم يعمل به ولم يتبع ما فيه، فمن أوتي علم القرآن فلم ينتفع به وزجرته نواهيه فلم يرتدع وارتكب من المآثم قبيحا ومن الجرائم فضوحا كان القران حجة عليه،وخصيما.

قال في «جامع العلوم والحكم» (٢٦/٢-٢٧): قال الله عز وجل: ﴿**ونتزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارا**﴾ (الإسراء: ٨٢).

قال بعض السلف: ما جالس أحد القرآن، فقام عنه سالما؛ بل إما أن يربح أو أن يخسر، ثم تلا هذه الآية.

قال ابن مسعود: يجيء القرآن يوم القيامة، فيشفع لصاحبه، فيكون قائدا إلى الجنة، أو يشهد عليه، فيكون سائقا إلى النار.

وقال أبو موسى الأشعري: إن هذا القرآن كائن لكم أجرا، وكائن عليكم وزرا، فاتبعوا القرآن، ولا يتبعكم القرآن، فإنه من اتبع القرآن هبط به على رياض الجنة، ومن اتبعه القرآن زج في قفاه، فقذفه في النار. مختصرا

قال أبو عبيد قوله: اتبعوا القرآن يقول: اجعلوه إمامكم ثم اتلوه؛ كما قال الله عز وجل: ﴿**الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته**﴾ (البقرة:١٢١) أي يتبعونه حق اتباعه.

وأما قوله: ولا يتبعنكم القرآن فإن بعض الناس يحمله على معنى: لا يطلبنكم القرآن بتضييعكم إياه، كما يطلب الرجل صاحبه بالتبعة. قال أبو عبيد: وهذا معنى حسن يصدقه الحديث الآخر: (إن هذا القرآن شافع مشفع، وماحل مصدق)، فجعله يمحل بصاحبه إذا لم يتبع ما فيه.

قال أبو عبيد: وفيه قول آخر أحسن من هذا، قوله: لا يتبعنكم القرآن: لا تدعوا العمل به فتكونوا قد جعلتموه وراء ظهوركم؛ كما فعل اليهود حين نبذوا ما أمروا به وراء ظهورهم. وهذا قريب من المعنى الأول؛ لأنه إذا اتبعه كان بين يديه، وإذا خالفه كان خلفه. اهـ «تهذيب اللغة» (٢/١٧٠).

وقد مضى قول شيخنا العلامة الألباني في بيان مجادلته شفاعته وانها على ظاهرها فقال عقب حديث: «الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة يقول الصيام: أي رب منعته الطعام والشهوات بالنهار فشفعني فيه. ويقول القرآن: منعته النوم بالليل فشفعني فيه. قال: فيشفعان «رواه أحمد وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (٣٨٨٢). أي: يشفعهما الله فيه ويدخله الجنة، قال المناوي: وهذا القول يحتمل أنه حقيقة بأن يجسد ثوابهما ويخلق الله فيه النطق ﴿**وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾، ويحتمل أنه على ضرب من المجاز والتمثيل.

قلت: والأول هو الصواب الذي ينبغي الجزم به هنا وفي أمثاله من الأحاديث التي فيها تجسيد الأعمال ونحوها، كمثل تجسيد الكنز شجاعاً أقرع، ونحوه كثير، وتأويل مثل هذه النصوص ليس من طريقة السلف، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، بل هو طريقة المعتزلة ومن سلك سبيلهم من الخلف، وذلك مما ينافي أول شروط الإيمان ﴿**الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ**﴾، فحذار أن تحذو حذوهم، فتضل وتشقى، والعياذ بالله تعالى. «التعليق على الترغيب والترهيب» (١/ ٤١٩). اهـ.

** **

(٢٣) إعظام أهل القرآن وتقديمهم وإكرامهم

عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الْبَدْرِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**يَؤُمُّ الْقَوْمَ أَقْرَؤُهُمْ لِكِتَابِ اللَّهِ وَأَقْدَمُهُمْ قِرَاءَةً فَإِنْ كَانُوا فِي الْقِرَاءَةِ سَوَاءً فَلْيَؤُمَّهُمْ أَقْدَمُهُمْ هِجْرَةً فَإِنْ كَانُوا فِي الْهِجْرَةِ سَوَاءً، فَلْيَؤُمَّهُمْ أَكْبَرُهُمْ سِنًّا وَلَا يُؤَمُّ الرَّجُلُ فِي بَيْتِهِ وَلَا فِي سُلْطَانِهِ وَلَا يُجْلَسُ عَلَى تَكْرِمَتِهِ إِلَّا بِإِذْنِهِ**»، قَالَ شُعْبَةُ: فَقُلْتُ لِإِسْمَاعِيلَ: مَا تَكْرِمَتُهُ؟ قَالَ: فِرَاشُهُ.

قال الألباني في «صحيح أبي داود – الأم» (حديث رقم ٥٩٤): إسناده صحيح على شرط مسلم، وأخرجه هو وأبو عوانة في «صحيحيهما». وأخرجه مسلم (١٣٣/٢)، وأبو عوانة أيضا، وابن ماجه (٣١٠/١)، وأحمد (١١٨/٤ و ١٢١) من طريق أخرى عن شعبة ... به؛ وزاد حجاج -عند أبي عوانة-: «فَلْيَؤُمَّهُمْ أَعْلَمُهُمْ بِالسُّنَّةِ، فَإِنْ كَانُوا فِي السُّنَّةِ سَوَاءً فَأَقْدَمُهُمْ هِجْرَةً...» وذكر الحديث.

قال الله تعالى: ﴿**قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ**﴾ (الزمر: ٩).

قال في «حجة الله البالغة» سبب تقديم الأقرأ أنه ﷺ حد للعلم حدا معلوما كما بينا، وكان أول ما هنالك معرفة كتاب الله لأنه أصل العلم، وأيضا فإنه من شعائر الله، فوجب أن يقدم صاحبه، وينوه بشأنه؛ ليكون ذلك داعيا إلى التنافس فيه، وليس كما يظن أن السبب احتياج المصلي إلى القراءة فقط، ولكن الأصل حملهم على المنافسة فيها، وإنما تدرك الفضائل بالمنافسة، وسبب خصوص الصلاة باعتبار المنافسة احتياجها إلى القراءة فليتدبر. ثم من بعدها معرفة السنة لأنه تلو الكتاب، وبها قيام الملة، وهي ميراث النبي ﷺ في قومه. (٤١/١-٤٢) «الشاه ولي الله الدهلوي».

قال ابن القيم: إن النبي قدم بالفضائل العلمية في أعلا الولايات الدينية وأشرفها وقدم بالعلم بالأفضل على غيره -وذكر الحديث- فقدم في الإمامة تفضيله العلم على تقدم الإسلام والهجرة ولما كان العلم بالقرآن أفضل من العلم بالسنة لشرف معلومه على معلوم السنة قدم العلم به ثم قدم العلم بالسنة على تقدم الهجرة وفيه من زيادة العمل ماهو متميز به لكن إنما راعى

التقديم بالعلم ثم بالعمل وراعى التقديم بالعلم بالأفضل على غيره وهذا يدل على شرف العلم وفضله وإن أهله هم أهل التقدم إلى المراتب الدينية.

ولا ريب أن الذي ينبغي تقديمه لمثل هذه العبادة، ليكون وافد المؤتمين به إلى الله: هو من أرشد إليه ﷺ بقوله: «يؤم القوم أقرأهم...» إلى آخر الحديث.

إنما الشأن فيمن يلعب به الشيطان في الوسوسة المفضية إلى إساءة الظن بأئمة الصلاة المتبعين للسنة، فيوقع في قلبه العداوة لكل واحد منهم، بمجرد خيالات مختلة وضلالات مضلة، فيقول له: هذا العالم لا يصلح للإمامة لكونه كذا وهذا الفاضل لا يصلح لها لكونه كذا ثم ينقله من درجة إلى درجة، ومن واحد إلى واحد، حتى لا يجد على ظهر البسيطة من يصلح لإمامة الصلاة، فهذا مخدوع؛ قد لعب به الشيطان كيف يشاء، حتى أحرمه (٣) فضيلة الجماعة التي هي من أعظم شعائر الإسلام، وأجل أسباب الأجور، ومع هذا؛ فهو قد أوقعه في ورطة أخرى، وهي حمل جميع المسلمين على غير السلامة، فصار ظالما لكل واحد منهم مظلمة يستوفيها منه بين يدي الجبار. وقد ينضم إلى هذه المصائب أن هذا الذي صار في يد الشيطان يلعب به كيف يشاء؛ قد يعتقد الفضل في نفسه، وأن الإمامة لم تكن تصلح إلا له، ولم يكن يصلح إلا لها، فيجتنب الجماعة ولا يقتدي بأحد من المسلمين، بل يجمع له جماعة يكون إمامهم، فهو أشقى ممن قبله؛ لأنه اعتقد أنه لم يبق في أرض الله من عباده الصلحاء سواه، فلا حياه الله ولا بياه! «الروضة الندية» (ص ٣٢).

ومما اختصَّ الله تعالى به حافظ القرآن خصائص في الدنيا وفي الآخرة، منها:

١. أنه يُقدَّم على غيره في الصلاة إماماً، عن عبد الله بن عمر قال: لما قدم المهاجرون الأولون العصبة موضع بقباء قبل مقدم رسول الله ﷺ كان يؤمهم سالم مولى أبي حذيفة وكان أكثرهم قرآنا. رواه البخاري (٦٦٠).

٢. أنه يقدَّم على غيره في القبر في جهة القبلة إذا اضطر لدفنه مع غيره عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: كان النَّبي ﷺ يجمع بين الرجلين من قتلى «أحد» في ثوب واحد ثم يقول:

أيهم أكثر أخذاً للقرآن؟ فإذا أشير له إلى أحدهما قدَّمه في اللحد وقال: أنا شهيد على هؤلاء يوم القيامة وأمر بدفنهم في دمائهم ولم يغسلوا ولم يصل عليهم. رواه البخاري (١٢٧٨).

٣. يقدّم في الإمارة والرئاسة إذا أطاق حملها كما تقدم. اهـ.

٤. عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، والحديث رواه البخاري في صحيحه قال: (كان القراء أصحاب مجلس عمر وأهل مشورته) كان لا يجالس إلا أهل القرآن ويشاورهم.

٥. عمرو بن سلمة، قال: لما كان يوم الفتح، جعل الناس يمرون علينا قد جاءوا من عند رسول الله ﷺ، فكنت أقرأ، وأنا غلام، فجاء أبي بإسلام قومه إلى رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «يؤمكم أكثركم قرآنا»، فنظروا، فكنت أكثرهم قرآنا، قال: فقالت امرأة: غطوا است قارئكم، قال: فاشتروا له بردة، قال: فما فرحت أشد من فرحي بذلك. قال العلامة شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط البخاري «مسند أحمد» (رقم٢٠٦٨٥)

** **



(٢٤) من إجلال الله عز وجل إكرام أهل القرآن

عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**إِنَّ مِنْ إِجْلَالِ اللَّهِ إِكْرَامَ ذِي الشَّيْبَةِ الْمُسْلِمِ، وَحَامِلِ الْقُرْآنِ غَيْرِ الْمُغَالِي فِيهِ وَالْجَافِي عَنْهُ، وَإِكْرَامَ ذِي السُّلْطَانِ الْمُقْسِطِ**».

أخرجه أبو داوود وغيره انظر «صحيح الجامع» (رقم٢١٩٩).

من هو حامل القرآن ؟

(حامل القرآن) أي قارئه (غير الغالي فيه) أي غير المتجاوز الحد في العمل به وتتبع ما خفي منه واشتبه عليه من معانيه وفي حدود قراءته ومخارج حروفه (والجافي عنه) أي التارك له البعيد عن تلاوته والعمل بما فيه قال ابن الأثير: وقيد بقوله غير الغالي إلخ لأن من أخلاقه التي أمر بها القصد في الأمور والغلو التشديد في الدين ومجاوزة الحد والتجافي البعد عنه. فالغلو من صفات النصارى، والجفاء من صفات اليهود، والقصد هو المأمور به. «الحكم الجديرة بالإذاعة من قول النبي ﷺ بعثت بالسيف بين يدي الساعة» (ص٤٧)

(إن من إجلال الله) أي: تعظيمه وتكريمه والمصدر مضاف إلى الفاعل أو المفعول قاله ابن الملك، والظاهر هو الثاني، كما هو متعين في قوله: (إكرام ذي الشيبة المسلم، وحامل القرآن) أي: وإكرام قارئه وحافظه ومفسره (غير الغالي فيه): بالجر، أي: غير المجاور عن الحد لفظا ومعنى كالموسوسين والشكاكين أو المرائين أو الخائن في لفظه بتحريفه كأكثر العوام، بل وكثير من العلماء أو في معناه بتأويله الباطل كسائر المبتدعة. (ولا الجافي عنه)، أي: وغير المتباعد عنه المعرض عن تلاوته، وأحكام قراءته، وإتقان معانيه، والعمل بما فيه، وقيل: الغلو المبالغة في التجويد أو الإسراع في القراءة، بحيث يمنعه عن تدبر المعنى، والجفاء أن يتركه بعدما علمه لا سيما إذا كان نسيه، فإنه عد من الكبائر. في النهاية. قال أبو عمر: حملة القرآن هم العالمون بأحكامه، وحلاله وحرامه، والعاملون بما فيه. (١/٢٦).

وقيل: (حامل القرآن حامل راية الإسلام) استعارة فإنه لما كان حاملا للحجة المظهرة للإسلام وقمع الكفار كان كحامل الراية في حربهم. اهـ. «فيض القدير» (٣/٣٦٨).

قلت: ولا يصح رفعه للنبي ﷺ بل حكم الألباني عليه بالوضع. انظر «السلسلة الضعيفة» (٣٦٨).

ما ينبغي أن يتصف به حامل القرآن:

قال الامام القرطبي في «تفسيره» (١/ ١٩-٢١): فيجب على حامل القرآن وطالب العلم أن يتقي الله في نفسه ويخلص العمل لله، فإن كان تقدم له شي مما يكره فليبادر التوبة التوبة والإنابة، وليبتدئ الإخلاص في الطلب. عمله. فالذي يلزم حامل القرآن من التحفظ أكثر مما يلزم غيره، كما أن له من الأجر ما ليس لغيره. قال سفيان بن عيينة: بلغنا عن ابن عباس أنه قال: لو أن حملة القرآن أخذوه بحقه وما ينبغي لأحبهم الله، ولكن يلبوا به الدنيا فأبغضهم الله، وهانوا على الناس. قال ابن مسعود: ينبغي لقارئ القرآن أن يعرف بليله إذا الناس نائمون، وبنهاره إذا الناس مستيقضون، وببكائه إذ الناس يضحكون، وبصمته إذا الناس يخوضون، وبخضوعه إذا الناس يختالون، وبحزنه إذا الناس يفرحون. وقال عبد الله بن عمرو: لا ينبغي لحامل القرآن أن يخوض مع من يخوض، ولا يجهل مع من يجهل، ولكن يعفو ويصفح لحق القرآن، لأن في جوفه كلام الله تعالى. وينبغي له أن يأخذ نفسه بالتصاون عن طرق الشبهات، ويقل الضحك والكلام في مجالس القرآن وغيرها بما لا فائدة فيه، ويأخذ نفسه بالحلم والوقار. وينبغي له أن يتواضع للفقراء، ويتجنب التكبر والإعجاب، ويتجافى عن الدنيا وأبنائها إن خاف على نفسه الفتنة، ويترك الجدال والمراء، ويأخذ نفسه بالرفق والأدب. وينبغي له أن يكون ممن يؤمن شره، ويرجى خيره ويسلم من ضره، وألا يسمع ممن نم عنده، ويصاحب من يعاونه على الخير ويدله على الصدق ومكارم الأخلاق ويزينه ولا يشينه، وينبغي له أن يتعلم أحكام القرآن، فيفهم عن الله مراده وما فرض عليه، فينتفع بما يقرأ ويعمل بما يتلو، فكيف يعمل بما لا يفهم معناه، وما أقبح أن يسأل عن فقه ما يتلوه ولا يدريه، فما مثل من هذه حالته إلا كمثل الحمار يحمل أسفارا.

قال محمد بن الحسين في «أخلاق القرآن» (ص١٠١): إن أهل القرآن ينبغي أن تكون أخلاقهم مباينة لأخلاق من سواهم ممن لم يعلم كعلمهم إذا نزلت بهم الشدائد لجئوا إلى الله فيها

ولم يلجئوا فيها إلى مخلوق، وكان الله أسبق إلى قلوبهم، قد تأدبوا بأدب القرآن والسنة، فهم أعلام يهتدى بهم؛ لأنهم خاصة الله وأهله ﴿**أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون**﴾ (المجادلة: ٢٢).

** **

(٢٥) أهل القرآن لا تحرقهم النار

عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: «**لَوْ جُعِلَ الْقُرْآنُ فِي إِهَابٍ، ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ مَا احْتَرَقَ**» أخرجه الدارمي في «سننه» (٢/ ٤٣٠) وغيره، انظر «الصحيحة» (٣٥٦٢).

«**لوكان القرآن في إهاب ما أكلته النار**». (طب) عن عقبة بن عامر وعصمة بن مالك. «المشكاة» (٢١٤٠). «**لو جمع القرآن في إهاب ما أحرقه الله بالنار**». (هب) عن عصمة بن مالك. المشكاة ٢١٤٠.

قال العلامة الألباني في «الصحيحة» (٣٥٦٢): الحديث تكلم عليه المناوي في «فيض القدير»، ونقل أقوال العلماء الذين أعلوه من جميع طرقه، واستدرك عليهم بقوله: لكنه يتقوى بتعدد طرقه.

وقد أطال النفس في شرحه وبيان المراد منه دون طائل، والظاهر أن المراد ما قاله أئمة الحديث، منهم البيهقي، فقال في «الشعب» عن أبي عبد الله: يعني: أن من حمل القرآن وقرأه؛ لم تمسه النار. وأبو عبد الله: هو البوشنجي. وروى مثله في «الأسماء» عن الإمام أحمد.

وإن مما لا شك فيه: أن المراد حامل القرآن وحافظه وتاليه لوجه الله تبارك وتعالى، لا يبتغي عليه جزاءٌ ولا شكوراً إلا من الله عز وجل، وإلا؛ كان كما قال أبو عبد الرحمن- وهو عبد الله بن يزيد المقرئ- كما في «مسند أبي يعلى»: تفسيره: أن من جمع القرآن، ثم دخل النار؛ فهو شر من خنزير.

قال الطيبي في «شرحه للمشكاة» (٥/١٦٦٢) قيل: كان ذلك معجزة للقرآن من زمن النبي ﷺ، كما تكون الأيات في عصر الأنبياء، وقيل: معناه من علمه الله القرآن لم تحرقه نار الآخرة، فجعل جسم حافظ القرآن كالإهاب له، وذكر في شرح السنة بعد القول الثانى: هذا كما روى عن أبي أمامة (احفظوا القرآن، فإن الله تعالي لا يعذب بالنار قلباً وعى القرآن)، وزاد علي القولين: قال أحمد بن حنبل: معناه لو كان القرآن في إهاب يعنى في جلد في قلب رجل، لرجى

لمن القرآن محفوظ في قلبه أن لا تمسه النار. وإنما ضرب ضرب المثل بالإهاب، وهو الجلد الذي لم يدبغ؛ لأن الفساد إليه أسرع ونفخ النار فيه أنفذ؛ ليبسه وجفافه، بخلاف المدبوغ للينه، المعنى: لو قدر أن يكون القرآن في إهاب ما مسته النار لبركة مجاورته للقرآن، فكيف بالمؤمن الذي تولي حفظه، والمواظبة عليه؟ والمراد بالنار نار الله الموقدة، المميزة بين الحق والباطل.

وقال القاضي: هذا هو الأولى، ويحتمل أن يكون جنس النار. وأقول: لعل الجنس أقرب، وضرب المثل بالإهاب بالتحقير أحرى. ورواية (مسته) كما في أكثر النسخ أولي من (احترق)، وتحريره أن التمثيل وارد علي المبالغة والفرض والتقدير (فلو) كما في قوله تعالي: ﴿**قل لو كان البحر مداداً**﴾ الآية، أي ينبغي ويحق أن القرآن لو كان في مثل هذا الشيء الحقير الذي يؤبه به ويلقى في النار ما مسته، فكيف بالمؤمن الذي هو أكرم خلق الله وافضلهم، وقد وعاه في صدره، وتفكر في معانيه، وواظب علي قراءته، وعمل بما فيه بجوارحه، كيف يمسه فضلا عن أن يحرقه؟ وفي معنى الحقارة والمحاورة وصيرورته موقى محترماً؟، قال الشاعر:

من عاشر الشرفاء شرف قدره ... ومعاشر السفهاء غير مشرف

فانظر إلي الجلد الحقير مقبلا ... بالثغر لما صار جار المصحف

وبهذا التأويل وقع التناسب بين هذا الحديث وبين السابق، وحسن التشبيهان في المبالغة عن نيل الكرامة فإذن الفوز بها، وفي التوقى عن الخزى والنكال، قال تعالي: ﴿**إنك من تدخل النار فقد أخزيته**﴾ فإذن المعنى: أن من قرأ وعمل ألبس والداه تاجاً فكيف بالقارئ العامل؟ ولو جعل القرآن في إهاب وألقى في النار ما مسته النار، فكيف بالتالي العامل؟ (وثم) في قوله: (ثم ألقى) وإنهما أمران منافيان لرتبة القرآن، وإن الثانى أعظم من الأول، وهذا يؤيد ما ذهبنا إليه أن سياق الكلام وارد علي التحقير والتعظيم.

قال الإمام ابن الجوزي: إن قوما من القراء يتسامحون بشيء من الخطايا كالغيبة للنظراء وربما أتوا أكبر من ذلك الذنب واعتقدوا أن حفظ القرآن يرفع عنهم العذاب واحتجوا بقوله عَلَيْهِ الصلاة والسلام: «لو جعل القرآن فِي إهاب مَا احترق» وذلك من تلبيس إبليس عليهم. انظر «تلبيس إبليس» (ص١٠٢).

(٢٦) تفضل الله جل وعلا على الماهر بالقرآن بكونه مع السفرة وعلى من يصعب عليه قراءته بتضعيف الأجر له

عَنْ عَائِشَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَهُوَ مَاهِرٌ بِهِ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَرَةِ، وَالَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ** -قَالَ هِشَامٌ: **وَهُوَ عَلَيْهِ شَدِيدٌ**، وَقَالَ شُعْبَةُ- **وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ فَلَهُ أَجْرَانِ**». أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي الصَّحِيحِ مِنْ حَدِيثِ شُعْبَةَ، وَأَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ، مِنْ حَدِيثِ هِشَامٍ الدَّسْتُوَائِيِّ

«**المَاهِرُ بِالْقُرْآنِ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَرَةِ وَالَّذِي يَقْرَؤُهُ وَيَتَعْتَعُ فِيهِ وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ لَهُ أجران**» (ق د هـ) انظر حديث رقم: (٦٦٧٠) في «صحيح الجامع».

(الماهر بالقرآن) أي الحاذق به الذي لا يتوقف ولا يشق عليه قراءته لجودة حفظه وإتقانه ورعاية مخارجه بسهولة من المهارة وهي الحذق (مع السفرة) الكتبة جمع سافر والمراد الملائكة (الكرام) جمع كريم (البررة) أي المطيعين جمع بار بمعنى محسن ومعنى كونه معهم كونه رفيقا لهم أو عاملا بعملهم بل أفضل قال القاضي: الماهر بالقرآن حافظ له أمين عليه يؤديه إلى المؤمنين يكشف لهم ما يلتبس عليهم معدود من عداد السفرة فإنهم الحاملون لأصله الحافظون له ينزلون به على أنبياء الله ورسله ويؤدون إليهم ألفاظه ويكشفون معانيه (والذي يقرؤه ويتعتع) أي يتوقف في تلاوته والتعتعة في الكلام التردد فيه لحصر أو عي أو ضعف حفظ (وهو عليه) أي والحال أن القرآن على ذلك القارئ (شاق له أجران) أي أجر بقراءته وأجر بمشقته ولا يلزم من ذلك أفضلية المتتعتع على الماهر لأن كون الماهر مع السفرة أفضل من حصول أجرين بل الآجر الواحد قد يفضل أجورا كثيرة. «تحفة الذاكرين» (ص٣٩٤).

قال ابن الجوزي:« الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة، الماهر: الحاذق، والسفرة: الملائكة، وفي تسميتهم بالسفرة قولان: أحدهما: أنه مأخوذ من البيان والإيضاح، فسموا سفرة: أي كتبة؛ لأن الكاتب يبين الشيء ويوضحه، ويقال للكاتب سافر.

والثاني: مأخوذ من السفارة، والسفير: الذي يصلح بين الاثنين، يقال: سفرت بين القوم: أي أصلحت، وفيها يسفرون فيه قولان: أحدهما: أنهم يسفرون فيها بين الله وأنبيائه.

والثاني: في صلاح الناس، لأنهم ينزلون بالوحي والتأديب المصلح، وقوله: الكرام البررة: أي كرام على ربهم، بررة: أي مطيعون، والتعتعة: التردد في الشيء والتبلد.

وربما تخايل السامع في قوله: (له أجران) أنه يزيد على الماهر، وليس كذلك؛ لأن المضاعفة للماهر لا تحصر؛ فإن الحسنة قد تضاعف إلى سبعمائة وأكثر، فإنما الأجر شيء مقدر، فالحسنة لها ثواب معلوم، وفاعلها يعطى ذلك الثواب مضاعفا إلى عشر مرات، ولهذا المقصر منه أجران.

فإن قيل: فهلا جعل أجر هذا الذي يشق عليه القرآن أكثر، لأن مشقته أعظم؟ فالجواب من وجهين:

أحدهما: أنه لا يمهر منه غالبا إلا عن كثرة الدراسة، ولا يقع التتعتع

غالبا إلا عن قلتها، فباجتهاد الحافظ حتى استقر في قلبه ارتفع أجره والثاني: أن يفضل الحافظ الفهم على البليد لجوهرية خص بها لا تكسب، كما فضل العربي على الكودن، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء. «كشف المشكل» (٤/ ٣٦٥-٣٦٦).

قال النووي: قال القاضي وغيره من العلماء وليس معناه الذي يتتعتع عليه له من الأجر أكثر من الماهر به بل الماهر أفضل وأكثر أجرا لأنه مع السفرة وله أجور كثيرة ولم يذكر هذه المنزلة لغيره وكيف يلحق به من لم يعتن بكتاب الله تعالى وحفظه وإتقانه وكثرة تلاوته وروايته كاعتنائه حتى مهر فيه. والله أعلم. (٦/ ٨٤-٨٥) «شرح مسلم».

قال الغنيمان: فالمهارة بالقرآن: جودة الحفظ، وجودة التلاوة، من غير تردد فيه؛ لأن الله - تعالى يسره عليه كما يسره على الملائكة الكرام البررة، فكان مثلهم في قراءة القرآن ومعهم في الدرجة عند الله -تعالى-.

وتقدم الكلام على معنى قوله: (زينوا القرآن بأصواتكم)، وأن المراد به: تحسين الصوت حتى يجذب المستمع إلى الإصغاء إليه، ويجد به لذة، وينفتح له قلبه، وتحسين الصوت فعل العبد، ووصفه، ولهذا قال في (خلق أفعال العباد): (فبين النبي ﷺ أن أصوات الخلق، ، وقراءتهم، ودراستهم وتعليمهم، وألسنتهم مختلفة، بعضها أحسن، وأزين، وأحلى، وأصوت، وأرتل،

وأعلى، وألحن، وأخف، وأغض، وأخشع، قال تعالى: ﴿وَخَشَعَتِ الأَصوَاتُ لِلرَّحمَنِ فَلاَ تَسمَعُ إِلا هَمساً﴾ وأجهر، وأخفى، وأمهر، وأمد، وألين، وأخفض من بعض، ثم ذكر بسنده عن عائشة رَضِيَاللهُعَنهَا ، عن النبي ﷺ قال: (الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة، والذي يشتد عليه له أجران). شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري (٢/ ٥٩٢-٥٩٣).

قال أبو يعقوب إسحاق بن راهويه: معناه أجران يعني نفس الحروف أي أجر كل حرف يضاعف له حتى يصير له أجران، والماهر به هو فوقه كما جاء: من قال مثل ما يقول المؤذن فله مثل أجره يعني مثل أجر الكلمات التي تكلم بها المؤذن، ويفضله المؤذن بما صار مؤذنا فله مثل أجر من سمعه من رطب ويابس وهو كالمتشحط في دمه وهو أول من يكسى. وأشباه ذلك خص بها المؤذن. «مسند إسحاق بن راهويه».

فال محمد بن الحسين في «اخلاق القران»:أحب لمن كان يقرئ أن لا يدرس عليه وقت الدرس إلا واحد، ولا يكون ثانيا معه فهو أنفع للجميع وأما التلقين: فلا بأس أن يلقن الجماعة، وينبغي لمن قرأ عليه القرآن فأخطأ عليه أو غلط، أن لا يعنفه وأن يرفق به، ولا يجفو عليه، ويصبر عليه، فإني لا آمن أن يجفو عليه فينفر عنه، وبالحري أن لا يعود إلى المسجد وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: «إنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين».

*** ***

(٢٧) استحباب قراءة القرآن على أهل الفضل والحذاق فيه

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّ نَبِيَّ اللهِ ﷺ قَالَ لِأُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ: «**إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أُقْرِئَكَ الْقُرْآنَ أَوْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ**» قَالَ: آللَّهُ سَمَّانِي لَكَ؟ قَالَ: «**نَعَمْ**» قَالَ: قَدْ ذُكِرْتُ عِنْدَ رَبِّ الْعَالَمِينَ؟ قَالَ: «**نَعَمْ**» قَالَ: فَذَرَفَتْ عَيْنَاهُ، وفي رواية: «**إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾** (البينة: ١)» قَالَ: وَسَمَّانِي لَكَ؟ قَالَ: «**نَعَمْ**» فَبَكَى. متفق عليه.

قال رسول الله ﷺ لأبي بن كعب: إن الله أمرني أن أقرأ عليك القرآن، أي بالخصوص من بين الأقران (قال: آلله) بهمزتين الأولى للاستفهام وقلبت الثانية ألفا إبقاء للاستفهام ويجوز تسهيلها ويجوز الحذف للعلم بها، وهذا معنى قول الطيبي: آلله بالمد بلا حذف وبالحذف بلا مد (سماني لك؟)، أي ذكرني باسمي لك، قال الطيبي: والمقصود التعجب إما هضما، أي أنى لي هذه المرتبة، وإما استلذاذا بهذه المنزلة الرفيعة (قال: نعم، قال: وقد ذكرت)، أي أوقع ذلك والحال أني قد ذكرت على الخصوص أو بهذا الوجه المخصوص، قال الطيبي: تقرير للتعجب (عند رب العالمين؟)، أي مع عظمته وحقارتي، قال الطيبي: وعند هنا كناية عن الذات وعظمته، والأظهر أنه كناية عن قربه ومزيد رحمته (قال: نعم، فذرفت عيناه)، أي جرى دمع عينيه، أي سرورا وفرحا بتسمية الله -تعالى- إياه في أمر القراءة أو خوفا من العجز عن قيام شكر تلك النعمة، ووجه تخصيصه بذلك أنه بذل جهده في حفظ القرآن وما ينبغي له حتى قال ﷺ: «أقرؤكم أبي» ولما قيض له من الإمامة في هذا الشأن أمر الله نبيه ﷺ أن يقرأ عليه ليأخذ عنه ﷺ التلاوة كما أخذه نبي الله ﷺ عن جبريل، ثم يأخذه على هذا النمط الآخر عن الأول والخلف عن السلف، وقد أخذ عن أبي بشر كثيرون من التابعين، ثم عنهم من بعدهم، وهكذا فسرى فيه سر تلك القراءة عليه حتى سرى سره في الأمة إلى الساعة (وفي رواية: «إن الله أمرني أن أقرأ عليك» ﴿**لم يكن الذين كفروا**﴾ «قيل: لأن فيه قصة أهل الكتاب، وكان أبي من أحبار اليهود فأراد ﷺ أن يعلمه حالهم وخطاب الله إياهم فيتقرر إيمانه بالله تعالى ونبوته ﷺ أشد تقررا، ثم يحتمل أن هذه الرواية مبينة للقرآن في الرواية الأولى، ويحتمل أن يكون قضية أخرى، وقال النووي: وفي الحديث فوائد جمة منها استحباب القراءة على الحذاق وأهل العلم به وإن كان القارئ أفضل من

المقروء عليه، ومنها المنقبة الشريفة لأبي ولا نعلم أن أحدا شاركه فيها، وأما تخصيص قراءة لم يكن فلأنها وجيزة جامعة لقواعد كثيرة من أصول الدين ومهمات في الوعد والوعيد والإخلاص وتطهير القلوب، وكان الوقت يقتضي الاختصار اهـ ومنها البكاء للسرور والفرح بما يبشر الإنسان به، وبما يعطاه من معالي الأمور. وكان أبي مقدماً علي قراء الصحابة، وقد قال ﷺ: (أقرأكم أبي).

وفي الحديث دليل لما قاله العلماء: إن القرآن يطلق على الكل وعلى البعض إذ لم يعلم أنه ﷺ قرأ على أبي جميع القرآن (قال: وسماني؟)، أي لك كما في نسخة (قال: نعم، فبكى)

الجمع بين الروايتين:

«إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أُقْرِئَكَ الْقُرْآنَ أَوْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ»: قلت:-العيني- القراءة عليه نوع من أقرائه وبالعكس، قال في (الصحاح) فلان قرأ عليك السلام وأقرأك السلام بمعنى، وقد يقال أيضا: كان في قراءته قصور فأمر الله تعالى رسوله ﷺبأن يقرئه على التجويد ويقرأ عليه ليتعلم منه حسن القراءة وجودتها، ولو صح هذا القول كان اجتماع الأمرين القراءة عليه والإقراء ظاهرا. «عمدة القاري» (١٩/ ٣١٠)

قال شيخ الإسلام ابن تيمية قوله: ﴿**أن أقرأ عليك**﴾ أي قراءة تبليغ وإسماع وتلقين ليس هي قراءة تلقين في تصحيح كما يقرأ المتعلم على المعلم. فإن هذا قد ظنه بعضهم وجعلوا هذا من باب التواضع. وجعل أبو حامد هذا مما يستدل به على تواضع المتعلم وليس هذا بشيء. فإن هذه القراءة كان يقرؤها على جبريل يعرض عليه القرآن كل عام فإنه هو الذي نزل عليه القرآن. وأما الناس فمنه تعلموه فكيف يصحح قراءته على أحد منهم أو يقرأ كما يقرأ المتعلم؟ ولكن قراءته على أبي بن كعب كما كان يقرأ القرآن على الإنس والجن. فقد قرأ على الجن القرآن. وكان إذا خرج إلى الناس يدعوهم إلى الإسلام ويقرأ عليهم القرآن. ويقرؤه على الناس في الصلاة وغير الصلاة. قال تعالى: ﴿**فما لهم لا يؤمنون**﴾ ﴿**وإذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون**﴾ وقال تعالى: ﴿**إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا**﴾ وقال تعالى: ﴿**لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته**﴾. وذكر مثل هذا في غير موضع. فهو

يتلو على المؤمنين آيات الله. وأبي بن كعب أمر بتخصيصه بالتلاوة عليه لفضيلة أبي واختصاصه بعلم القرآن كما ثبت في الصحاح عن عمر أنه قال: أبي أقرؤنا وعلي أقضانا. وفي الصحيح أنه ﴿**قال لابن مسعود: اقرأ علي القرآن. قال: أقرأ عليك وعليك أنزل؟ قال: إني أحب أن أسمعه من غيري**﴾. فقراءة ابن مسعود عليه في هذا الموضع لإسماعه إياه لا لأجل التصحيح والتلقين. مجموع الفتاوى (١٦/٤٨١-٤٨٢) انظر ترجمته في «طبقات ابن سعد» (٣/٤٩٨ - ٥٠٢) و«سير أعلام النبلاء» (١/٣٨٩ - ٤٠٢) و«تهذيب الكمال» (٢/٢٦٢ - ٢٧٣).

قال شيخنا العلامة الدكتور توفيق ضمرة في كتابه «أحسن البيان في شرح طرق الطيبة» (ص١١): فان من أجل العلوم وأشرفها تلاوة القرآن الكريم وتعلم أحكامه من أفواه العلماء المتقنين، فصفة التلاوة متلقاة من الله سبحانه وتعالى، ولذلك قال السلف: القراءة سنة متبعة يأخذها الآخر عن الأول.

علو سند القران الكريم:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» (١٢/٩٨): القرآن كلام الله كله لفظه ومعناه سمعه جبريل من الله وبلغه إلى محمد ﷺ وسمعه محمد منه وبلغه محمد إلى الخلق والخلق يبلغه بعضهم إلى بعض ويسمعه بعضهم من بعض.

قال العلامة محمودالدوسري: نوه الله تعالى بشأن من نزل بالقرآن على رسولنا محمد ﷺ، وهو جبريل عليه السلام، أمين الوحي الالهي، وذكر فضله في عدة آيات منها: قال تعالى: ﴿**قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُواْ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ**﴾ النحل، آية: ١٠٢). وقال تعالى: ﴿**وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ**﴾ (الشعراء، آية: ١٩٢. ١٩٤).

وقد وصف الله تعالى جبريل عليه السلام بخمس صفات في قوله تعالى: ﴿**إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ * مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ**﴾ (التكوير: ١٩ -٢١).

وهذه الصفات الخمس تتضمن تزكية سند القرآن العظيم وأنه سماع نبينا محمد ﷺ من جبريل عليه السلام، وسماع جبريل الأمين من رب العالمين، فناهيك بهذا السند علواً وجلالة

وأقسم الله -عز وجل- على علو سند القرآن وجلالته بالليل إذا أدبر، وقيل أقبل، وبالصبح إذا انشق نوره، فقال تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ (١٧) وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ (١٨) إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾. «عظمة القرآن» (ص٣٩). وانظر السعدي (ص٩١٢) تفسيره.

القرآن تنزيل رب العالمين:

قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾ (الشعراء: ١٩٢-١٩٣). وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ (القدر: ١). وفيه ضمير العظمة وإسناد الإنزال إليه تشريف عظيم للقرآن. «التحرير والتنوير» الطاهر بن عاشور (٣٠/ ٤٠٢).

فمن عظمة القرآن أنه نزل من الله تعالى وحده لا من غيره، لنفع الناس وهدايتهم.

الإسناد خصيصة لهذه الأمة:

من المعلوم أن أغلب الذين يتعلمون تلاوة القرآن إنما يتعلمونها عن طريق السماع ولا يكتفون بتعلمه من المصاحف وحدها، ونعلم أن أساتذتهم تلقوه أيضًا بالسماع عن طريق مشايخهم وهكذا لا تنقطع هذه الطريقة إلى أن تصل طبقة التابعين ثم الصحابة ثم الرسول ﷺ وبهذا يكون سند القرآن في كل عصر وفي كل حين متصلًا برسول الله ﷺ وليس هذا لكتاب غير القرآن الكريم، فقد شرف الله هذه الأمة باتصال سندها برسولها صلى الله عليه وسلم.

قال محمد بن حاتم المظفر: إن الله تعالى قد أكرم هذه الأمة، وشرفها وفضلها بالإسناد، وليس لأحد من الأمم كلها قديمها وحديثها إسناد موصول، وإنما هو مصحف في أيديهم، وقد خلطوا بكتبهم أخبارهم، وليس عندهم تمييز بين ما نزل من التوراة والإنجيل، مما جاءهم به أنبياؤهم، وبين ما ألحقوه بكتبهم من الأخبار التي أخذوهاعن غير الثقات. دراسات في «علوم القرآن» (ص٦٣) أ. د. فهد الرومي وانظر «توضيح الأفكار» للصنعاني (٢/٣٩٩) و« فتح المغيث» للسخاوي (٣/٤).

قال ابن الجزري في كتابه «النشر في القراءات العشر» (١/١٩٨): قال العلماء: إن الإسناد خصيصة لهذه الأمة وسنة بالغة من السنن المؤكدة، وطلب العلو فيه سنة مرغوب فيها، ولهذا لم يكن لأمة من الأمم أن تسند عن نبيها إسنادا متصلا غير هذه الأمة.

(٢٨) الوصية بتلاوة القرآن

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، أَنَّ رَجُلًا جَاءَهُ فَقَالَ: أَوْصِنِي، فَقَالَ: سَأَلْتَ عَمَّا سَأَلْتُ عَنْهُ رَسُولَ اللهِ ﷺ مِنْ قَبْلِكَ، «**أُوصِيكَ بِتَقْوَى اللهِ، فَإِنَّهُ رَأْسُ كُلِّ شَيْءٍ، وَعَلَيْكَ بِالْجِهَادِ، فَإِنَّهُ رَهْبَانِيَّةُ الْإِسْلَامِ، وَعَلَيْكَ بِذِكْرِ اللهِ وَتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ، فَإِنَّهُ رَوْحُكَ فِي السَّمَاءِ، وذِكْرٌ لكَ فِي الْأَرْضِ**». أخرجه «أحمد» وفي رواية «المعجم الصغير للطبراني»: «**عَلَيْكَ بِتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ؛ فَإِنَّهُ نُورٌ لَكَ فِي الْأَرْضِ، وَذِكْرٌ لَكَ فِي السَّمَاءِ**». انظر «السلسلة الصحيحة» (رقم ٥٥٥).

(وعليك بذكر الله وتلاوة القرآن) أي الزمهما (فإنه) يعني لزومهما (روحك) بفتح الراء راحتك (في السماء وذكرك في الأرض) بإجراء الله ألسنة الخلائق بالثناء الحسن عليك أي عند توفر الشروط والآداب.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: «مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ لَمْ يُرَدَّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا. وَذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿**ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا**﴾ (التين: ٦) قَالَ: إِلَّا الَّذِينَ قَرَءُوا الْقُرْآنَ. «صحيح الترغيب».

الأمر بقراءة القرآن:

قال تعالى: ﴿**وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا**﴾ (الكهف:٢٧)

قال الحافظ ابن كثير في «تفسيره» (٧٨/٣): يقول تعالى آمرا رسوله ﷺ بتلاوة كتابه العزيز وإبلاغه إلى الناس: ﴿**لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ**﴾ أي: لا مغير لها ولا محرف ولا مؤول.

وقوله: ﴿**وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا**﴾ عن مجاهد: ﴿**مُلْتَحَدًا**﴾ قال: ملجأ.

وعن قتادة: وليا ولا مولى قال ابن جرير: يقول إن أنت يا محمد لم تتل ما أوحي إليك من كتاب ربك، فإنه لا ملجأ لك من الله«. كما قال تعالى: ﴿**يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس**﴾ (المائدة: ٦٧) وقال تعالى ﴿**إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد**﴾ (القصص:٨٥) أي: سائلك عما فرض عليك من إبلاغ الرسالة. وقال تعالى: ﴿**إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ**

﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٩١) وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنْذِرِينَ (٩٢)﴾ (النمل) قال ابن سعدي (١/ ٦١١): أي: قل لهم يا محمد ﴿و﴾ أمرت أيضا ﴿أن أتْلُوَ﴾ عليكم ﴿الْقُرْآنُ﴾ لتهتدوا به وتقتدوا وتعلموا ألفاظه ومعانيه فهذا الذي علي وقد أديته، ﴿فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ﴾ نفعه يعود عليه وثمرته عائدة إليه ﴿وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنْذِرِينَ﴾ وليس بيدي من الهداية شيء.

عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «لا تجعلوا بيوتكم مقابر إن الشيطان يفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة» رواه مسلم وغيره. قال الشوكاني في «تحفة الذاكرين»: وفي أول الحديث دليل على أنه ما ينبغي للإنسان أن يترك القراءة في بيته وأنه ينبغي أن يجعل في بيته جزءا من تلاوته وبعضا من صلاته التي يتنفل بها. (ص٣٩٤).

و القران يشفع في تاليه وقارئه فعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: «يُؤْتَى الرَّجُلُ فِي قَبْرِهِ فَتُؤْتَى رِجْلَاهُ فَتَقُولُ رِجْلَاهُ: لَيْسَ لَكُمْ عَلَى مَا قِبَلِي سَبِيلٌ إِنَّهُ كَانَ يَقْرَأُ سُورَةَ الْمُلْكِ ثُمَّ يُؤْتَى مِنْ قِبَلِ صَدْرِهِ أَوْ قَالَ: بَطْنِهِ فَيَقُولُ: لَيْسَ لَكُمْ عَلَى مَا قِبَلِي سَبِيلٌ إِنَّهُ كَانَ يَقْرَأُ سُورَةَ الْمُلْكِ ثُمَّ يُؤْتَى مِنْ قِبَلِ رَأْسِهِ فَيَقُولُ: لَيْسَ لَكُمْ عَلَى مَا قِبَلِي سَبِيلٌ إِنَّهُ كَانَ يَقْرَأُ سُورَةَ الْمُلْكِ، فَهِيَ الْمَانِعَةُ تَمْنَعُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ وَهِيَ فِي التَّوْرَاةِ سُورَةُ الْمُلْكِ مَنْ قَرَأَهَا فِي لَيْلَةٍ فَقَدْ أَكْثَرَ وَأَطْيَبَ» (حسن).

وفي رواية للطبراني: «يُؤْتَى الرَّجُلُ فِي قَبْرِهِ، فَإِذَا أُتِيَ مِنْ قِبَلِ رَأْسِهِ دَفَعَتْهُ تِلَاوَةُ الْقُرْآنِ، وَإِذَا أُتِيَ مِنْ قِبَلِ يَدَيْهِ دَفَعَتْهُ الصَّدَقَةُ، وَإِذَا أُتِيَ مِنْ قِبَلِ رِجْلَيْهِ دَفَعَهُ مَشْيُهُ إِلَى الْمَسَاجِدِ» (حسن) صحيح الترغيب

وقد تقدم مجادلة سورة البقرة وال عمران عن صاحبهما وتاليهما وشفاعتهما فيه قال الإمام النووي: واعلم أن المذهب المختار الذي عليه اعتماد أكثر العلماء، أن قراءة القرآن أفضل عند الله في الميزان من التسبيح والتهليل وغيرهما من سائر الأذكار.

قال الإمام الزركشي في «البرهان» (١/ ٤٦١): ولتكن تلاوته بعد أخذه القرآن من أهل الإتقان لهذا الشأن الجامعين بين الدراية والرواية والصدق والأمانة وقد كان النبي ﷺ يجتمع به جبريل في رمضان فيدارسه القرآن.

نصيحة عامة للمسلمين من العلامة عبد العزيز ابن باز:

الأمور التي أوصيكم ونفسي بها هو الإقبال على تلاوة القرآن العظيم والإكثار منها ليلا ونهارا مع التدبر والتفكر والتعقل لمعانيه العظيمة المطهرة للقلوب المحذرة من متابعة الهوى والشيطان، فإن الله سبحانه أنزل القرآن هداية وموعظة وبشيرا ونذيرا ومعلما ومرشدا ورحمة لجميع العباد، فمن تمسك به واهتدى بهداه فهو السعيد الناجي ومن أعرض عنه فهو الشقي الهالك. قال الله تعالى: ﴿**إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ**﴾ (الإسراء:٩) وقال تعالى: ﴿**وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ**﴾ (الأنعام:١٩) وقال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ**﴾ (يونس:٥٧) وقال تعالى: ﴿**قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ**﴾ (فصلت: ٤٤) وفي الحديث الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «إني تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله وتمسكوا به» مسلم وغيره فحث على كتاب الله ورغب فيه، وقال ﷺ في خطبته في حجة الوداع: «إني تارك فيكم ما لن تضلوا إن اعتصمتم به كتاب الله» مسلم وغيره، وقال ﷺ: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه» البخاري وغيره وقال ﷺ لأصحابه: «أيكم يحب أن يغدو إلى بطحان أو العقيق فيأتي بناقتين كوماوين في غير إثم أو قطع رحم؟ فقالوا: كلنا يا رسول الله نحب ذلك، قال: أفلا يغدو أحدكم إلى المسجد فيعلم أو يقرأ آيتين في كتاب الله خير له من ناقتين، وثلاث خير له من ثلاث، وأربع خير له من أربع، ومن أعدادهن من الإبل» مسلم وغيره. وكل هذه الأحاديث أحاديث صحيحة عن النبي ﷺ.

والآيات والأحاديث في فضل القرآن والترغيب في تلاوته وتعلمه وتعليمه كثيرة معلومة. والمقصود من التلاوة هو التدبر والتعقل للمعاني ثم العمل بمقتضى ذلك كما قال تعالى: ﴿**أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا**﴾ وقال تعالى: ﴿**كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ**﴾ فبادروا -رحمكم الله- إلى تلاوة كتاب ربكم وتدبر معانيه وعمارة الأوقات والمجالس بذلك. والقرآن الكريم هو حبل الله المتين وصراطه المستقيم الذي من تمسك به وصل إلى الله وإلى دار كرامته ومن أعرض عنه شقي في الدنيا والآخرة.

واحذروا -رحمكم الله- ما يصدكم عن كتاب الله ويشغلكم عن ذكره من الصحف والمجلات وما أشبهها من الكتب التي ضررها أكثر من نفعها. وما دعته الحاجة إلى مطالعة شيء من ذلك فليجعل لذلك وقتا مخصوصا، وليقتصر على قدر الحاجة وليجعل لتلاوة كتاب الله وسماعه ممن يتلوه وقتا مخصوصا يستمع فيه كلام ربه، ويداوي بذلك أمراض قلبه ويستعين به على طاعة خالقه ومربيه المالك للضر والنفع والعطاء والمنع لا إله غيره ولا رب سواه. «مجموع فتاوى» العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله (٣/٢٤٩-٢٥٠) وهي كلمة توجيهية وجهها سماحته للمسلمين عامة في عام ١٣٧٦ هـ

(فوائد تدبر القرآن وتأمل معانيه):

وأما التأمل في القرآن فهو تحديق ناظر القلب إلى معانيه، وجمع الفكر على تدبره وتعقله، وهو المقصود بإنزاله، لا مجرد تلاوته بلا فهم ولا تدبر، قال الله تعالى: ﴿**كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب**﴾ (ص: ٢٩) وقال تعالى: ﴿**أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها**﴾ (محمد:٢٤) وقال تعالى: ﴿**أفلم يدبروا القول**﴾ (المؤمنون:٦٨) وقال تعالى: ﴿**إنا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون**﴾ (الزخرف: ٣).

وقال الحسن: نزل لقرآن ليتدبر ويعمل به. فاتخذوا تلاوته عملا.

فليس شيء أنفع للعبد في معاشه ومعاده، وأقرب إلى نجاته من تدبر القرآن، وإطالة التأمل فيه، وجمع الفكر على معاني آياته، فإنها تطلع العبد على معالم الخير والشر بحذافيرهما، وعلى طرقاتها وأسبابها وغاياتها وثمراتها، ومآل أهلها، وتتل في يده مفاتيح كنوز السعادة والعلوم النافعة، وتثبت قواعد الإيمان في قلبه، وتشيد بنيانه وتوطد أركانه، وتريه صورة الدنيا والآخرة والجنة والنار في قلبه، وتحضره بين الأمم، وتريه أيام الله فيهم، وتبصره مواقع العبر، وتشهده عدل الله وفضله، وتعرفه ذاته، وأسماءه وصفاته وأفعاله، وما يحبه وما يبغضه، وصراطه الموصل إليه، وما لسالكيه بعد الوصول والقدوم عليه، وقواطع الطريق وآفاتها، وتعرفه النفس وصفاتها، ومفسدات الأعمال ومصححاتها وتعرفه طريق أهل الجنة وأهل النار وأعمالهم،

وأحوالهم وسيماهم، ومراتب أهل السعادة وأهل الشقاوة، وأقسام الخلق واجتماعهم فيما يجتمعون فيه، وافتراقهم فيما يفترقون فيه.

وبالجملة تعرفه الرب المدعو إليه، وطريق الوصول إليه، وما له من الكرامة إذا قدم عليه. وتعرفه في مقابل ذلك ثلاثة أخرى: ما يدعو إليه الشيطان، والطريق الموصلة إليه، وما للمستجيب لدعوته من الإهانة والعذاب بعد الوصول إليه.

فهذه ستة أمور ضروري للعبد معرفتها، ومشاهدتها ومطالعتها، فتشهده الآخرة حتى كأنه فيها، وتغيبه عن الدنيا حتى كأنه ليس فيها، وتميز له بين الحق والباطل في كل ما اختلف فيه العالم، فتريه الحق حقا، والباطل باطلا، وتعطيه فرقانا ونورا يفرق به بين الهدى والضلال، والغي والرشاد، وتعطيه قوة في قلبه، وحياة، وسعة وانشراحا وبهجة وسرورا، فيصير في شأن والناس في شأن آخر.

فإن معاني القرآن دائرة على التوحيد وبراهينه، والعلم بالله وما له من أوصاف الكمال، وما ينزه عنه من سمات النقص، وعلى الإيمان بالرسل، وذكر براهين صدقهم، وأدلة صحة نبوتهم، والتعريف بحقوقهم، وحقوق مرسلهم، وعلى الإيمان بملائكته، وهم رسله في خلقه وأمره، وتدبيرهم الأمور بإذنه ومشيئته، وما جعلوا عليه من أمر العالم العلوي والسفلي، وما يختص بالنوع الإنساني منهم، من حين يستقر في رحم أمه إلى يوم يوافي ربه ويقدم عليه، وعلى الإيمان باليوم الآخر وما أعد الله فيه لأوليائه من دار النعيم المطلق التي لا يشعرون فيها بألم ولا نكد وتنغيص، وما أعد لأعدائه من دار العقاب الوبيل التي لا يخالطها سرور ولا رخاء ولا راحة ولا فرح، وتفاصيل ذلك أتم تفصيل وأبينه، وعلى تفاصيل الأمر والنهي، والشرع والقدر، والحلال والحرام، والمواعظ والعبر، والقصص والأمثال، والأسباب والحكم، والمبادئ والغايات في خلقه وأمره.

فلا تزال معانيه تنهض العبد إلى ربه بالوعد الجميل، وتحذره وتخوفه بوعيده من العذاب الوبيل، وتحثه على التضمر والتخفف للقاء اليوم الثقيل، وتهديه في ظلم الآراء والمذاهب إلى سواء السبيل، وتصده عن اقتحام طرق البدع والأضاليل وتبعثه على الازدياد من النعم بشكر

ربه الجليل، وتبصره بحدود الحلال والحرام، وتوقفه عليها لئلا يتعداها فيقع في العناء الطويل، وتثبت قلبه عن الزيغ والميل عن الحق والتحويل، وتسهل عليه الأمور الصعاب والعقبات الشاقة غاية التسهيل، وتناديه كلما فترت عزماته وونى في سيره تقدم الركب وفاتك الدليل، فاللحاق اللحاق، والرحيل الرحيل، وتحدو به وتسير أمامه سير الدليل، وكلما خرج عليه كمين من كمائن العدو، أو قاطع من قطاع الطريق نادته: الحذر الحذر! فاعتصم بالله، واستعن به، وقل: حسبي الله ونعم الوكيل.

وفي تأمل القرآن وتدبره، وتفهمه، أضعاف أضعاف ما ذكرنا من الحكم والفوائد. وبالجملة فهو أعظم الكنوز، طلسمه الغوص بالفكر إلى قرار معانيه. «مدارج السالكين» (١/٤٤٩-٤٥١).

آداب تلاوة القرآن الكريم:

١- منها: أن يكون قارئ القرآن عمله خالصا لوجه الله لا رياء ولا سمعة، ولا يطلب به أجرة؛ لأن عبادته تقربا إلى الله.

٢ - من آداب تلاوة القرآن أن يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم. عند ابتدائه للقراءة، ويقرأ بسم الله الرحمن الرحيم إذا كان ابتداء قراءته من أول السورة عدا سورة التوبة؟

٣ - يستحب لقارئ القرآن عند قراءته أن يكون على وضوء، فإن كانت قراءته من مصحف وجب عليه الوضوء؛ لقوله ﷺ: «لا يمس القرآن إلا طاهر».

٤ - يستحسن أن يجلس عند قراءة القرآن على هيئة حسنة ولباس حسن مستقبل القبلة، وفي مكان محترم يليق بالقرآن.

٥ - يستحب أن يقرأ بخضوع وخشوع وتمهل وتدبر وتفكر في آياته، ومنصرف بقلبه وحواسه لما يقرأ من القرآن، ولا يقطع القراءة بكلام الآدميين من غير حاجة.

٦ - يستحب أن يرتل القرآن بصوت حسن مع تبيين الحروف والحركات والعناية بأحكام التجويد حسب قدرته.

٧ - إذا كان أحد يسمعه وهو يقرأ القرآن أو يصلي، فينبغي أن لا يزعجهم برفع الصوت أو يشوش على من يصلي.

٨ - لا يهذ القارئ القرآن هذا فلا يفهم عنه ما يقول، ولا يمططه ويمده مدا يخل بألفاظه فيخرجه عن المقصود من تلاوته، بل وسطا بين ذلك.

٩ - لا يقرأ القرآن بألحان الغناء كألحان أهل الفسق، ولا بترجيع النصارى ولا نوح الرهبانية، فإن ذلك كله لا يجوز.

١٠- ومن آداب القراءة أن يمسك عن القراءة إذا تثاءب حتى يذهب التثاؤب؛ تعظيما لله؛ لأنه مخاطب ومناج لربه، والتثاؤب من الشيطان.

١١- ومن آداب القراءة أن يقف عند آية الرحمة فيسأل الله من فضله، وأن يقف عند آية العذاب والوعيد فيستجير بالله منه، وعند آية التسبيح فيسبح، وذلك في غير الصلاة المفروضة. اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء الفتوى رقم (١٨٦٧٦).

تلاوة القرآن في رمضان:

قل ابن بطال في شرح البخارى (٤/٢٣): ونزول جبريل فى رمضان للتلاوة دليل عظيم لفضل تلاوة القرآن فيه، وهذا أصل تلاوة الناس للقرآن فى كل رمضان، تأسيًا به ﷺ، ومعنى مدارسة جبريل للنبي ﷺ، فيه، لأنه الشهر الذى أنزل فيه القرآن، كما نص الله تعالى.

تنكيس القراءة:

ما روى عن ابن مسعود وابن عمر أنهما كرها أن يقرأ القرآن منكوسًا، وقالا: ذلك منكوس القلب. فإنما عنيا بذلك من يقرأ السورة منكوسة ويبتدئ من آخرها إلى أولها؛ لأن ذلك حرام محظور (١٠/٢٣٩).

تمكين الكافر من تلاوة القرآن:

قد اختلف العلماء في تمكين الكافر من تلاوة القرآن، فرخص فيهِ الحسن وأبو حنيفة وغيرهما، ومنهم من منع منه، وهو قول أبي عبيد وغيره. واختلف أصحابنا في ذَلِكَ، فمنهم من منعه مطلقاً، ومنهم من رخص فيهِ مطلقاً، ومنهم من جوزه إذا رجي من حال الكافر الاستهداء

والاستبصار، ومنعه إذا لم يرج ذَلِكَ. والمنقول عن أحمد أنه كرهه. وقال أصحاب الشافعي: إن لم يرج له الاستهداء بالقراءة منع منها، وإن رجي لهُ ذَلِكَ لم يمنع، على أصح الوجهين. (٢/٤٩-٥٠) «فتح الباري لابن رجب».

** **

(٢٩) القراءة عن ظهر قلب

عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ جاءَتْهُ امْرَأَةٌ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي قَدْ وَهَبْتُ نَفْسِي لَكَ، فَقَامَتْ قِيَامًا طَوِيلًا، فَقَامَ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ زَوِّجْنِيهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكَ بِهَا حَاجَةٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**هَلْ عِنْدَكَ مِنْ شَيْءٍ تُصْدِقُهَا إِيَّاهُ؟**» فَقَالَ: مَا عِنْدِي إِلَّا إِزَارِي هَذَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّكَ إِنْ أَعْطَيْتَهَا إِزَارَكَ جَلَسْتَ لَا إِزَارَ لَكَ، فَالْتَمِسْ شَيْئًا**» قَالَ: لَا أَجِدُ شَيْئًا قَالَ: «**فَالْتَمِسْ وَلَوْ خَاتَمًا مِنْ حَدِيدٍ**» فَالْتَمَسَ فَلَمْ يَجِدْ شَيْئًا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**هَلْ مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ شَيْءٌ؟**» قَالَ: نَعَمْ سُورَةُ كَذَا وَسُورَةُ كَذَا لِسُوَرٍ سَمَّاهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**قَدْ زَوَّجْتُكَهَا بِمَا مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ**». رواه البخاري وغيره.

قال الحافظ ابن كثير: هذه الترجمة من البخاري -رحمه الله- مشعرة بأن قراءة القرآن عن ظهر قلب أفضل، والله أعلم.

(**تنبيه**): إن كان البخاري -رحمه الله- أراد بذكر حديث سهل الدلالة على أن تلاوة القرآن عن ظهر قلب أفضل منها في المصحف، ففيه نظر، لأنها-أولا- قضية عين، فيحتمل أن ذلك الرجل كان لا يحسن الكتابة، ويعلم ذلك رسول الله ﷺ منه، فلا يدل على أن التلاوة عن ظهر قلب أفضل مطلقًا في حق من يحسن ومن لا يحسن، إذ لو دل على هذا لكان ذكر حال رسول الله وتلاوته عن ظهر قلب -لأنه أمي لا يدرك الكتابة- أولى من ذكر هذا الحديث بمفرده.

الثاني: إن سياق الحديث إنما هو لأجل استثبات أنه يحفظ تلك السور عن ظهر قلب؛ ليمكنه تعليمها لزوجته، وليس المراد ههنا أن هذا أفضل من التلاوة نظرًا ولا عدمه، والله سبحانه وتعالى أعلم.

قال الإمام النووي: وفي هذا الحديث دليل لجواز كون الصداق تعليم القرآن وجواز الاستئجار لتعليم القرآن وكلاهما جائز عند الشافعي وبه قال عطاء والحسن بن صالح ومالك

وإسحاق وغيرهم ومنعه جماعة منهم الزهري وأبو حنيفة وهذا الحديث مع الحديث الصحيح، «إن أحق ما أخذتم عليه أجرا كتاب الله» يردان قول من منع ذلك ونقل القاضي عياض جواز الاستئجار لتعليم القرآن عن العلماء كافة سوى أبي حنيفة «شرح صحيح مسلم» (٩/٢١٤-٢١٥) للنووي.

حفظ القرآن من خصائص الأمة المحمدية:

قال شيخ الإسلام في«مجموع الفتاوى» (١٧/٤٣٦): في الصحيح عن عياض بن حمار المجاشعي عن النبي ﷺ أنه قال: «خلقت عبادي يوم خلقتهم حنفاء -وقال فيه- إني مبتليك ومبتل بك وأنزلت عليك كتابا لا يغسله الماء تقرؤه نائما ويقظانا».

فأمتنا ليست مثل أهل الكتاب الذين لا يحفظون كتبهم في قلوبهم بل لو عدمت المصاحف كلها كان القرآن محفوظا في قلوب الأمة.

وفي «المرقاة» (٨/٣٣٦٨): (وأنزلت عليك كتابا) أي: عظيما، وهو القرآن (لا يغسله الماء) أي: لم نكتف بإيداعه الكتب فيغسله الماء، بل جعلناه قرآنا محفوظا في صدور المؤمنين، قال تعالى: ﴿**بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم**﴾ (العنكبوت: ٤٩) وقال سبحانه: ﴿**إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون**﴾ (الحجر: ٩) أو المراد بالغسل النسخ، والماء مثل، أي: لا ينزل بعده كتاب ينسخه، ولا نزل قبله كتاب يبطله، كما قال تعالى: ﴿**لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم**﴾ (فصلت: ٤٢).

قال الإمام النووي في«شرح مسلم» (١٧/١٩٨):أما قوله تعالى لايغسله الماء فمعناه محفوظ فى الصدور لايتطرق إليه الذهاب بل يبقى على مر الأزمان وأما قوله تعالى تقرأه نائما ويقظان فقال العلماء معناه يكون محفوظا لك فى حالتى النوم واليقظة وقيل تقرأه في يسر وسهولة قوله ﷺ.

قال الحافظ في «الفتح» (١/٢٥) قوله: فكان يكتب الكتاب العبراني فيكتب من الإنجيل بالعبرانية. وفي رواية: يونس ومعمر ويكتب من الإنجيل بالعربية، ولمسلم فكان يكتب الكتاب العربي، والجميع صحيح لأن ورقة تعلم اللسان العبراني والكتابة العبرانية فكان يكتب الكتاب

العبراني كما كان يكتب الكتاب العربي لتمكنه من الكتابين واللسانين ووقع لبعض الشراح هنا خبط فلا يعرج عليه وإنما وصفته بكتابة الإنجيل دون حفظه لأن حفظ التوراة والإنجيل لم يكن متيسرا كتيسر حفظ القرآن الذي خصت به هذه الأمة فلهذا جاء في صفتها أناجيلها صدورها.

من وجوه إعجاز القرآن الكريم تيسيره تعالى حفظه لمتعلميه:

قال ابن الجوزي في «زاد المسير» (٤/٢٠٠): قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ**﴾ (القمر: ٣٢) أي سهَّلْناه لِلذِّكْرِ أي للحِفظ والقراءة فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ أي من ذاكرٍ يذكره ويقرؤه والمعنى: هو الحث على قراءته وتعلُّمه، قال سعيد بن جبير: ليس من كتب الله كتاب يُقرأ كُلُّه ظاهراً إلاّ القرآن.

قال الأزهري في كتاب معاني القراءات (ص١٣): جاء في التفسير أنَ كُتُبَ أهْلِ الأديان مثل التوراة والإنجيل والزبور إنما يتلوها أهْلها نَظراً، ولا يحفظونه منهم كَأن يَسرُدُهَا عن ظهر قلبه سَرْداً، ولأنهم لا يكادون

يحفظونها من أولها إلى آخرها كما أنزل اللهَ حفظا، كما يحفظ هذه الأمة القرآن، ومن عجيب تيسير الله القرآن إجراؤه بحفظه من لم ينزل بلسانه، ومن لا يفهم معانيه، كما يحفظ من نزل بلسانه ويفهم تأويله، ويحفظ الأمي الذي لا يكتب ولا يتلو الكتب، والقارئ الرَّيِّضُ، والصغير والكبير، والعرب والفصيح والألكَنُ .اهـ

وقد عد القاضي عياض في "الشفا" (٢٧٩/١): تيسيره تعالى حفظه لمتعلمه .. وتقريبه على مُتَحَفِّظِيهِ .. من وجوه إعجاز القرآن الكريم.

أول ما يبتدئ به طالب العلم حفظ القرآن العزيز:

وقال في «المجموع» (٣٨/١): وينبغي أن يبدأ من دروسه على المشايخ: وفي الحفظ والتكرار والمطالعة بالأهم فالأهم: وأول ما يبتدئ به حفظ القرآن العزيز فهو أهم العلوم وكان السلف لا يعلمون الحديث والفقه إلا لمن حفظ القرآن وإذا حفظه فليحذر من الاشتغال عنه بالحديث والفقه وغيرهما اشتغالا يؤدي إلى نسيان شئ منه أو تعريضه للنسيان: وبعد حفظ القرآن يحفظ من كل فن مختصرا ويبدأ بالأهم ومن أهمها الفقه والنحو ثم الحديث والأصول ثم

الباقي على ما تيسر ثم يشتغل باستشراح محفوظاته ويعتمد من الشيوخ في كل فن أكملهما في الصفات السابقة فإن أمكنه شرح دروس في كل يوم فعل وإلا اقتصر على الممكن من درسين أو ثلاثة وغيرها فإذا اعتمد شيخا في فن وكان لا يتأذى بقراءة ذلك الفن على غيره فليقرأ أيضا على ثان وثالث وأكثر ما لم يتأذوا فان تأذ المعتمد اقتصر عليه وراعى قلبه فهو أقرب إلى انتفاعه: وقد قدمنا أنه ينبغي أن لا يتأذى من هذا. اهـ

هل يجب على المسلم حفظ القران واستظهاره؟

قال شيخ الاسلام في «مجموع الفتاوى» (١٥/٣٩١) وأما حفظ جميع القرآن وفهم جميع معانيه ومعرفة جميع السنة فلا يجب على كل أحد؛ لكن يجب على العبد أن يحفظ من القرآن ويعلم معانيه ويعرف من السنة ما يحتاج إليه. اهـ.

يستحب حفظ القرآن إجماعا وحفظه فرض كفاية إجماعا «كشاف القناع» (١/٤٢٨) للبهوتى الحنبلى«رد المحتار على الدر المختار» (١/٣٩) ابن عابدين الحنفي.

(مسألة حفظ القران أو العلم أفضل)

سئل شيخ الاسلام أيما طلب القرآن أو العلم أفضل؟

فأجاب: أما العلم الذي يجب على الإنسان عينا كعلم ما أمر الله به، وما نهى الله عنه، فهو مقدم على حفظ ما لا يجب من القرآن، فإن طلب العلم الأول واجب، وطلب الثاني مستحب، والواجب مقدم على المستحب. وأما طلب حفظ القرآن: فهو مقدم على كثير مما تسميه الناس علما: وهو إما باطل، أو قليل النفع. وهو أيضا مقدم في التعلم في حق من يريد أن يتعلم علم الدين من الأصول والفروع، فإن المشروع في حق مثل هذا في هذه الأوقات أن يبدأ بحفظ القرآن، فإنه أصل علوم الدين، بخلاف ما يفعله كثير من أهل البدع من الأعاجم وغيرهم، حيث يشتغل أحدهم بشيء من فضول العلم، من الكلام، أو الجدال، والخلاف، أو الفروع النادرة، والتقليد الذي لا يحتاج إليه، أو غرائب الحديث التي لا تثبت، ولا ينتفع بها، وكثير من الرياضيات التي لا تقوم عليها حجة، ويترك حفظ القرآن الذي هو أهم من ذلك كله، فلا بد في مثل (هذه) المسألة من التفصيل، والمطلوب من القرآن هو فهم معانيه، والعمل به، فإن

لم تكن هذه همة حافظه لم يكن من أهل العلم، والدين، والله سبحانه أعلم. الفتاوى الكبرى (٢/٢٣٥) وقال في «المستدرك» (١/١٧٢-١٧٣): جعل المصحف عند القبر فهو منهي عنه.

وأما كتابة القرآن على الدراهم والدنانير فمكروه، وأما القيام للمصحف وتقبيله فلا نعلم فيه شيئا عن السلف. فتح الفأل فيه لم ينقل عن السلف؛ وليس من الفأل الذي يحبه الرسول، حفاظ القرآن في حياة الرسول ﷺ قال «مركز الفتوى» فتوى رقم (٩٩٩٣٠): لم نقف على أسماء خاصة أو عدد معين للذين حفظوا القرآن في حياة النبي ﷺ وعرضوه عليه قبل وفاته.

فقد حفظ القرآن في حياة النبي ﷺ كثير من الصحابة منهم الخلفاء الأربعة وعبد الرحمن بن عوف والزبير بن العوام ومعاذ بن جبل وأبي بن كعب وزيد بن ثابت وأبو زيد وعبد الله بن عمرو .. وغيرهم.

ويدل على كثرتهم وعدم حصرهم أن من قتل منهم يوم اليمامة سبعون كما قال القرطبي وغيره، كما قتل عدد كبير من القراء في بئر معونة في حياته ﷺ.

قال صاحب مناهل العرفان: وكان حفاظ القرآن في حياة الرسول جما غفيراً منهم الأربعة الخلفاء وطلحة وسعد وابن مسعود وحذيفة وسالم مولى أبي حذيفة وأبو هريرة وابن عمر وابن عباس وعمرو بن العاص وابنه عبد الله ومعاوية وابن الزبير وعبد الله بن السائب وعائشة وحفصة وأم سلمة وهؤلاء كلهم من المهاجرين رضوان الله عليهم أجمعين.

وحفظ القرآن من الأنصار في حياته أبي بن كعب ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت وأبو الدرداء ومجمع بن حارثة وأنس بن مالك وأبو زيد الذي سئل عنه أنس فقال: إنه أحد عمومتي رضي الله عنهم أجمعين ... وقيل: إن بعض هؤلاء أكمل حفظه للقرآن بعد وفاة النبي ﷺ.

قلت: ولا حصر لحفظة القران اليوم ففي ليبيا مليون حافظ وفي الباكستان سبعة ملايين حافظ.

جدول لتسهيل حفظ القرآن الكريم							
مقدار الحفظ اليومي	مدة حفظ القران كاملا			مقدار الحفظ اليومي	مدة حفظ القران كاملا		
	سنة	شهر	يوم		سنة	شهر	يوم
آية واحدة	١٧	٧	٩	١٢ اية	١	٥	١٥
آيتان	٨	٩	١٨	١٣ اية	١	٤	٦
ثلاث آيات	٥	١٠	١٣	١٤ اية	١	٣	-
أربع آيات	٤	٤	٢٤	١٥ اية	١	٢	١
خمس آيات	٣	٦	٧	١٦ اية	١	١	٦
ست آيات	٢	١١	٤	١٧ اية	١	-	١٠
سبع آيات	٢	٦	٣	١٨ اية	-	١١	١٩
ثمان آيات	٢	٢	١٢	١٩ اية	-	١١	١
تسع آيات	١	١١	١٢	نصف وجه	٣	٤	٢٤
عشر آيات	١	٩	٣	وجه واحد	١	٨	١٢
١١ اية	١	٧	٦	وجهان	-	١٠	٦

بعض الطرق المتبعة لتحفيظ القرآن الكريم وتعليمه

www. saaid. net/Quran/٢٠. htm

طرق إبداعية في حفظ القرآن الكريم

http://www. islamdoor. com/k/tork. htm

طريقه سهله لتحفيظ الأطفال في سن٣ القران الكريم

http: //forum. sedty. com/t٤٨٨٥٩١. html

برنامج مميز لتعلم القراءة والتلاوة القرآنية كلمة كلمة

http: //www. houseofquran. com/arabic. htm

** **

(٣٠) فضل القراءة في المصحف

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُحِبَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، فَلْيَقْرَأْ فِي الْمُصْحَفِ**».

قال الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٢٣٤٢) أخرجه ابن شاهين في «الترغيب» (ق ٢٨٨ / ١) وابن عدي (١١١ / ٢) وأبونعيم في «الحلية» (٧ / ٢٠٩) وعنه الحافظ ابن حجر في «نتائج الأفكار» (١/ ٢٣١ / ٢) وحسن إسناده.

قال الذهبي: إنما اتخذت المصاحف بعد النبي ﷺ. ورده الحافظ بقوله: وهذا التعليل ضعيف، ففي «الصحيحين»: «أن النبي ﷺ نهى عن أن يسافر بالقرآن إلى أرض العدو، مخافة أن يناله العدو» وما المانع أن يكون الله أطلع نبيه على أن أصحابه سيتخذون المصاحف؟

كتابة القرآن الكريم كاملا كان في حياة النبي ﷺ:

بُعث رسول الله ﷺ في أمة أمّيّة، لا تكاد تعرف القراءة والكتابة إلا نزرًا يسيرًا. قال تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ**﴾. فشجع ﷺ أصحابه على تعلم الكتابة، وسلك في ذلك وسائل مختلفة، حتى إنه اشترط لفكاك الأسير من قريش في بدر تعليم عشرة من صبيان المدينة الكتابة ؛ فراجت الكتابةُ في عصره ﷺ، حتى بلغ عدد كتّاب الوحي أكثر من أربعين كاتبًا.

كان القرآن الكريم يتنزل منجمًا على رسول الله ﷺ، فيحفظه ويبلغه للناس، ويأمر بكتابته، فيقول: ضعوا هذه السورة بجانب تلك السورة، وضعوا هذه الآية بإزاء تلك الآية، فيُحفظ ما كُتب في منزله ﷺ، بعد أن ينسخ منه كتّاب الوحي نسخًا لأنفسهم. وكُتب القرآن الكريم في العسب واللخاف، والرّقاع، وقطع الأديم، وعظام الأكتاف، والأضلاع. ومن الصحابة من اكتفى بسماعه مِنْ فيه ﷺ فحفظه كله، أو حفظ معظمه، أو بعضًا منه، ومنهم من كتب الآيات، ومنهم من كتب السورة، ومنهم من كتب السور، ومنهم من كتبه كله. فحُفظ القرآن في عهده ﷺ في الصدور وفي السطور. ومن أشهر كتَّاب الوحي في عهد النبوة: الخلفاء

الراشدون، ومعاوية بن أبي سفيان، وخالد بن الوليد، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت، وقد شهد العرضة الأخيرة.

وكُتب القرآن الكريم كاملا في عهد النبوة إلا أنه لم يُجمع في مصحف واحد لأسباب منها: ما كان يترقبه ﷺ من زيادة فيه، أو نسخ منه، ولأن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ كانوا يعتنون بحفظه واستظهاره أكثر من عنايتهم بكتابته.

وكان ما قام به أبوبكر الصديق بمشورة عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا من جمع القرآن مما هو مكتوب أو محفوظ في عهده ﷺ عملا عظيماً حُفظ به القرآن، وسار على نهجه عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عندما جمع الناس على مصحف واحد ومنع الاختلاف بين المسلمين، وقد نال زيد بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ شرف تحمل مسؤولية جمع القرآن في عهد أبي بكر، وكتابته في عهد عثمان، وكان حرص المسلمين على تَعَلُّم الكتابة، وتطوير الخط مرتبطاً بحرصهم على قراءة القرآن الكريم وتدبره وحفظه، والعناية بكتابته ونشره. مختصرا «تطور كتابة المصحف الشريف وطباعته» أ. د/ محمد سالم العوفي.

أيهما أفضل القراءة من الحفظ أم من المصحف؟

قال الحافظ ابن كثير: الذى صرَّح به كثيرون من العلماء أن قراءة القرآن من المصحف أفضل؛ لأنه يشتمل على التلاوة والنظر فى المصحف، وهو عبادةٌ كما صرَّح به غير واحد من السلف، وكرهوا أن يمضي على الرجل يوم لا ينظر في مصحفه. واستدلُّوا على أفضلية التلاوة فى المصحف بما رواه الإمام العلم أبو عبيد -رحمه الله- في كتابه «فضائل القرآن»: قال حمَّاد أيضًا، عن ثابت، عن عبد الرحمن بن أبى ليلى عن ابن مسعود أنه كان إذا اجتمع اليه إخوانه؛ نشروا المصحف، فقرءوا وفسَّرَ لهم. إسناد صحيح.

وقال حمَّاد بن سلمة عن حجاج بن أرطاة، عن ثوير بن أبى فاخته، عن ابن عمر، قال: إذا رجع أحدكم من سوقه فلينشر المصحف وليقرأ. سنده ضعيف.

وقال الأعمش عن خيثمة: دخلت على ابن عمر وهو يقرأ فى المصحف، فقال: هذا جزئى الذى أقرأ به الليلة. سنده صحيح.

فهذه الآثار تدل على أن هذا أمر مطلوب؛ لئلا يُعَطَّلَ المصحف فلا يقرأ منه، ولعله قد يقع لبعض الحفظة نسيان فيستذكر منه، أو تحريف كلمة أو آية، أو تقديم أو تأخير، فالاستثبات أولى، والرجوع إلى المصحف أثبت من أفواه الرجال. فأما تلقين القرآن؛ فمن فم الملقِّنِ أحسن؛ لأن الكتابة لا تدل على الأداء، كما أن المشاهد من كثير ممن يحفظ من الكتابة فقط؛ يكثر تصحيفه وغلطه، وإذا أدَّى الحال إلى هذا، منع منه إذا وجد شيخًا يوقفه على ألفاظ القرآن،فأما عند العجز عمَّا يلقن؛ فلا يكلف الله نفسًا إلا وسعها، فيجوز عند الضرورة ما لا يجوز عند الرفاهية، فاذا قرأ فى المصحف والحالة هذه؛ فلا حرج عليه، ولو فُرِضَ أنه قد يُحَرِّفُ بعض. اهـ

قال الإمام النووي في: «الأذكار» (ص٩٠-٩١): قراءة القرآن من المصحف أفضل من القراءة من حفظه، هكذا قال أصحابنا، وهو مشهور عن السلف رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، وهذا ليس على إطلاقه، بل إن كان القارئ من حفظه يحصل له من التدبر والتفكر وجمع القلب والبصر أكثر مما يحصل من المصحف فالقراءة من الحفظ أفضل، وإن استويا فمن المصحف أفضل، وهذا مراد السلف « انتهى

سئل العلامة العثيمين في فتاوى اللقاء الشهري (٣/٤) هل القراءة من المصحف أفضل من القراءة عن ظهر قلب. نرجو الإفادة ؟

فقال: أما من جهة قراءة القرآن في غير الصلاة فالقراءة من المصحف أولى لأنه أقرب إلى الضبط وإلى الحفظ إلا إذا كانت قراءته عن ظهر قلب أحفظ لقلبه وأخشع له فليقرأ عن ظهر قلب.

أما في الصلاة، فالأفضل أن يقرأ عن ظهر قلب وذلك لأنه إذ قرأ من المصحف فإنه يحصل له عمل متكرر في حمل المصحف وإلقائه وفي تقليب الورق وفي النظر إلى حروفه وكذلك يفوته وضع اليد اليمنى على اليسرعلى الصدر في حال القيام وربما يفوته التجافي في الركوع والسجاد إذا جعل المصحف في إبطنه ومن ثم رجحنا قراءة المصلي عن ظهر قلب على قراءته من المصحف.

هذه وبعض المأمومين نشاهدهم خلف الإمام يحملون المصحف يتابعون قراءة الإمام وهذا أمر لا ينبغي لما فيه من الأمور التي ذكرناها ولأنه لا حاجة لهم إلا أن يتابعوا الإمام. نعم لو فرض أن الإمام ليس يجيد الحفظ وقال لأحد المأمومين صل ورائي وتابعني في المصحف إذا أخطأت فغن هذه لا بأس به. اهـ

هل هناك فرق في الأجر بين قراءة القرآن من المصحف أو عن ظهر قلب؟

سئل العلامة ابن باز رحمه الله: هل هناك فرق في الأجر بين قراءة القرآن من المصحف أو عن ظهر قلب؟ وإذا قرأت القرآن في المصحف فهل تكفي القراءة بالعينين أم لابد من تحريك الشفتين؟ وهل يكفي تحريك الشفتين أم لا بد من إخراج الصوت؟ فأجاب: لا أعلم دليلا يفرق بين القراءة في المصحف أو القراءة عن ظهر قلب، وإنما المشروع التدبر وإحضار القلب، سواء قرأ من المصحف أو عن ظهر قلب، وإنما تكون قراءة إذا سمعها، ولا يكفي نظر العينين ولا استحضار القراءة من غير تلفظ، والسنة للقارئ أن يتلفظ ويتدبر، كما قال الله عز وجل: ﴿**كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ**﴾ وقال عز وجل: ﴿**أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا**﴾ وإذا كانت القراءة عن ظهر قلب أخشع لقلبه وأقرب إلى تدبر القرآن، فهي أفضل، وإن كانت القراءة من المصحف أخشع لقلبه، وأكمل في تدبره كانت أفضل، والله ولي التوفيق. اهـ. من «مجموع فتاوى الشيخ ابن باز» (٢٤/ ٣٥٢).

ولا مانع من أن يستغني الإنسان عن المصحف ويعتمد على الجوال في القراءة والحفظ والمراجعة؟

(تنبيه) قد رويت عن النبي ﷺ أحاديث ضعيفة لا يصح الاستدلال بها في فضل النظر في المصحف. قال القرطبي في «التذكار» (ص ١٣٥): من التعظيم للقران وحرمته، أن لايحلي بالذهب ولا يكتب بالذهب فيخلط به زينة الدنيا وروى مغيرة عن ابراهيم انه كان يكره ان يحلى المصحف. أو يكتب بالذهب وقال ابن عباس – ورأى مصحفا قد زين بالفضة – تغرون به السارق وزينته في جوفه.

ورأى عبد الله بن مسعود مصحفا مزينا بالذهب فقال: إن أحسن مازينت به المصحف تلاوته ليلا ونهارا وخلوة. وعن أبي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا زخرفتم مساجدكم وحليتم مصاحفكم فالدمار عليكم». «الصحيحة» (١٣٥١).

المصحف الالكتروني:

يجوز اقتناء هذا المصحف،ولا بأس في ذلك، والقراءة فيه كالقراءة في المصحف كما هو المفتى به عندنا، وانظر فتوانا رقم: ٤٩٢٣٧، وللفائدة حول المصحف الإلكتروني انظر الفتوى رقم: ٣٢٤١٠، ورقم: ٩٩٦٢٠، «مركز الفتوى».

** **

(٣١) الأمر باقتناء المصاحف

عَنْ عُقْبَةَ بْنَ عَامِرٍ الْجُهَنِيَّ، يَقُولُ: كُنَّا جُلُوسًا فِي الْمَسْجِدِ نَقْرَأُ الْقُرْآنَ، فَدَخَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَسَلَّمَ عَلَيْنَا، فَرَدَدْنَا عَلَيْهِ السَّلَامَ، ثُمَّ قَالَ: «**تَعَلَّمُوا كِتَابَ اللهِ وَاقْتَنُوهُ** - قَالَ قُبَاثٌ: وَحَسِبْتُهُ قَالَ- **وَتَغَنُّوا بِهِ، فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَهُوَ أَشَدُّ تَفَلُّتًا مِنَ الْمَخَاضِ مِنَ الْعُقُلِ**». أخرجه أحمد وغيره انظر «الصحيحة» (رقم ٣٢٨٥).

الاقتناء للمصحف مما أمر به النبي ﷺ فقال: «تَعَلَّمُوا كِتَابَ اللَّهِ وَتَعَاهَدُوهُ، وَاقْتَنُوهُ، وَتَغَنَّوْا بِهِ ..) أخرجه الدارمي (٤٣٩/٢) وغيره انظر «أصل صفة الصلاة» (٥٧٧/٢). قال في اللسان: تَقُولُ: اقْتَنَى يَقْتَنِي اقْتِناء، وَهُوَ أَن يَتَّخِذَهُ لِنَفْسِهِ لَا لِلْبَيْعِ. وَيُقَالُ: هَذِهِ قِنْيَةٌ وَاتَّخَذَهَا قِنْيَةً لِلنَّسْلِ لَا لِلتِّجَارَةِ. اهـ.

فعلى المسلم اقتناؤه وتملكه واتخاذه لنفسه وان لا يخلوا منه بيت ولا مجمع إلا وفيه نسخة من كتاب الله ليتمكن من حفظه وقراءته وتعلم أحكامه وتنشئة جيل الأمة على رعاية كتاب الله ودرايته بل ينبغي أن يكون المصحف من أولى المقتنيات الغالية المقدسة عند المسلم وان يتخذ لنفسه مصاحف القراءات العشر فيتملكها ويحوزها.

وقد كتبها شيخنا العلامة الدكتور توفيق بن إبراهيم ضمرة وهي مطبوعة متداولة ولله الحمد.

قال الطيبي: فضلت القراءة في المصحف، لحفظ النظر في المصحف، وحمله، ومسه، وتمكنه من التفكر فيه، واستنباط معانيه. «شرح الطيبي على مشكاة المصابيح» (١٦٧٣/٥)

ويحرم هجرانه فهجر القرآن أنواع:

أحدها: هجر سماعه والإيمان به والإصغاء إليه.

والثاني: هجر العمل به والوقوف عند حلاله وحرامه وإن قرأه وآمن به.

والثالث: هجر تحكيمه والتحاكم إليه في أصول الدين وفروعه واعتقاد أنه لا يفيد اليقين وأن أدلته لفظية لا تحصل العلم.

والرابع: هجر تدبره وتفهمه ومعرفة ما أراد المتكلم به منه.

والخامس: هجر الاستشفاء والتداوي به في جميع أمراض القلب وأدوائها فيطلب شفاء دائه من غيره ويهجر التداوي به وكل هذا داخل في قوله ﴿**وقال الرسول يا رب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا**﴾ وإن كان بعض الهجر أهون من بعض. اهـ. «الفوائد» (ص ٨٢٩) ابن قيم الجوزية.

توريث الأمة كتاب الله تبارك وتعالى

وأورثهم الكتاب المهيمن على سائر الكتب، ولهذا قال: ﴿**ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا**﴾ وهم هذه الأمة ﴿**فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ**﴾ بالمعاصي، التي هي دون الكفر ﴿**وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ**﴾ مقتصر على ما يجب عليه، تارك للمحرم ﴿**وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ**﴾ أي: سارع فيها واجتهد، فسبق غيره، وهو المؤدي للفرائض، المكثر من النوافل، التارك للمحرم والمكروه. فكلهم اصطفاه الله تعالى، لوراثة هذا الكتاب، وإن تفاوتت مراتبهم، وتميزت أحوالهم، فلكل منهم قسط من وراثته، حتى الظالم لنفسه، فإن ما معه من أصل الإيمان، وعلوم الإيمان، وأعمال الإيمان، من وراثة الكتاب، لأن المراد بوراثة الكتاب، وراثة علمه وعمله، ودراسة ألفاظه، واستخراج معانيه.

وقوله ﴿**بِإِذْنِ اللَّهِ**﴾ راجع إلى السابق إلى الخيرات، لئلا يغتر بعمله، بل ما سبق إلى الخيرات إلا بتوفيق الله تعالى ومعونته، فينبغي له أن يشتغل بشكر الله تعالى على ما أنعم به عليه. ﴿**ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ**﴾ أي: وراثة الكتاب الجليل، لمن اصطفى تعالى من عباده، هو الفضل الكبير، الذي جميع النعم بالنسبة إليه، كالعدم، فأجل النعم على الإطلاق، وأكبر الفضل، وراثة هذا الكتاب.

ثم ذكر جزاء الذين أورثهم كتابه فقال: ﴿**جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا...**﴾ (سورة فاطر :٣٢) «تيسير الكريم الرحمن» (١/ ٩٨٦).

توريث المصحف:

وتوريث المصحف مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته فعَن أَنَسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُول اللهِ ﷺ: «سَبْعٌ يَجْرِي لِلْعَبْدِ أَجْرُهُنَّ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهِ، وهُو فِي قَبْرِهِ: مَنْ عَلَّمَ عِلْمًا، أَوْ كَرَى

نَهْرًا، أَوْ حَفَرَ بِئْرًا، أَوْ غَرَسَ نَخْلا، أَوْ بَنَى مَسْجِدًا، أَوْ وَرَّثَ مُصْحَفًا، أَوْ تَرَكَ وَلَدًا يَسْتَغْفِرُ لَهُ بَعْدَ مَوْتِهِ». «صحيح الترغيب» (٧٤، ٢/٥٢). وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ مِمَّا يَلْحَقُ الْمُؤْمِنَ مِنْ عَمَلِهِ وَحَسَنَاتِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ عِلْمًا عَلَّمَهُ وَنَشَرَهُ، وَوَلَدًا صَالِحًا تَرَكَهُ، وَمُصْحَفًا وَرَّثَهُ، أَوْ مَسْجِدًا بَنَاهُ، أَوْ بَيْتًا لِابْنِ السَّبِيلِ بَنَاهُ، أَوْ نَهْرًا أَجْرَاهُ، أَوْ صَدَقَةً أَخْرَجَهَا مِنْ مَالِهِ فِي صِحَّتِهِ وَحَيَاتِهِ، يَلْحَقُهُ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهِ» (ه). «المشكاة» (٢٥٤). (إن مما يلحق المؤمن): خبر إن: أي كائن مما يلحقه، واسمها علما وما عطف عليه، ولا يجوز أن تكون تبعيضية لأنه ينافي الحصر الذي في قوله عليه الصلاة والسلام: ينقطع عمله إلا من ثلاث (علما علمه): بالتخفيف، وفي نسخة بالتشديد (ونشره): هو أعم من التعليم، فإنه يشمل التأليف ووقف الكتب- ذكر القاضي تاج الدين السبكي أن التصنيف في ذلك أقوى لطول بقائه على ممر الزمان «الديباج» (٢٢٨/٤) «للسيوطي» (وولدا صالحا): أي: مؤمنا (تركه): أي: خلفه أي: بعد موته احترازا عن الفرط (أو مصحفا ورثه): أي: تركه للورثة ولو ملكا وفي معناه: كتب العلوم الشرعية فيكون له ثواب التسبب (أو مسجدا بناه): وفي معناه مدرسة العلماء ورباط الصلحاء. قال الطيبي: الجمل المصدرة بأو من قسم الصدقة الجارية، وأو فيها للتنويع والتفصيل، وأما قوله (أو صدقة أخرجها من ماله في صحته وحياته): فداخل في الصدقة الجارية ولإرادة هذا المعنى أتبعه بقوله: (تلحقه من بعد موته). وفي عطف حياته على صحته إشارة إلى معنى قوله ﷺ في جواب من قال: «أي الصدقة أعظم أجرا؟ أن تصدق وأنت صحيح شحيح تخشى الفقر وتأمل الغنى». «مرقاة المفاتيح» (٣٢٦/١) وانظر «مرعاة المفاتيح» (٣٤٦/١) و عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: «إِنَّ أَصْفَرَ الْبُيُوتِ بَيْتٌ لَيْسَ فِيهِ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ شَيْءٌ » من الخير البيت الصَّفِرُ-الخالي من كتاب الله. «لسان» (٤٦٢/٤) قال الالباني: رواه الحاكم حسن لغيره موقوف «صحيح الترغيب».

قال العلامة الخضير: الإنسان قد يرث من أبيه القرآن لكن قد يرثه حساً، وقد يرثه معنىً، قد يرثه حساً بأن يترك له مصحف، وقد يرثه معنىً بأن يكون الأب حافظاً لكتاب الله محفظاً لابنه كتاب الله -جل وعلا-،﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾(فاطر: ٣٢)

سورة والمراد بذلك الميراث المعنوي الحسي الأهم؛ لأن الإنسان قد يرث مصحف لكن لا يقرأ فيه ولا ينتفع به، وجاء من الأمور التي يجري عملها بعد موت ابن آدم أو مصحفاً ورثه.

مشروعية السلام على قارئ القران «فَسَلَّمَ عَلَيْنَا، فَرَدَدْنَا عَلَيْهِ السَّلَامَ»

قال العلامة الألباني: وفي هذا الحديث من الفقه: مشروعية السلام على من كان جالساً يقرأ القرآن، ففيه رد على من قال بكراهة ذلك، وهذا مع كونه مجرد رأي «فهو مخالف لهذا الحديث، ولعموم قوله ﷺ: «أفشوا السلام بينكم». وإذا كان قد صح إقرار النبي ﷺ للصحابة حين كانوا يسلمون عليه وهو يصلي في مسجد قباء، ويرد عليهم إشارة بيده الكريمة؛ فمن باب أولى أن يشرع السلام على التالي للقرآن خارج الصلاة، ويكون الرد حينئذٍ لفظاً لا إشارة كما لا يخفى على أولي النهى، وإلى هذا ذهب النووي- رحمه الله-. وقد خرَّجت حديث الإقرار المشار إليه في «صحيح أبي داود» برقم (٨٦٠)، وفيما تقدم من هذا الكتاب برقم (١٨٦)، وذكرت فيه عمل أحمد وإسحاق وابن العربي به. وتطرقت للسلام على القارئ والمؤذن، وأشرت إلى هذا الحديث، ولم يتيسر لي هناك تخريجه، والآن فقد وفق الله ويسر لي تخريجه؛ و (لكل أجل كتاب). والله ولي التوفيق.

وقال: (**تنبيه**): إن الدعاء المطبوع في آخر بعض المصاحف المطبوعة في تركيا وغيرها تحت عنوان: «دعاء ختم القرآن» والذي ينسب لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى؛ فهو مما لا نعلم له أصلاً عن ابن تيمية أو غيره من علماء الإسلام، ومما لا شك فيه أن التزام دعاء معين بعد ختم القرآن من البدع التي لا تجوز؛ لعموم الأدلة، كقوله ﷺ: «كل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار»، وهو من البدع التي يسميها الإمام الشاطبي بـ «البدعة الإضافية»، وشيخ الإسلام ابن تيمية من أبعد الناس عن أن يأتي بمثل هذه البدعة، كيف وهو كان له الفضل الأول -في زمانه وفيما بعده- بإحياء السنن وإماتة البدع؟ جزاه الله خيراً. اهـ. مختصرا «سلسلة الأحاديث الضعيفة» (١٣/ ٣١٥).

** **

(٣٢) الأمر بتعاهد القرآن بكثرة التلاوة

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «**إِنَّمَا مَثَلُ صَاحِبِ الْقُرْآنِ كَمَثَلِ صَاحِبِ الْإِبِلِ الْمُعَقَّلَةِ، إِنْ عَاهَدَ عَلَيْهَا أَمْسَكَهَا، وَإِنْ أَطْلَقَهَا ذَهَبَتْ**». (متفق عليه) زاد مسلم في رواية «**وإذا قام صاحب القرآن فقرأه بالليل والنهار ذكره وإذا لم يقم به نسيه**».

قال القاضي عياض: معنى صاحب القرآن أي الذي ألفه والمصاحبة المؤالفة ومنه صاحب فلان وأصحاب الجنة وأصحاب النار انتهى. وقوله الذي ألفه يصدق بأن يألف تلاوته في المصحف مع كونه غير حافظ له لكن الظاهر أن المراد بصاحب القرآن حافظه ويدل لذلك الزيادة التي أخرجها مسلم وغيره من حديث موسى بن عقبة «وإذا لم يقم به نسيه» ولولا هذه الزيادة لأمكن دخول تلك الصورة في الحديث بأن يقال إن غير الحافظ الذي ألف التلاوة في المصحف ما دام مستمرا على ذلك يدل لسانه به ويسهل عليه قراءته فإذا هجر ذلك ثقل عليه وصار في القراءة عليه مشقة وقد صرح أبو العباس القرطبي باعتبار الحفظ في ذلك فقال وصاحب القرآن هو الحافظ له المشتغل به الملازم لتلاوته.

المعقلة هي المشدودة بالعقل بضم العين والقاف وهو جمع عقال بكسر العين والمراد به الحبل الذي تشد به ركبة البعير شبه درس القرآن واستمرار تلاوته بالعقال الذي يمنع البعير من الشراد فما دام الدرس موجودا فالحفظ مستمر وما دام العقال موثوقا فالبعير محفوظ وخص الإبل بالذكر لأنها أشد الحيوانات الإنسية شرادا ونفورا وتحصيلها بعد نفورها أشق وأصعب من تحصيل غيرها بعد نفوره.

(إنما مثل صاحب القرآن)، أي صفته الغريبة الشأن العجيبة البرهان (كمثل صاحب الإبل المعقلة)، أي المشدودة بالعقال (إن عاهد)، أي دوام وتفقد وحافظ صاحبها (عليها أمسكها)، أي بالعقال ونحوه (وإن أطلقها)، أي أرسلها وحلها (ذهبت. متفق عليه).

قال العلامة الألباني «السلسلة الصحيحة» (٥/ ٢٨٤): واعلم أن المراد بقوله: «صاحب القرآن» حافظه عن ظهر قلب على حد قوله ﷺ: «يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله...»، أي أحفظهم، فالتفاضل في درجات الجنة إنما هو على حسب الحفظ في الدنيا، وليس على حسب

قراءته يومئذ واستكثاره منها كما توهم بعضهم، ففيه فضيلة ظاهرة لحافظ القرآن، لكن بشرط أن يكون حفظه لوجه الله تبارك وتعالى، وليس للدنيا والدرهم والدينار، وإلا فقد قال ﷺ: «أكثر منافقي أمتي قراؤها» وقد مضى تخريجه برقم (٧٥٠).

الحكمة من الأمر بتعاهد القرآن:

وهذا من حكمة الله عز وجل أن يكون القرآن ينسى سريعًا لأجل أن يحرص القارئ على تعاهده وكثرة تلاوته فيحصل له الأجر ويزداد أجرًا، وليكون هذا امتحان واختبار من الله عز وجل فيمن هو حريص على كتاب الله، أو ليس بحريص فأوصي إخواني الذين منَّ الله عليهم بحفظ القرآن أن يكثروا من قراءته لما في ذلك من الأجر والثواب، أسال الله أن يرزقنا جميعا تلاوة كتابه حق تلاوته حفظا وعلما وعملاً. (٢٤٨/٢٠).

في دوام تلاوة القران بعد تعلمه:

قال الزركشي(٤٥٨/١) في «البرهان»: وليدمن على تلاوته بعد تعلمه قال الله تعالى مثنيا على من كان دأبه تلاوة آيات الله: ﴿**يتلون آيات الله آناء الليل**﴾ وسماه ذكرا وتوعد المعرض عنه ومن تعلمه ثم نسيه وفي الصحيحين: «تعاهدوا القرآن فوالذي نفس محمد بيده لهو أشد تفلتا من الإبل في عقالها وقال بئسما لأحدهم أن يقول نسيت آية كيت وكيت بل هو نسي واستذكروا القرآن فلهو أشد تفصيا في صدور الرجال من النعم في عقالها».

*** ***

(٣٣) فضل من يجهر بالقراءة ويخفي

عن عُقْبَةَ بن عامر الجُهَني قال: قال رسول الله ﷺ: «**الجاهر بالقرآن كالجاهر بالصدقة، والمُسِر بالقرآن كالمُسِرِّ بالصدقة**». (د ت ن) عن عقبة بن عامر (ك) عن معاذ. «صحيح أبي داود – الأم» (رقم ١٢٠٤).

قال الألباني في «أصل صفة الصلاة» (٢/٤٢٧): قال تعالى: ﴿**إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ**﴾ قال الترمذي: «ومعنى هذا الحديث: إن الذي يُسِرُّ بقراءة القرآن أفضل من الذي يجهر بها؛ لأن صدقة السر أفضل عند أهل العلم من صدقة العلانية. وإنما معنى هذا عند أهل العلم: لكي يأمن الرجلُ من العُجب؛ لأن الذي يُسِرّ العمل لا يخاف عليه العُجب ما يُخاف عليه من علانيته.

قال السندي: لكن الذي يقتضيه أمره ﷺ لأبي بكر: «ارفع من صوتك»: أن الاعتدال في القراءة أفضل؛ فإما أن يحمل الجهر في الحديث على المبالغة، والسر على الاعتدال. أوعلى أن هذا الحديث محمول على ما إذا كان الحال يقتضي السر، وإلا؛ فالاعتدال في ذاته أفضل. قلت: والاحتمال الثاني أظهر. والله أعلم.

قوله: الجاهر بالقرآن كالجاهر بالصدقة. شبه القرآن جهراً وسراً بالصدقة جهراً وسراً. ووجه الشبه ماذكره الشيخ محيى الدين النواوى حيث قال: جاءت آثار بفضيلة رفع الصوت بالقرآن وآثار بفضيلة الإسرار.

قال الطيبي: جاء آثار بفضيلة الجهر بالقرآن وآثار بفضيلة الإسرار به والجمع بأن يقال الإسرار أفضل لمن يخاف الرياء والجهر أفضل لمن لا يخافه بشرط أن لا يؤذي غيره من مصل، أو نائم، أو غيرهما، وذلك لأن العمل في الجهر يتعدى نفعه إلى غيره، أي: من استماع، أو تعلم، أو ذوق، أو كونه شعارا للدين، ولأنه يوقظ قلب القارئ، ويجمع همه، ويطرد النوم عنه، وينشط غيره للعبادة، فمن حضره شيء من هذه النيات فالجهر أفضل.

قال الألباني: وأما في صلاة الليل فكان تارة يسر وتارة يجهر(د ت) و (كان إذا قرأ وهو في البيت يسمع قراءته من في الحجرة)(ن، ت) و (كان ربما رفع صوته أكثر من ذلك حتى يسمعه من كان على عريشه). (أي خارج الحجرة) (د، ك).

وبذلك أمر أبا بكر وعمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا وذلك حينما (خرج ليلة فإذا هو بأبي بكر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ يصلي يخفض من صوته ومر بعمر بن الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ وهو يصلي رافعا صوته فلما اجتمعا عند النبي ﷺ قال: «يا أبا بكر مررت بك وأنت تصلي تخفض من صوتك». قال: قد أسمعت من ناجيت يا رسول الله وقال لعمر: «مررت بك وأنت تصلي رافعا صوتك». فقال: يا رسول الله أوقظ الوسنان وأطرد الشيطان فقال النبي ﷺ: «يا أبا بكر ارفع من صوتك شيئا» وقال لعمر: «اخفض من صوتك شيئا» (د، ك).

قال ابن العربي في «عارضة الأحوذي»: اختلف الناس في أي المقامين أفضل: هل التناجي سراً مع المولى، أم الجهر؛ لما في ذلك من تضاعف الأجر في تذكرة الغافل، وطرد العدو؟ وما حكم به النبي ﷺ فيه أعدل شاهد؛ فإنه ﷺ لم يُزِلْ أبا بكر عن صفته، ولا عمر، وقال لهذا: «ارفع من صوتك قليلاً»؛ حتى يقتدي بك من يسمعك. وقال لعمر:«اخفض من صوتك»؛ لئلا يتأذى بك من يحتاج إلى النوم. وهذا إنما كان في حق أبي بكر للقطع في خُلُوصِ نيته، وسلامته عن الرياء، وتصديقه له في قوله: أسمعتُ من ناجيتُ. وأما غيره؛ فالسر له أفضل؛ لأنه أقرب إلى الإخلاص، وأسلم من الآفات.

وقد ثبت عن عائشة في «الصحيح»: أن النبي ﷺ ربما أسر في قراءته، وربما جهر. فقال الراوي له عن عائشة: الحمد لله الذي جعل في الأمر سَعَةً. فيقرأ كل أحد بما قدر عليه من نشاطه وكسله، وبما سلم من إخلاصه، أو خوفه الرياءَ والتصنعَ على نفسه.

وتلاوته وسيلة للقرب من الملائكة عَنْ عَلِيٍّ قَالَ أُمِرْنَا بِالسِّوَاكِ وَقَالَ إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا قَامَ يُصَلِّي أَتَاهُ الْمَلَكُ فَقَامَ خَلْفَهُ يَسْتَمِعُ الْقُرْآنَ وَيَدْنُو فَلا يَزَالُ يَسْتَمِعُ وَيَدْنُو حَتَّى يَضَعَ فَاهُ عَلَى فِيهِ لَا يَقْرَأُ آيَةً إِلَّا كَانَتْ فِي جَوْفِ الْمَلك رواه البيهقي في «السنن الكبرى» «الصحيحة» انظر (١٢١٣).

** **

(٣٤) نزول السكينة والملائكة عند القراءة

عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، قَالَ: سَمِعْتُ الْبَرَاءَ، قَالَ: قَرَأَ رَجُلٌ سُورَةَ الْكَهْفِ وَلَهُ دَابَّةٌ مَرْبُوطَةٌ، فَجَعَلَتِ الدَّابَّةُ تَنْفِرُ، فَنَظَرَ الرَّجُلُ إِلَى سَحَابَةٍ قَدْ غَشِيَتْهُ، أَوْ ضَبَابَةٍ، فَفَزِعَ، فَذَهَبَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، قُلْتُ: سَمَّى النَّبِيُّ ﷺ ذَاكَ الرَّجُلَ؟ قَالَ: نَعَمْ. فَقَالَ: **«اقْرَأْ فُلَانُ، فَإِنَّ السَّكِينَةَ نَزَلَتْ لِلْقُرْآنِ، أَوْ عِنْدَ الْقُرْآنِ»**. رواه احمد.

قال الألباني: هذا إسناد صحيح على شرط الشيخين، وقد أخرجه البخاري (٦ / ٤٥٨ - فتح) ومسلم (٢ / ١٩٣) انظر «الصحيحة» (١٣١٣). قلت وفي رواية:« تلك الملائكة كانت تستمع لك ولو قرأت لأصبحت يراها الناس ما تستتر منهم» (ق) وفي صحيح الترغيب والترهيب للألباني «فالتفت فإذا أمثال المصابيح قال مدلاة بين السماء والأرض فقال يا رسول الله ما استطعت أن أمضي فقال تلك الملائكة نزلت لقراءة القرآن أما إنك لو مضيت لرأيت العجائب» (ك) (اقرأ ابن حضير) (ق): (اقرأ) معناه كان ينبغى أن تستمر على القراءة، وتغتنم ما حصل لك من نزول السكينة والملائكة، وتستكثر من القراءة التي هي سبب بقائها.

أقول: يريد أن (اقرأ) لفظة أمر طلب للقراءة في الحال، ومعناه تخصيص وطلب للاستزادة في الزمان الماضي، هذا كما إذا حكى صاحبك عندك ما جرى في الزمان الماضي مما يجب أن يفعله، أي هلا زدت، كأنه ﷺ استحضر تلك الحالة العجيبة الشأن، فيأمره تحريضًا عليه. والدليل علي أن المراد من الأمر الاستزادة وطلب دوام القراءة، والنهي عن قطعها.

قال الألباني: ثم إن هذه القصة قد صح نحوها عن أسيد بن حضير وأنه هو صاحب القصة لكن فيها أنه قرأ سورة (البقرة)، فإن كانت واحدة فيجمع بين الحديثين بأنه قرأها مع (الكهف) وإلا فهما قصتان ولا مانع من التعدد.

وقد تكرر ذكر السكينة في القرآن والحديث وقيل في معناها أقوال كثيرة ذكرها الحافظ، منها قول وهب أنها روح من الله، ومنها أنها ريح هفافة لها وجه كوجه الإنسان! قال الحافظ:«وهو اللائق بحديث الباب، وليس قول وهب ببعيد . والله أعلم.

وفي «شرح صحيح مسلم» (٨٢/٦) وفي هذا الحديث جواز رؤية آحاد الأمة الملائكة وفيه فضيلة القراءة وأنها سبب نزول الرحمة وحضور الملائكة وفيه فضيلة استماع القرآن قوله ﷺ اقرأ فلان وفي الرواية الأخرى اقرأ ثلاث مرات معناه كان ينبغي أن تستمر على القرآن وتغتنم ما حصل لك من نزول السكينة والملائكة وتستكثر من القراءة التي هي سبب بقائها.

(فائدة) تلاوة هذه السور-الشمس، الانشقاق، الانفطار- هي سبب لرؤية يوم القيامة في الدنيا فعن عبد الرحمن وهو ابن يزيد الصنعاني، قال: سمعت ابن عمر يقول: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ كَأَنَّهُ رَأْيُ عَيْنٍ فَلْيَقْرَأْ: إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ، وَإِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ، وَإِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ» أخرجه الترمذي وغيره انظر «الصحيحة» (١٠٨١)

كَانَ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ: إِنَّ الْبَيْتَ لَيَتَّسِعُ عَلَى أَهْلِهِ وَتَحْضُرُهُ الْمَلَائِكَةُ وَتَهْجُرُهُ الشَّيَاطِينُ، وَيَكْثُرُ خَيْرُهُ أَنْ يُقْرَأَ فِيهِ الْقُرْآنُ، وَإِنَّ الْبَيْتَ لَيَضِيقُ عَلَى أَهْلِهِ وَتَهْجُرُهُ الْمَلَائِكَةُ، وَتَحْضُرُهُ الشَّيَاطِينُ، وَيَقِلُّ خَيْرُهُ أَنْ لَا يُقْرَأَ فِيهِ الْقُرْآنُ. «رواه الدار مي» إسناده صحيح وهو موقوف على أبي هريرة.

** **

(٣٥) في كم يقرأ القرآن؟

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ فِي كَمْ أَقْرَأُ الْقُرْآنَ؟ قَالَ: «**اقْرَأْهُ فِي كُلِّ شَهْرٍ**»، قَالَ: قُلْتُ: إِنِّي أَقْوَى عَلَى أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ قَالَ: «**اقْرَأْهُ فِي خَمْسٍ وَعِشْرِينَ**»، قُلْتُ: إِنِّي أَقْوَى عَلَى أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ قَالَ: «**اقْرَأْهُ فِي عِشْرِينَ**»، قَالَ: قُلْتُ: إِنِّي أَقْوَى عَلَى أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ قَالَ: «**اقْرَأْهُ فِي خَمْسَ عَشْرَةَ**»، قَالَ: قُلْتُ: إِنِّي أَقْوَى عَلَى أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ قَالَ: «**اقْرَأْهُ فِي عشر**»، قَالَ: قُلْتُ: إِنِّي أَقْوَى عَلَى أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ قَالَ: «**اقْرَأْهُ فِي سَبْعٍ**»، قَالَ: قُلْتُ: إِنِّي أَقْوَى عَلَى أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ قَالَ: «**لَا يَفْقَهُهُ مَنْ يَقْرَؤُهُ فِي أَقَلَّ مِنْ ثَلَاثٍ**».

قال العلامة الألباني: واعلم أن الظاهر من اختلاف روايات هذا الحديث أن القصة تكررت بينه ﷺ وبين ابن عمرو، وأنه عليه الصلاة والسلام لم يتنزَّل معه إلى الثلاث في مجلس واحد؛ بل في مجالس. وإلى ذلك جنح الحافظ في «الفتح» ويحتمل أن القصة واحدة، وأن بعض الرواة حفظ ما لم يحفظه الآخر، ولكن يمنع القولَ بهذا ما ثبت في رواية: أنه منعه من القراءة في أقل من خمس، وفي أخرى في أقل من سبع؛ فلا مناص من القول بتعددها، وإلا؛ لزم ردُّ بعض الروايات الصحيحة، أوضرب بعضها ببعض! وهذا لا يجوز ما أمكن الجمع بينها. قال الحافظ: فلا مانع أن يتعدد قول النبي ﷺ لعبد الله بن عمرو ذلك؛ تأكيداً، ويؤيده الاختلاف الواقع في السياق، وكأن النهي عن الزيادة ليس على التحريم، كما أن الأمر في جميع ذلك ليس للوجوب، وعُرف ذلك من قرائن الحال التي أرشد إليها السياق؛وهو النظر إلى عَجْزِه عن سوى ذلك في الحال أو في المآل، وأغرب بعض الظاهرية فقال: يحرم أن يقرأ القرآن في أقل من ثلاث.

وقال النووي: أكثر العلماء على أنه لا تقدير في ذلك، وإنما هو بحسب النشاط والقوة؛ فعلى هذا يختلف باختلاف الأحوال والأشخاص.

قلت: وهذا مخالف لصريح قوله ﷺ: «من قرأ القرآن في أقل من ثلاث لم يفقهه». وهذا نص عام شامل لجميع الأشخاص، وفيه التقدير بثلاث ليال؛ فكيف يقال:إنه لا تقدير في ذلك؟!

فقد ذكر ﷺ أن كل من يقرأ القرآن في أقل من ثلاث لا يفقهه، ولا يفهمه الفهم المقصود من تلاوة القرآن. كما قد أشار إلى ذلك قوله تعالى: ﴿**أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا**﴾.

وقال ابن مسعود: من قرأ القرآن في أقل من ثلاث؛ فهو راجز. هَذٌّ كهَذِّ الشعر، ونثر كنثر الدِّقَل.

وكان معاذ بن جبل لا يقرأ القرآن في أقل من ثلاث. ذكرهما ابن نصر (٦٣).

وقد نسب ﷺ كل من خالف ذلك إلى عدم الفقه -كما هو ظاهر معنى الحديث المذكور باللفظ الثاني-.

فالحق أنه لا يجوز قراءة القرآن في أقل من ذلك. وهو اختيار الإمام أحمد وغيره من الأئمة -كما سلف-.

وقال الحافظ ابن كثير في «فضائل القرآن» (ص ١٧٢): وقد كره غير واحد من السلف قراءة القرآن في أقل من ثلاث، كما هو مذهب أبي عُبيد وإسحاق بن راهويه، وغيرهما من الخلف أيضاً، وثبت عن كثير من السلف أنهم قرؤوا القرآن في أقل من ذلك، وهو محمول على أنه ما بلغهم في ذلك حديث مما تقدم، أو أنهم كانوا يفهمون ويتفكرون فيما يقرؤونه مع هذه السرعة.

قلت: والجواب الصحيح هو الأول، وأما هذا؛ فمخالف لقوله ﷺ: «من قرأ القرآن في أقل من ثلاث؛ لم يفقهه» -كما بينا- ولم يكن رسول الله ﷺ كما سبق .. يقرؤه في أقل من ذلك، ولنا به أسوة حسنة.

قراءة النبي ﷺ القران على الجن:

خلق الله الجن والإنس لعبادته فمن أطاعه دخل الجنة ومن عصاه دخل النار، والجن كلهم مكلفون كالإنس، منهم المؤمن ومنهم الكافر، والمطيع والعاصي، ومقتضى هذا التكليف أن يقوموا بما أمرهم الله تعالى به من طلب العلم، والصلاة، ولا يمكن أن تكون منهم صلاة بغير قراءة قرآن، وقد ذكر الله تعالى في كتابه الكريم أن منهم مَن سمع القرآن مِن النبي ﷺ وأنهم آمنوا به وذهبوا إلى قومهم مبشرين ومنذرين به، قال تعالى: ﴿**قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآناً عَجَباً. يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَ لَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَداً**﴾ (الجن: ١،

٢)، وقال تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنا إِلَيْكَ نَفَراً مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ. قالُوا يا قَوْمَنا إِنَّا سَمِعْنا كِتاباً أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسى مُصَدِّقاً لِما بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (الأحقاف: ٢٩، ٣٠).

وقد صحَّ في السنَّة النبويَّة ذهاب النبي ﷺ لطائفة من الجن يعلمهم الشرع ويقرأ عليهم كتاب الله، فعن عَلْقَمَة قال: سَأَلْتُ ابْنَ مَسْعُودٍ فَقُلْتُ: هَلْ شَهِدَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَيْلَةَ الْجِنِّ؟ قَالَ: لَا وَلَكِنَّا كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ذَاتَ لَيْلَةٍ فَفَقَدْنَاهُ فَالْتَمَسْنَاهُ فِي الْأَوْدِيَةِ وَالشِّعَابِ فَقُلْنَا اسْتُطِيرَ أَوْ اغْتِيلَ، قَالَ: فَبِتْنَا بِشَرِّ لَيْلَةٍ بَاتَ بِهَا قَوْمٌ فَلَمَّا أَصْبَحْنَا إِذَا هُوَ جَاءٍ مِنْ قِبَلِ حِرَاءٍ، قَالَ: فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَدْنَاكَ فَطَلَبْنَاكَ فَلَمْ نَجِدْكَ فَبِتْنَا بِشَرِّ لَيْلَةٍ بَاتَ بِهَا قَوْمٌ فَقَالَ: «أَتَانِي دَاعِي الْجِنِّ فَذَهَبْتُ مَعَهُ فَقَرَأْتُ عَلَيْهِمْ الْقُرْآنَ». رواه مسلم، وكل ذلك يدل على أن الجن مكلفون فمن دخل منهم في الإسلام فهم مأمورون بالصلاة وقراءة القرآن.

قال القرطبي –رحمه الله– في تفسير سورة (الرحمن)-:هذه السورة و (الأحقاف و قل أوحي) دليل على أن الجن مخاطَبون مكلَّفون مأمورون منهيون مثابون معاقبون كالإنس سواء، مؤمنهم كمؤمنهم، وكافرهم ككافرهم، لا فرق بيننا وبينهم في شيء من ذلك. «تفسير القرطبي» (١٧ / ١٦٩).

قال ابن القيم –رحمه الله-:وبالجملة: فهذا أمر معلوم باضطرار من دين الإسلام، وهو يستلزم تكليف الجن بشرائع، ووجوب اتباعهم لهم، فأما شريعتنا: فأجمع المسلمون على أن محمَّداً ﷺ بُعث إلى الجن والإنس، وأنه يجب على الجن طاعته كما يجب على الإنس. «طريق الهجرتين» (ص ٦١٦، ٦١٧).

وبه يُعلم أن قراءة القرآن من قبَل الجن لا بدَّ منها لأداء ما أوجبه الله تعالى من تكليف بالصلاة، وقد قرأ النبي ﷺ القرآن على طائفة منهم تعليماً لهم، وهو أمر في استطاعتهم، وليس هناك ما يدل على استحالته أو المنع منه. اهـ. مختصرا. «الإسلام سؤال وجواب».

** **

(٣٦) ما جاء في الوعيد لمن يستأكل بالقرآن وكراهية تعليم القرآن بالأجر

عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ شِبْلٍ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «**اقْرَءُوا الْقُرْآنَ، وَلَا تَغْلُوا فِيهِ، وَلَا تَجْفُوا عَنْهُ، وَلَا تَأْكُلُوا بِهِ، وَلَا تَسْتَكْثِرُوا بِهِ**» أخرجه أحمد وغيره. «الصحيحة» (٣٠٥٧).

(اقرءوا القرآن واعملوا به) فإنه لذلك أنزله الله تعالى (ولا تجفوا عنه) من الجفاء وهو البعد عن الشيء أي تعاهدوه ولا تبعدوا عن تلاوته وتقدم أن أطول مدة أذن بالبعد في إتمامه أربعون يومًا (ولا تغلوا فيه) من الغلو وهو التشدد في الشيء ومجاوزة الحد وفي معناه: «حامل القرآن غير الغالي فيه ولا الجافي عنه.

قال في النهاية: إنما قال ذلك لأن من أخلاقه وآدابه التي أمر بها التوسط في الأمور وخير الأمور أوساطها كلا طرفي قصد الأمور ذميم. اهـ.

ولعل المراد بالغلو المبالغة في تلاوته والمسارعة في ختمه كما يرشد إليه الجفاء وهو البعد عنه (ولا تأكلوا به) لا تجعلونه مكسبا تأكلون به أموال الناس كما يفعله المرتزقة بتلاوته.

القارئ يستاكل بالقرآن ويرزأ عليه الاموال وما في ذلك من الكراهة والتشديد:

عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ، أَنَّهُ مَرَّ عَلَى قَارِئٍ يَقْرَأُ، ثُمَّ سَأَلَ فَاسْتَرْجَعَ، ثُمَّ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ فَلْيَسْأَلِ اللَّهَ بِهِ، فَإِنَّهُ سَيَجِيءُ أَقْوَامٌ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ يَسْأَلُونَ بِهِ النَّاسَ». اخرجه الترمذي وغيره. «الصحيحة» (٢٥٧).

وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَنَحْنُ نَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَفِينَا الْأَعْرَابِيُّ وَالْأَعْجَمِيُّ، فَقَالَ: «**اقْرَءُوا فَكُلٌّ حَسَنٌ وَسَيَجِيءُ أَقْوَامٌ يُقِيمُونَهُ كَمَا يُقَامُ الْقِدْحُ يَتَعَجَّلُونَهُ وَلَا يَتَأَجَّلُونَهُ**» أخرجه أبو داود «الصحيحة» (٢٥٩). (فقال اقرءوا)، أي: كلكم (فكل حسن)، أي: فكل واحدة من قراءتكم حسنة مرجوة للثواب إذا آثرتم الآجلة على العاجلة، ولا عليكم أن لا تقيموا ألسنتكم إقامة القدح وهو السهم قبل أن يراش (وسيجيء أقوام يقيمونه): أي يصلحون ألفاظه وكلماته ويتكلفون في مراعاة مخارجه وصفاته (كما يقام القدح): أي يبالغون في عمل القراءة كمال المبالغة لأجل الرياء والسمعة والمباهاة والشهرة.

قال الطيبي: وفي الحديث رفع الحرج، وبناء الأمر على المساهمة في الظاهر، وتحرى الحسبة، والإخلاص في العمل، والتفكير في معاني القرآن، والغوص في عجائب أمره، وأما قول ابن حجر: ومع ذلك هم مذمومون لأنهم راعوا هذا الأمر السهل، وزادوا في القبح أنهم ضموا إلى هذه الغفلة أنهم يقرؤونه لأجل حطام الدنيا فغير محمود إذ ليس الذم على مبالغتهم في مراعاة الأمر السهل بل الذم من جهة ترك الأمر المهم (يتعجلونه)، أي: ثوابه في الدنيا (ولا يتأجلونه) بطلب الأجر في العقبى؛ بل الذم يؤثرون العاجلة على الآجلة ويتوكلون.

الجمع بين الحديثين:

عن إسماعيل بن عبيد الله قال: قال لي عبد الملك بن مروان: يا إسماعيل علم ولدي، فإني معطيك أو مثيبك، قال إسماعيل: يا أمير المؤمنين! وكيف بذلك وقد حدثتني أم الدرداء عن أبي الدرداء أن رسول الله ﷺ قال: «من أخذ على تعليم القرآن قوسا، قلده الله قوسا من نار يوم القيامة». قال عبد الملك: يا إسماعيل لست أعطيك أو أثيبك على القرآن، إنما أعطيك أو أثيبك على النحو. «الصحيحة» (٢٥٦).

عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله ﷺ قال: «إن أحق ما أخذتم عليه أجرا كتاب الله». أخرجه البخاري.

وقد عارضه ما أخرجه أبو داود من حديث عبادة بن الصامت، ولفظه: علمت ناسا من أهل الصفة الكتاب والقرآن فأهدى إلي رجل منهم قوسا فقلت ليست لي بمال فأرمي عليها في سبيل الله فأتيته فقلت: يا رسول الله رجل أهدى إلي قوسا ممن كنت أعلمه الكتاب والقرآن وليست لي بمال فأرمي عليها في سبيل الله فقال: «إن كنت تحب أن تطوق طوقا من نار فاقبلها» فاختلف العلماء في العمل بالحديثين.

فذهب الجمهور ومالك والشافعي إلى جواز أخذ الأجرة على تعليم القرآن سواء كان المتعلم صغيرا أو كبيرا ولو تعين تعليمه على المعلم عملا بحديث ابن عباس ويؤيده ما يأتي في النكاح من جعله ﷺ تعليم الرجل لامرأته القرآن مهرا لها قالوا وحديث عبادة لا يعارض حديث ابن عباس إذ حديث ابن عباس صحيح وحديث عبادة في رواية مغيرة بن زياد مختلف

فيه واستنكر أحمد حديثه وفيه الأسود بن ثعلبة فيه مقال فلا يعارض الحديث الثابت. قالوا ولو صح فإنه محمول على أن عبادة كان متبرعا بالإحسان وبالتعليم غير قاصد لأخذ الأجرة فحذره ﷺ من إبطال أجره وتوعده، وفي أخذ الأجرة من أهل الصفة بخصوصهم كراهة ودناءة لأنهم ناس فقراء كانوا يعيشون بصدقة الناس فأخذ المال منهم مكروه، وذهب الهادوية والحنفية وغيرهما إلى تحريم أخذ الأجرة على تعليم القرآن مستدلين بحديث عبادة وفيه ما عرفت فيه قريبا نعم استطرد البخاري ذكر أخذ الأجرة على الرقية في هذا الباب فأخرج من حديث أبي سعيد في رقية بعض الصحابة لبعض العرب وأنه لم يرقه حتى شرط عليه قطيعا من غنم فتفل عليه وقرأ عليه ﴿**الحمد لله رب العالمين**﴾ (الفاتحة: ٢) فكأنما نشط من عقال فانطلق يمشي وما به قلبة أي علة، فأوفاه ما شرط ولما ذكروا ذلك لرسول الله ﷺ قال قد أصبتم اقسموا واضربوا لي معكم سهما». وذكر البخاري لهذه القصة في هذا الباب وإن لم تكن من الأجرة على التعليم وإنما فيها دلالة على جواز أخذ العوض في مقابلة قراءة القرآن لتأييد جواز أخذ الأجرة على قراءة القرآن تعليما أو غيره إذ لا فرق بين قراءته للتعليم وقراءته للطب. «سبل السلام» (٢/١١٧-١١٨):

(أخذ الأجرة علي قراءة القرآن)

وقال في «التنوير» قيل: التعليم على ثلاثة وجوه:

أحدها: للحسبة فلا يأخذ به عوضًا.

الثاني: أن يعلم بالأجرة.

الثالث: أن يعلم بغير شرط وإذا أهدي إليه قبل.

فالأول مأجور وعليه عمل الأنبياء والرسل، والثاني مختلف فيه والأرجح الجواز. والثالث يجوز مطلقًا لأنه ﷺ كان معلمًا للخلق وكان يقبل الهدية، قال المصنف في الإتقان: فائدة ما اعتاده كثير من المشايخ القراء من امتناعهم من الإجازة إلا بأخذ مال في مقابلها لا يجوز إجماعًا بل إن علم أهليته وجب عليه الإجازة أو عدمها حرم عليه وليس الإجازة فيما يقابل المال ولا يجوز أخذه عليها والأجرة عليها (ولا تستكثروا به) الأخذ «التنويرشرح الجامع الصغير» (٢/٦٠٨-٦٠٩) للصنعاني.

ذكر الإخبار عن إباحة أخذ المرء الأجرة على كتاب الله جل وعلا:

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّ نَفَرًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ مَرُّوا بِمَاءٍ فبهم لَدِيغٌ أَوْ سَلِيمٌ فَعَرَضَ لَهُمْ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْمَاءِ فَقَالَ: هَلْ فِيكُمْ مِنْ رَاقٍ؟ إن فِي المَاء لَدِيغًا أَوْ سَلِيمًا فَانْطَلَقَ رَجُلٌ مِنْهُمْ فَقَرَأَ بِفَاتِحَة الْكتاب على شَاءَ فبرئ فَجَاءَ بِالشَّاءِ إِلَى أَصْحَابِهِ فَكَرِهُوا ذَلِكَ وَقَالُوا: أَخَذْتَ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ أَجْرًا حَتَّى قَدِمُوا الْمَدِينَةَ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَخَذَ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ أَجْرًا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ أَحَقَّ مَا أَخَذْتُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا كِتَابُ اللَّهِ». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَفِي رِوَايَةٍ: «أَصَبْتُمْ اقْسِمُوا وَاضْرِبُوا لِي مَعَكُمْ سَهْمًا» (متفق عليه) انظر«الإرواء» (١٤٩٤).

سئل العلامة العثيمين في لقاء الباب المفتوح ما حكم أخذ الأجرة على تعليم القرآن، وهل ورد في ذلك وعيد؟

فقال:أخذ الأجرة على قراءة القرآن حرام، مثلاً: إنسان يقول: أريد أن أقرأ لكم بأجرة، هذا محرم وليس له ثواب. وأما أخذ الأجرة على تعليم القرآن فلا بأس به، لقول النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم: (إن أحق ما أخذتم عليه أجراً كتاب الله). ولأن النبي ﷺ جعل تعليم القرآن مهراً، والمهر عوض). ولأن النبي ﷺ أجاز أخذ الأجرة على القراءة على المريض، كما في قصة أصحاب السرية الذين نزلوا ضيوفاً على قومٍ من العرب فأبى هؤلاء القوم أن يضيفوهم فتنحوا ناحية، فسلط الله على رئيسهم عقرباً فلدغته، وأتوا إلى الصحابة قالوا: هل فيكم أحد يقرأ؟ قالوا: نعم، لكن لا نقرأ لكم إلا بشيء. فأعطوهم قطيعاً من الغنم، فقرأ عليه القارئ بسورة الفاتحة، فقام اللديغ كأنما نشط من عقال وأخذوا الغنم، وأتوا بها إلى رسول الله ﷺ، فقال: (خذوا واضربوا لي معكم بسهمٍ).

حكم أخذ الأجرة على تعليم القرآن الإجازة ؟

قال الشيخ خالد عبد الله -حفظه الله تعالى- في «الإفادة في ضبط الإجازة» ما اعتاده كثير من مشايخ القراء من امتناعهم من الإجازة إلا بأخذ مالٍ في مقابلها، لا يجوز إجماعا بل إنْ عَلِمَ أهليته وجب عليه الإجازة، أو عدمها حَرُمَ عليه، وليست الإجازة مما يقابل

بالمال، فلا يجوز أخذه عنها، ولا الأجرة عليها بل هي حق الطالب المؤهل لها. وأما أخذ الأجرة على التعليم فجائز ففي البخاري (إن أحق ما أخذتم عليه أجر كتاب الله).

أقول:حقا لقد تغالى البعض حتى إن بعضهم يطلب بالدولارات والبعض الآخر يشترط في الختمة ثلاثة أو أربعة أو خمسة آلاف جنيها في حفص، والبعض يطلب في العشر الكبرى عشرة آلاف جنيها وتُدفع قبل القراءة على الطاولة كما يقولون، وأنا أعتب على الذين يرضون بدفع هذه الأموال ليحصلوا على الإجازة، فيأتي أحد إخواننا من الذين لا يملكون أن يدفعوا ذلك المبلغ للشيخ، ويعطونه ما يستطعون دفعه، فيرفض الشيخ، ويقول له: أنا آخذ في الختمة كذا وكذا وإخوانك يدفعون لي ذلك المبلغ، وبعضهم يدفع ذلك المبلغ لأنه سيحصل على أضعافه عند إقراءه كما سمعت بعضهم يقول ذلك عند أحد المشايخ. وعذر هؤلاء المشايخ الذين يشترطون هذه المبالغ الطائلة أن هناك الكثير والكثير من المقرئين وطالما أن القارئ خصني بالإجازة لشهرتي فليدفع، وبعضهم يقول: إني إجازتي مشهورة في كل مكان في العالم والمبلغ الذي ستدفعه لي ستحصِله في ختمتين، نسأل الله العفو والعافية.

بل إن بعض الناس لم يكن متقنا فيدفع الكثير والكثير فيحصل على الإجازة من الشيخ، والمتقن لا يأخذ الإجازة ؛ لأنه لم يستطع دفع المال المطلوب؛ أليس هذا بظلمً من الشيخ المجيز ؟!.

وبعضهم لا يقرئ إلا عِلية القوم (مهندس، دكتور، شخصية مرموقة، ..) والسبب معلوم للجميع، ولا شك أن هؤلاء المشايخ سيُسألون عن هذا التعنت والتشدد والغلو الفاحش في المال.

وأخيراً -أخي الكريم-: دعك من اللهث وراء الشهرة الفارغة وخذ العلم من صاحب الدين والسنة، نسأل الله العظيم أن يكون هذا الكلام عونا للجميع على طاعة الله ومرضاته، والله أعلم.

قلت:انظر «تلبيس ابليس» للحافظ ابن الجوزي (ص ١٣١).

** **

(٣٧) ذكر البيان بأن القرآن يرتفع به أقوام ويضع به آخرون على حسب نياتهم في قراءتهم

عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**إِنَّ اللَّهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الْكِتَابِ أَقْوَامًا، وَيَضَعُ بِهِ آخَرِينَ**». أَخْبَرَنَا الْحَكَمُ بْنُ نَافِعٍ، عَنْ شُعَيْبِ بْنِ أَبِي حَمْزَةَ، عَنْ الزُّهْرِيِّ، حَدَّثَنِي عَامِرُ بْنُ وَاثِلَةَ: أَنَّ نَافِعَ بْنَ عَبْدِ الْحَارِثِ لَقِيَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ بِعُسْفَانَ، وَكَانَ عُمَرُ اسْتَعْمَلَهُ عَلَى أَهْلِ مَكَّةَ، فَسَلَّمَ عَلَى عُمَرَ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: مَنِ اسْتَخْلَفْتَ عَلَى أَهْلِ الْوَادِي؟ فَقَالَ نَافِعٌ: اسْتَخْلَفْتُ عَلَيْهِمْ ابْنَ أَبْزَى. فَقَالَ عُمَرُ: وَمَنْ ابْنُ أَبْزَى؟ فَقَالَ: مَوْلًى مِنْ مَوَالِينَا. فَقَالَ عُمَرُ: فَاسْتَخْلَفْتَ عَلَيْهِمْ مَوْلًى؟ فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّهُ قَارِئٌ لِكِتَابِ اللَّهِ، عَالِمٌ بِالْفَرَائِضِ. فَقَالَ عُمَرُ: أَمَا إن رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ قَالَ: «**إِنَّ اللَّهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الْكِتَابِ أَقْوَامًا، وَيَضَعُ بِهِ آخَرِينَ**». أخرجه مسلم وغيره.

قال تعالى: ﴿**يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ**﴾ (المجادلة: ١١) قال ابن الجوزي «زاد المسير» (٤/٢٤٨) قوله عزّ وجلّ: ﴿**يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ**﴾ أي: يرفعهم بإيمانهم على من ليس بمنزلتهم من أهل الإيمان وَيرفع الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ على مَن ليس بعالم. وهل هذا الرفع في الدنيا، أم في الآخرة؟ فيه وجهان: أحدهما: أنه إخبار عن ارتفاع درجاتهم في الجنة.

والثاني: أنه ارتفاع مجالسهم في الدنيا، فيكون ترتيبهم فيها بحسب فضائلهم في الدِّين والعلم. وكان ابن مسعود يقول: أيها الناس:افهموا هذه الآية ولْتُرَغِّبْكم في العلم، فإن الله يرفع المؤمن العالم فوق من لا يعلم درجات.

وقال في«كشف المشكل» (١/ ١٥٠): إن الله يرفع بهذا الكتاب -يعني القرآن- أقواما، أراد يرفع حافظيه والعاملين به، ويضع المضيعين لحقه، المفرطين في أمره.

قال العلامة العثيمين في «شرح رياض الصالحين» (٤/ ٦٧٤): ﴿**إِنَّ اللَّهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الْكِتَابِ أَقْوَامًا، وَيَضَعُ بِهِ آخَرِينَ**﴾ يعني معناه أن هذا القرآن يأخذه أناس يتلونه ويقرءونه فمنهم

من يرفعه الله به في الدنيا والآخرة ومنهم من يضعهم الله به في الدنيا والآخرة فمن هذا ومن هذا من عمل بهذا القرآن تصديقا بأخباره وتنفيذا لأوامره واجتنابا لنواهيه واهتداء بهديه وتخلقا بما جاء به من أخلاق وكلها أخلاق فاضلة فإن الله تعالى يرفعه به في الدنيا والآخرة وذلك لأن هذا القرآن هو أصل العلم ومنبع العلم وكل العلم وقد قال الله تعالى يرفع الله الذين ءامنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات أما في الآخرة فيرفع الله به أقواما في جنات النعيم ويقال للقارئ اقرأ ورتل واصعد وله إلى منتهى قراءته صعود في الجنة إن شاء الله وأما الذين يضعهم الله به فقوم يقرءونه ويحسنون قراءته لكنهم يستكبرون عنه والعياذ بالله لا يصدقون بأخباره ولا يعملون بأحكامه يستكبرون عنه عملا ويجحدونه خبرا إذا جاءهم شيء من القرآن كقصص الأنبياء السابقين أو غيرهم أو عن اليوم الآخر أو ما أشبه ذلك صاروا والعياذ بالله يشككون فيذلك ولا يؤمنون بل ﴿**في قلوبهم مرض**﴾ مرتابون والعياذ بالله وربما يصل بهم الحال إلى الجحد مع أنهم يقرءون القرآن وفي الأحكام يستكبرون لا يأتمرون بأمره ولا ينتهون بنهيه هؤلاء والعياذ بالله يضعهم الله في الدنيا والآخرة ولابد أن يكون أمرهم خسارا حتى لو فرض أن الدنيا دانت لهم وتزخرفت فإن مآلهم إلى الخسار والعياذ بالله ولكن ربما يمهل لهم ويملي لهم وتنفتح عليهم الدنيا ولكنهم كلما انفتح عليهم شيء من زهرة الدنيا فإنهم لا يزدادون به إلا خسارا والعياذ بالله ﴿**ويوم يعرض الذين كفروا على النار أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تفسقون**﴾ يعني ربما يمهل الله سبحانه وتعالى للكافر الجاحد المستكبر وتزدان له الدنيا لكنه لا يزيده ذلك إلا خسارا وإنما في الآخرة والعياذ بالله فالحذر الحذر أن تكون من القسم الثاني يضعهم الله بهذا القرآن كن من القسم الأول الذين يرفعهم الله بالقرآن جعلنا الله وإياكم منهم.

قال القاري في «مرقاة المفاتيح» (١٤٥٧/٤) (إن الله يرفع بهذا الكتاب)، أي بالإيمان به وتعظيم شأنه والعمل به، والمراد بالكتاب القرآن البالغ في الشرف وظهور البرهان مبلغا لم يبلغه غيره من الكتب المنزلة على الرسل المتقدمة (أقواما)، أي درجة جماعات كثيرة في الدنيا والآخرة بأن يحييهم حياة طيبة في الدنيا ويجعلهم من الذين أنعم الله عليهم في العقبى (ويضع به آخرين)،

أي الذين كانوا على خلاف ذلك من مراتب الكاملين إلى أسفل السافلين، قال تعالى: ﴿**يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا**﴾ (البقرة: ٢٦) وقال عز وجل: ﴿**وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارا**﴾ (الإسراء: ٨٢). اهـ.

قال الطيبي في «الكاشف عن حقائق السنن»: فمن قرأه، وعمل بمقتضاه مخلصًا، لقوله تعالي: ﴿**إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه**﴾ ومن قرأه مرائيًا يضعه أسفل السافلين، لقوله تعالي: ﴿**والذين يمكرون السيئات لهم عذاب شديد ومكر أولئك هو يبور**﴾.

قال المباركفوري في«تحفة الأحوذي» (٨/٢١٧): (ومن أبطأ به عمله) من الإبطاء وفي رواية مسلم من بطأ به عمل من التبطئة وهما ضد التعجل والبطوء نقيض السرعة والباء للتعدية والمعنى من أخره عمل عن بلوغ درجة السعادة (لم يسرع به نسبه) من الإسراع أي لم يقدمه نسبه يعني لم يجبر نقيصته لكونه نسيبا في قومه إذ لا يحصل التقرب إلى الله تعالى بالنسب بل بالأعمال الصالحة قال تعالى ﴿**إن أكرمكم عند الله أتقاكم**﴾ وشاهد ذلك أن أكثر علماء السلف والخلف لا أنساب لهم يتفاخر بها بل كثير من علماء السلف موال ومع ذلك هم سادات الأمة وينابيع الرحمة وذوو الأنساب العلية الذين ليسوا كذلك في مواطن جهلهم نسيا منسيا ولذلك قال عليه الصلاة والسلام إن الله يرفع بهذا الدين أقواما ويضع به آخرين كذا قال القارىء في المرقاة وقد صدق القارىء.

قال بن الصلاح في مقدمته روينا عن الزهري قال: قدمت على عبد الملك بن مروان فقال: من أين قدمت يا زهري؟ قلت: من مكة قال: فمن خلفت بها يسود أهلها؟ قلت: عطاء بن أبي رباح قال: فمن العرب أم من الموالي؟ قال قلت: من الموالي قال: وبم سادهم؟ قلت: بالديانة والرواية قال: إن أهل الديانة والرواية لينبغي أن يسودوا قال: فمن يسود أهل اليمن؟ قال قلت: طاوس بن كيسان قال: فمن العرب أم من الموالي؟ قال قلت: من الموالي قال: وبم سادهم؟ قلت: بما سادهم به عطاء قال: إنه لينبغي قال: فمن يسود أهل مصر؟ قال قلت: يزيد بن أبي حبيب قال: فمن العرب أم من الموالي؟ قال قلت: من الموالي قال: فمن يسود أهل الشام؟ قال قلت: مكحول قال فمن العرب أم من الموالي؟ قال قلت: من الموالي عبد نوبي أعتقته امرأة

من هذيل قال: فمن يسود أهل الجزيرة؟ قلت: ميمون بن مهران قال: فمن العرب أم من الموالي؟ قال قلت: من الموالي قال: فمن يسود أهل خراسان؟ قال قلت: الضحاك بن مزاحم قال: فمن العرب أم الموالي؟ قال قلت: من الموالي قال: فمن يسود أهل البصرة؟ قال قلت: الحسن بن أبي الحسن قال: فمن العرب أم من الموالي؟ قال قلت: من الموالي قال: فمن يسود أهل الكوفة؟ قال قلت: إبراهيم النخعي قال: فمن العرب أم الموالي؟ قال قلت: من العرب قال ويلك يا زهري فرجت عني والله ليسودن الموالي على العرب حتى يخطب لها على المنابر والعرب تحتها قال قلت: يا أمير المؤمنين إذا هو أمر الله ودينه من حفظه ساده ومن ضيعه سقط. اهـ.

(فائدة) خمسة من القراء السبعة موالي ليسوا من أصل عربي!

قالَ الإمامُ الشّاطبيُّ رحمهُ اللهُ في منظومتهِ «حِرزُ الأمَاني» في البيتِ رقم (٤١):

أَبُو عَمْرِهِمْ والْيحْصَبِيُّ ابْنُ عَامِرٍ... صَرِيحٌ وَبَاقِيهِمْ أَحَاطَ بِهِ الْوَلَا!

فقولُ الإمامِ الشّاطبيّ -رحمهُ اللهُ-: أَبُو عَمْرِهِمْ والْيحْصَبِيُّ ابْنُ عَامِرٍ ... صَرِيحٌ..

هُما: ١- أبو عمْرٍو. ٢ - ابنُ عامرٍ .

وقولُهُ: وَبَاقِيهِمْ أَحَاطَ بِهِ الْوَلَا، هم:

١- ابنُ كثير.

٢- عاصم.

٣- حمزة.

٤- نافع.

٥ - الكسائيّ.

قلت: هذه من الفوائد التي كان شيخنا د. توفيق ضمرة يتحفنا بها.

وقد وقفت على هذه الفائدة أيضا للشيخة العالمة حسانة بنت العلامة المحدث محمد ناصر الدين الألباني في « مدونة الأمر العتيق». ولووقف القارئ الكريم على كتاب واحد من تراجم القراء والعلماء مثل « معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار» للحافظ الذهبي لرأى كم من القراء الموالي الذين رفعهم الله تعالى بكتابه الكريم وخصهم بفضله الوفير.

(٣٨) من قرأ القران للرياء والسمعة استحق النار

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى فِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثَلَاثَةٌ**: -ثم ذكر أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الحديث الطويل إلى أن قال- **وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ، فَعَرَفَهَا، فَقَالَ: مَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ فِيكَ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ، وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ. فَقَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ لِيُقَالَ: هُوَ عَالِمٌ، فَقَدْ قِيلَ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ: هُوَ قَارِئٌ، فَقَدْ قِيلَ. ثُمَّ أَمَرَ بِهِ، فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ**». أخرجه مسلم وغيره.

وفي الحديث: أن معاوية لما بلغه هذا الحديث، قال: قد فعل بهؤلاء مثل هذا فكيف بمن بقي من الناس؟ ثم بكى معاوية بكاء شديدا حتى ظننا أنه هالك ثم أفاق معاوية ومسح عن وجهه، فقال: صدق الله ورسوله، قال الله عز وجل: ﴿**من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون * أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار**﴾ (هود: ١٥ - ١٦).

قال الحافظ ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١/ ٦٨١): وهذا الحديث فيمن لم يرد بعلمه وعمله وجه الله تعالى وقد قيل في الرياء: إنه الشرك الأصغر ولا يزكو معه عمل عصمنا الله برحمته.

وقال الحليمي رحمه الله «شعب الإيمان» (٤/ ١٩١): إن قراءة القرآن عبادة والمباهاة بها مراءاة والرياء فيها كالرياء في غيرها من العبادات. والله أعلم.

شرح الشاهد من الحديث:

(ورجل تعلم العلم): أي: الشرعي (وعلمه): أي: الناس، أي: وصل إلى مرتبة الكمال والتكميل (وقرأ القرآن): فهو تخصيص بعد تعميم، أو المراد به مجرد تلاوة القرآن، يعني: التعلم والتعليم لم يمنعاه عن الاشتغال بالقرآن، وهذا أظهر (فأتى به): إلى محضر الحساب (فعرفه نعمه): تعالى أو نعم الرجل (فعرفها): فكأنه لغفلته عنها كان أنكرها (قال): تعالى (فما عملت

فيها) أي: هل صرفتها في مرضاتي أم في غيرها (قال: تعلمت العلم وعلمته، وقرأت فيك القرآن) أي: صرفت نعمتي التي أنعمت بها علي في الاشتغال بالعلم والعمل والقراءة ابتغاء لوجهك وشكرا لنعمتك (قال: كذبت): في دعوى مقام الإخلاص أو على مقتضى عادتك (ولكنك تعلمت العلم ليقال: إنك عالم): ولعله لم يقل: وعلمت العلم ليقال إنك معلم؛ للاختصار واكتفاء بالمقايسة، أو لأن أساس الشيء إذا لم يكن على الإخلاص، فيبعد بناؤه أن يكون على وجه الاختصاص (وقرأت القرآن ليقال: هو قارئ، فقد قيل): لك عالم وقارئ فما لك عندنا أجر (ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار). نعوذ بالله منها.

الأمر بالإخلاص لله تعالى:

قال الله تعالى: ﴿**وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين**﴾ (البينة: ٥). وقال: ﴿**إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصا له الدين * ألا لله الدين الخالص**﴾ (الزمر: ٢-٣). وقال لنبيه ﷺ: ﴿**قل الله أعبد مخلصا له ديني * فاعبدوا ما شئتم من دونه**﴾ (الزمر: ١٤-١٥). وقال له: ﴿**قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين - لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين**﴾ (الأنعام: ١٦٢-١٦٣). وقال: ﴿**الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا**﴾ (الملك: ٢).

قال الفضيل بن عياض: هو أخلصه وأصوبه. قالوا: يا أبا علي، ما أخلصه وأصوبه؟ فقال: إن العمل إذا كان خالصا، ولم يكن صوابا لم يقبل. وإذا كان صوابا ولم يكن خالصا: لم يقبل. حتى يكون خالصا صوابا، والخالص: أن يكون لله، والصواب أن يكون على السنة. ثم قرأ قوله تعالى: ﴿**فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا**﴾ (الكهف: ١١٠). وقال تعالى: ﴿**ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن**﴾ (النساء: ١٢٥). فإسلام الوجه: إخلاص القصد والعمل لله. والإحسان فيه: متابعة رسوله ﷺ وسنته.

وقال تعالى: ﴿**وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا**﴾ (الفرقان: ٢٣). وهي الأعمال التي كانت على غير السنة. أو أريد بها غير وجه الله.

قال الإمام ابن الجوزي في «تلبيس إبليس» (ص ١٢٨): وَقَدْ لبس إبليس عَلَى قوم من القراء فهم يقرأون القرآن فِي منارة المسجد بالليل بالأصوات المجتمعة المرتفعة الجزء والجزأين فيجتمعون بين أذى الناس فِي منعهم من النوم وبين التعرض للرياء ومنهم من يقرأ فِي مسجده وقت الأذان لأنه حين اجتماع الناس فِي المسجد.

قال المصنف ومن أعجب مَا رأيت فيهم أن رجلا كان يصلي بالناس صلاة الصبح يوم الجمعة ثم يلتفت فيقرأ المعوذتين ويدعو دعاء الختمة ليعلم الناس أني قد ختمت الختمة وما هذه طريقة السلف فَإِن السلف كانوا يسترون عبادتهم وكان عمل الربيع بْن خثيم كله سرا فربما دخل عَلَيْهِ الداخل وَقَدْ نشر المصحف فيغطيه بثوبه وكان أَحْمَد بْن حنبل يقرأ القرآن كثيرا ولا يدري متى يختم.

تنوع العبارات في تعريف الإخلاص والقصد واحد

قيل: هو إفراد الحق سبحانه بالقصد في الطاعة. وقيل: الإخلاص استواء أعمال العبد في الظاهر والباطن. والرياء: أن يكون ظاهره خيرا من باطنه. والصدق في الإخلاص: أن يكون باطنه أعمر من ظاهره.

ومن كلام الفضيل: ترك العمل من أجل الناس: رياء. والعمل من أجل الناس: شرك. والإخلاص: أن يعافيك الله منهما. «مدارج السالكين» (٨٨/٢) مختصرا.

وقد ورد الوعيد على تعلم العلم لغير وجه الله فقال صلى الله عليه وسلم: «من تعلم علما مما يبتغى به وجه الله، لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضا من الدنيا، لم يجد عرف الجنة يوم القيامة» (حم) يعني: ريحها. وفي «صحيح ابن ماجه» وقال ﷺ: «من طلب العلم ليماري به السفهاء، أو يجاري به العلماء، أو يصرف به وجوه الناس إليه، أدخله الله النار» وقال:«لا تعلموا العلم، لتباهوا به العلماء، ولا لتماروا به السفهاء، ولا تخيروا به المجالس، فمن فعل ذلك، فالنار النار». وقال ابن مسعود: لا تعلموا العلم لثلاث: لتماروا به السفهاء، أو لتجادلوا به الفقهاء، أو لتصرفوا به وجوه الناس إليكم، وابتغوا بقولكم وفعلكم ما عند الله، فإنه يبقى ويذهب ما سواه.

وقد ورد الوعيد على العمل لغير الله عموما، «بشر هذه الأمة بالسناء والرفعة والدين والتمكين في الأرض، فمن عمل منهم عمل الآخرة للدنيا، لم يكن له في الآخرة نصيب» (حم).
وفي « صحيح مسلم» عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «يقول الله تبارك وتعالى أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملا أشرك فيه معي غيري، تركته وشريكه» وخرجه ابن ماجه، ولفظه: «فأنا منه بريء، وهو للذي أشرك». وفيه:«مَنْ يُسَمِّعْ يُسَمِّعِ اللَّهُ بِهِ، وَمَنْ يُرَائِي يُرَائِي اللَّهُ بِهِ» وقال: «إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر الرياء يقول الله يوم القيامة إذا جزي الناس بأعمالهم: اذهبوا إلى الذين كنتم تراءون في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاء»(حم) «الصحيحة» (٩٥١)

قال ابن القيم في «مدارج السالكين» (١/٤٣٨): فلا إله إلا الله، كم في النفوس من علل وأغراض وحظوظ تمنع الأعمال أن تكون لله خالصة، وأن تصل إليه؟ ... وعلل خفية لو استقصى في طلبها لرأى العجب، ومن رحمة الله تعالى سترها على أكثر العمال، إذ لو رأوها وعاينوها لوقعوا فيما هو أشد منها، من اليأس والقنوط والاستحسار، وترك العمل، وخمود العزم، وفتور الهمة، ولهذا لما ظهرت رعاية أبي عبد الله الحارث بن أسد المحاسبي واشتغل بها العباد عطلت منهم مساجد كانوا يعمرونها بالعبادة.

والطبيب الحاذق يعلم كيف يطبب النفوس، فلا يعمر قصرا ويهدم مصرا. اهـ مختصرا.

العلاج النبوي في اتقاء الرياء وعلاجه:

عن أبي علي رجل من بني كاهل قال: خطبنا أبو موسى الأشعري فقال: يا أيها الناس اتقوا هذا الشرك فإنه أخفى من دبيب النمل فقام إليه عبد الله بن حزن وقيس بن المضارب فقال: والله لتخرجن مما قلت أو لنأتين عمر مأذونا لنا أو غير مأذون فقال: بل أخرج مما قلت خطبنا رسول الله ﷺ ذات يوم فقال: «يا أيها الناس اتقوا هذا الشرك فإنه أخفى من دبيب النمل فقال له من شاء الله أن يقول وكيف نتقيه وهو أخفى من دبيب النمل يا رسول الله قال قولوا اللّٰهم إنا نعوذ بك من أن نشرك بك شيئا نعلمه ونستغفرك لما لا نعلمه» رواه أحمد وغيره «صحيح الترغيب والترهيب».

(٣٩) القراء والنفاق

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**أَكْثَرُ مُنَافِقِي أُمَّتِي قُرَّاؤُهَا**». (حم طب هب) عن ابن عمرو (حم طب) عن عقبة بن عامر (طب عد) عن عصمة ابن مالك. انظر «الصحيحة» (٧٥٠).

تعريف النفاق أنواعه والتحذير منه:

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿**في قلوبهم مرض**﴾ (البقرة: ١٠) أي: شك ونفاق. وقال الله عز وجل في منافقي الكفار: ﴿**وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس**﴾ (النساء: ١٤٢)، وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿**ولا يأتون الصلاة إلا وهم كسالى ولا ينفقون إلا وهم كارهون**﴾ (التوبة: ٥٤)، وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿**مذبذبين بين ذلك**﴾ (النساء: ١٤٣) أي: مترددين، لا إلى المسلمين، ولا إلى الكافرين، والمذبذب: المضطرب الذي لا يبقى على حالة مستقيمة.

وسمي المنافق منافقا، لأنه يستر كفره، ويغيبه، فشبه بالذي يدخل النفق، وهو السرب، فيستتر به، وقيل: سمي به من نافقاء اليربوع، فإن اليربوع له حجر، يقال له: النافقاء، وآخر يقال له: القاصعاء، فإذا طلب من القاصعاء قصع، فخرج من النافقاء، كذا المنافق يخرج من الإيمان من غير الوجه الذي يدخل فيه. قال سفيان الثوري: ما شبهت القارئ إلا بالدرهم الزيف إذا كسرته خرج ما فيه.

قال أبو سليمان الخطابي على قوله: «آية المنافق ثلاث»: هذا القول إنما خرج على سبيل الإنذار للمرء المسلم، والتحذير له أن يعتاد هذه الخصال، فتفضي به إلى النفاق، لا أن من بدرت منه هذه الخصال، أو فعل شيئا من ذلك من غير اعتياد أنه منافق. وروي عن الحسن أنه ذكر له هذا الحديث، فقال: إن بني يعقوب حدثوا فكذبوا، ووعدوا فأخلفوا، واؤتمنوا فخانوا.

والنفاق ضربان: أحدهما: أن يظهر صاحبه الإيمان وهو مسر للكفر كالمنافقين على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، والثاني: ترك المحافظة على حدود أمور الدين سرا، ومراعاتها

علنا، فهذا يسمى منافقا، ولكنه نفاق دون نفاق، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: «سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر»، وإنما هو كفر دون كفر.

وأما بنو يعقوب، فكان ذلك الفعل منهم نادرا، ولم يصروا عليه، بل تابوا وتحللوا ممن جنوا عليه، وسألوا أباهم أن يستغفر لهم، فلم تتمكن منهم صفة النفاق.

وقوله: «أكثر منافقي أمتي قراؤها». فهو أن يعتاد ترك الإخلاص في العمل، كما جاء: «التاجر فاجر»، وأراد: إذا اعتاد التاجر الكذب في البيع والشراء، لا أن نفس التجارة فجور، بل هي أمر مأذون فيه، مباح في الشرع. اهـ. «شرح السنة» (١/ ٧٥-٧٧).

علاج النفاق:

بداية النفاق الكذب والخيانة وإخلاف الوعد والغفلة عن الله تعالى وعدم الخوف منه. وأما الوقاية من النفاق والابتعاد عنه فتكون بمراقبة الله تعالى في السر والعلانية، والإخلاص له في جميع الأعمال والخوف من النفاق ... وبالأدعية المأثورة في ذلك، وباستحضار ما أعد الله لعباده المخلصين من النعيم وما أعد للمنافقين من العذاب. وبإمكانك أن تطلع على المزيد من الفتاوى ذات الأرقام التالية: ١٨٥٤، ٧١٠٨٣، ٣٣٨١٨. اهـ«مركز الفتوى» من فتوى رقم (٤٩٢٥٨)

الفرق بين القارئ والمقرئ

(القارئ): هو مَن حَفِظَ القرآن عن ظهر قلب. وهو إما مبتدئٌ أو مُنْتَهٍ.

فـ(المبتدئ): مَنْ شَرَعَ في الإفراد إلى أن يُفرِدَ ثلاثًا مِن القراءات.

و(المنتهي): من نَقَلَ مِن القراءات أكثَرَها وأشهرَها.

و(المُقْرِئ): هو العالم بالقراءات، الراوي لها مشافهةً.

ومما سبق يتبين لنا أن بينَ (المقرئِ والقارئِ) عمومًا وخصوصًا؛ فكل مقرئٍ قارئٌ ولا عكْس. اهـ. انظر «منجد المقرئين» لابن الجزري (ص٤٩ ط عالم الفوائد)، و«الإضاءة» للضبّاع (ص٥ ط المكتبة الأزهرية للتراث).

شرح الحديث:

قال مالك رحمه الله «الاستذكار» (٢/٣٦٣): قد يقرأ القرآن من لا خير فيه والعيان في هذا الزمان على صحة معنى هذا الحديث كالبرهان.

(أكثر منافقي أمتي قراؤها) أي الذين يتأولونه على غير وجهه ويضعونه في غير مواضعه أو يحفظون القرآن تقية للتهمة عن أنفسهم وهم معتقدون خلافه فكان المنافقون في عصر النبي ﷺ بهذه الصفة. ذكره ابن الأثير. وقال الزمخشري: أراد بالنفاق الرياء لأن كلا منهما إرادة ما في الظاهر خلاف ما في الباطن. اهـ.

وبسطه بعضهم فقال: أراد نفاق العمل لا الاعتقاد ولأن المنافق أظهر الإيمان بالله لله وأضمر عصمة دمه وماله. والمرائي أظهر بعلمه الآخرة وأضمر ثناء الناس وعرض الدنيا والقارئ أظهر أنه يريد الله وحده وأضمر حظ نفسه وهو الثواب ويرى نفسه أهلا له وينظر إلى عمله بعين الإجلال فأشبه المنافق واستويا في مخالفة الباطن.

(تنبيه) قال الغزالي: أحذر من خصال القراء الأربعة: الأمل والعجلة والكبر والحسد قال وهي علل تعتري سائر الناس عموما والقراء خصوصا ترى القارئ يطول الأمل فيوقعه في الكسل وتراه يستعجل على الخير فيقطع عنه وتراه يحسد نظراءه على ما أتاهم الله من فضله فربما يبلغ به مبلغا يحمله على فضائح وقبائح لا يقدم عليها فاسق ولا فاجر ولهذا قال النووي: ما أخاف على دمي إلا القراء والعلماء فاستنكروا منه ذلك فقال ما أنا قلته وإنما قاله إبراهيم النخعي.

وقال عطاء: احذروا القراء واحذروني معهم فلو خالفت أودهم لي في رمانة أقول أنها حلوة ويقول إنها حامضة ما أمنته أن يسعى بدمي إلى سلطان جائر.

وقال الفضيل لابنه: اشتروا دارا بعيدة عن القراء، ما لي والقوم إن ظهرت مني زلة قتلوني وإن ظهرت علي حسنة حسدوني ولذلك ترى الواحد منهم يتكبر على الناس ويستخف بهم معبسا وجهه كأنما يمن على الناس بما يصلي زيادة ركعتين أو كأنما جاءه من الله منشور بالجنة والبراءة من النار أو كأنه استيقن السعادة لنفسه والشقاوة لسائر الناس ثم مع ذلك يلبس لباس

المتواضعين ويتهاوت وهذا لا يليق بالتكبر والترفع ولا يلائمه بل ينافيه لكن الأعمى لا يبصر. اهـ. «فيض القدير» (٢/ ٨٠).

وفي «الإبانة الكبرى» (٢/٧٠٣) قال ابن بطة: فإن سأل سائل عن معنى هذا الحديث، وقال: لم خص القراء بالنفاق دون غيرهم؟ فالجواب عن ذلك: إن الرياء لا يكاد يوجد إلا في من نسب إلى التقوى، ولأن العامة والسوقة قد جهلوه، والمتحلين بحلية القراء قد حذقوه، والرياء هو النفاق، لأن المنافق هو الذي يسر خلاف ما يظهر، ويسر ضد ما يبطن، ويصف المحاسن بلسانه، ويخالفها بفعله، ويقول ما يعرف، ويأتي ما ينكر، ويترصد الغفلات لانتهاز الهفوات.

وقال عبد الله بن المبارك رحمه الله: هم الزنادقة، لأن النفاق على عهد رسول الله ﷺ هي الزندقة مِنْ بعده.

وقد صح موقوفاً أَنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ مَسْعُودٍ، قَالَ لِإِنْسَانٍ: إِنَّكَ فِي زَمَانٍ كَثِيرٍ فُقَهَاؤُهُ، قَلِيلٍ قُرَّاؤُهُ، تُحْفَظُ فِيهِ حُدُودُ الْقُرْآنِ، وَتُضَيَّعُ حُرُوفُهُ. قَلِيلٌ مَنْ يَسْأَلُ. كَثِيرٌ مَنْ يُعْطِي. يُطِيلُونَ فِيهِ الصَّلَاةَ، وَيَقْصُرُونَ الْخُطْبَةَ. يُبَدُّونَ أَعْمَالَهُمْ قَبْلَ أَهْوَائِهِمْ. وَسَيَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ قَلِيلٌ فُقَهَاؤُهُ، كَثِيرٌ قُرَّاؤُهُ، تُحْفَظُ فِيهِ حُرُوفُ الْقُرْآنِ وَتُضَيَّعُ حُدُودُهُ، كَثِيرٌ مَنْ يَسْأَلُ، قَلِيلٌ مَنْ يُعْطِي. يُطِيلُونَ فِيهِ الْخُطْبَةَ، وَيَقْصُرُونَ الصَّلَاةَ. يُبَدُّونَ فِيهِ أَهْوَاءَهُمْ قَبْلَ أَعْمَالِهِمْ. «السلسلة الصحيحة».

وَعَنْ يَزِيدَ بْنِ عُمَيْرَةَ -وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ يَوْمًا: إِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ -أَيْ: بَعْدَكُمْ- فِتَنًا يَكْثُرُ فِيهَا الْمَالُ، وَيُفْتَحُ فِيهَا الْقُرْآنُ حَتَّى يَأْخُذَهُ الْمُؤْمِنُ وَالْمُنَافِقُ، وَالرَّجُلُ وَالْمَرْأَةُ، وَالصَّغِيرُ وَالْكَبِيرُ، وَالْعَبْدُ وَالْحُرُّ، فَيُوشِكُ قَائِلٌ أَنْ يَقُولَ: مَا لِلنَّاسِ لَا يَتَّبِعُونِي وَقَدْ قَرَأْتُ الْقُرْآنَ؟ مَا هُمْ بِمُتَّبِعِيَّ حَتَّى أَبْتَدِعَ لَهُمْ (أَيْ:أَخْتَرِع لَهُمْ) غَيْرَهُ (أَيْ: غَيْر الْقُرْآن، وَيَقُول ذَلِكَ لَمَّا رَآهُمْ يَتْرُكُونَ الْقُرْآن وَالسُّنَّة وَيَتَّبِعُونَ الشَّيْطَان وَالْبِدْعَة. عون المعبود) فَإِيَّاكُمْ وَمَا ابْتُدِعَ -أَيْ: اِحْذَرُوا مِنْ بِدْعَته. عون المعبود- فَإِنَّ مَا ابْتُدِعَ ضَلَالَةٌ، وَأُحَذِّرُكُمْ زَيْغَةَ الْحَكِيمِ -اِنْحِرَاف الْعَالِمِ عَنْ الْحَقّ، وَالْمَعْنَى أُحَذِّركُمْ مِمَّا صَدَرَ مِنْ لِسَان الْعُلَمَاء مِنْ الزَّيْغَة وَالزَّلَّة وَخِلَاف الْحَقّ فَلَا تَتَّبِعُوهُ. - فَإِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ يَقُولُ كَلِمَةَ الضَّلَالَةِ عَلَى لِسَانِ الْحَكِيمِ وَقَدْ يَقُولُ الْمُنَافِقُ كَلِمَةَ الْحَقِّ، فَقُلْتُ لِمُعَاذٍ: مَا يُدْرِينِي رَحِمَكَ اللَّهُ أَنَّ الْحَكِيمَ قَدْ يَقُولُ

كَلِمَةَ الضَّلَالَةِ وَأَنَّ الْمُنَافِقَ قَدْ يَقُولُ كَلِمَةَ الْحَقِّ؟ قَالَ: بَلَى، اجْتَنِبْ مِنْ كَلَامِ الْحَكِيمِ مَا تَشَابَهَ عَلَيْكَ، حَتَّى تَقُولَ: مَا أَرَادَ بِهَذِهِ الْكَلِمَةِ؟ وَلَا يُثْنِيَنَّكَ -أَيْ: لَا يَصْرِفَنَّك- ذَلِكَ عَنْهُ -أَيْ: عَنْ الْحَكِيم- فَإِنَّهُ لَعَلَّهُ أَنْ يُرَاجِعَ -أَيْ: يَرْجِع عَنْ الْمُشْتَهِرَات- وَتَلَقَّ الْحَقَّ-أَيْ: خُذْهُ- إِذَا سَمِعْتَهُ، فَإِنَّ عَلَى الْحَقِّ نُورًا -أَيْ: لَا تَخْفَى عَلَيْك كَلِمَة الْحَقّ وَإِنْ سَمِعْتَهَا مِنْ الْمُنَافِق لِمَا عَلَيْهَا مِنْ النُّور وَالضِّيَاء، وَكَذَلِكَ كَلِمَات الْحَكِيم الْبَاطِلَة لَا تَخْفَى عَلَيْك، لِأَنَّ النَّاس إِذَا يَسْمَعُونَهَا يُنْكِرُونَهَا لِمَا عَلَيْهَا مِنْ ظَلَام الْبِدْعَة وَالْبُطْلَان، وَيَقُولُونَ إِنْكَارًا: مَا هَذِهِ؟ وَتُشْتَهَر تِلْكَ الْكَلِمَات بَيْن النَّاس بِالْبُطْلَانِ، فَعَلَيْك أَنْ تَجْتَنِب مِنْ كَلِمَات الْحَكِيم الْمُنْكَرَةَ الْبَاطِلَةَ، وَلَكِنْ لَا تَتْرُك صُحْبَة الْحَكِيم فَإِنَّهُ لَعَلَّهُ يَرْجِع عَنْهَا. «عون المعبود» (ج ١٠/ص ١٣١). أخرجه أبو داود (٤٦١١) وقال الألباني:صحيح الإسناد موقوف.

تحذير وتوصيف النبي ﷺ أمته من رجل قرا القران لكي يخدعه:ا

عن حذيفة، قال: قال ﷺ: «إن أخوف ما أخاف عليكم رجل قرأ القرآن، حتّى إذا رُئيتْ بهجتُه عليه، وكان رِدْءاً للإسلام؛ انسلخ منه ونبذه وراء ظهره، وسعى على جاره بالسيف، ورماه بالشرك». قلت: يا نبيَّ الله! أيُّهما أولى بالشرك، الرامي أو المرمي؟ قال: «بل الرامي». أخرجه البخاري في «التاريخ» انظر«الصحيحة» (٣٢٠١).

** **

(٤٠) ذكر ما يقرأ به القرآن في هذه الأمة

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**يَكُونُ خَلْفٌ مِنْ بَعْدِ سِتِّينَ سَنَةً ﴿أَضَاعُوا الصَّلَاةَ، وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ، فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾** (مريم: ٥٩)، **ثُمَّ يَكُونُ خَلْفٌ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ، لَا يَعْدُو تَرَاقِيَهُمْ، وَيَقْرَأُ الْقُرْآنَ ثَلَاثَةٌ: مُؤْمِنٌ، وَمُنَافِقٌ، وَفَاجِرٌ**» قَالَ بَشِيرٌ: فَقُلْتُ لِلْوَلِيدِ: مَا هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةُ، فَقَالَ: «الْمُنَافِقُ كَافِرٌ بِهِ، وَالْفَاجِرُ يَتَأَكَّلُ بِهِ، وَالْمُؤْمِنُ يُؤْمِنُ بِهِ» «الصحيحة» (٣٠٣٤).

قال الألباني: أخرجه ابن حبان (٢/٦٧/٧٥٢-الإحسان) والحاكم (٢/٣٧٤ و٤ /٥٤٧) ؛ وعنه البيهقي في كتابيه «الشعب» (٢/٥٣٣)، و«الدلائل» (٦/٤٦٥)، وأحمد (٣/٣٨- ٣٩) من طريق بشير بن أبي عمرو الخولاني أن الوليد بن قيس حدثه أنه سمع أبا سعيد الخدري يقول:... فذكره.

ذم المباهي والمتعيش بالقرآن:

وعنه أنه سمع النبي ﷺ يقول: «تعلموا القرآن، وسلوا الله به الجنة، قبل أن يتعلمه قوم، يسألون به الدنيا، فإن القرآن يتعلمه ثلاثة: رجل يباهي به، ورجل يستأكل به، ورجل يقرأه لله «الصحيحة» (٢٥٨) قال ابن باديس: فسر الراوي عن أبي سعيد الفاجر بمن يتأكل بالقرآن. فقوله في رواية أبي عبيد: (ورجل يستأكل به) بمعنى الفاجر في رواية الإمام أحمد. ويكون حينئذ قوله في رواية أبي عبيد (رجل يباهى به) بمعنى قوله في الرواية الأخرى: (ومنافق).

وقد دل الحديث على ذم المباهى بتلاوته، وكثيرا ما يقصد قراء زماننا المباهاة بأصواتهم والفخر بحفظهم، ولا سيما إذا كانوا يمكلون مجتمعين بصوت واحد، فليحذر من يجد هذا من نفسه وليعلم أن كتاب الله هداية تخشع لها القلوب، وتستسلم الجوارح. ودل أيضا على ذم المسترزق بالقرآن، وكثير من قراء زماننا لا يقصدون من حفظه إلا التوسل به للتلاوة على الموتى بأجرة ونحو ذلك من الأغراض الدنيوية المحضة.

ولا يتناول هذا الذم من يأخذ الأجرة على تعليم القرآن إذا كانت في مقابلة تعبه، وشغل وقته، ولم يتخذ تعليمه صناعة من الصناعات المادية المحضة، بل على هذا المعلم- إن أراد

السلامة من ذلك الذم- أن يكون هو نفسه عاملا بكتاب الله، وأن يقصد من تعليمه الدعوة إلى العمل به. «مجالس التذكير من حديث البشير النذير» (ص ٢٦٠).

الترهيب من المباهاة والرياء بالقران:

عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَظْهَرُ الْإِسْلَامُ حَتَّى تَخُوضَ الْخَيْلُ الْبِحَارَ، وَحَتَّى يَخْتَلِفُ التُّجَّارُ فِي الْبَحْرِ، ثُمَّ يَظْهَرُ قَوْمٌ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ يَقُولُونَ: مَنْ أَقْرَأُ مِنَّا؟ مَنْ أَفْقَهُ مِنَّا؟» ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَهَلْ فِي أُولَئِكَ مِنْ خَيْرٍ؟» قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ: «أُولَئِكَ وَقُودُ النَّارِ أُولَئِكَ مِنْكُمْ، مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ» أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (١٥٢/ ٤٥٠) انظر «السلسلة الصحيحة» (رقم ٣٢٣٠).

قال محمد بن الحسين: فقد ذكرت أخلاق الصنف الذين قرءوا القرآن يريدون به وجه الله عز وجل ... وأنا أذكر الصنفين الذين يريدون بقراءتهم الدنيا والجدل، وأصف أخلاقهم؛ حتى يعرفها من اتقى الله فيحذرهما أخلاق من قرأ القرآن -المنافق والفاجر والمباهي والمتأكل به- لا يريد به الله عز وجل.

قال محمد بن الحسين: فأما من قرأ القرآن للدنيا ولأبناء الدنيا، فإن من أخلاقه أن يكون حافظا لحروف القرآن، مضيعا لحدوده، متعظما في نفسه، متكبرا على غيره، قد اتخذ القرآن بضاعة، يتآكل به الأغنياء، ويستقضي به الحوائج يعظم أبناء الدنيا ويحقر الفقراء، إن علم الغني رفق به طمعا في دنياه، وإن علم الفقير زجره وعنفه؛ لأنه لا دنيا له يطمع فيها، يستخدم به الفقراء، ويتيه به على الأغنياء، إن كان حسن الصوت، أحب أن يقرأ للملوك، ويصلي بهم؛ طمعا في دنياهم، وإن سأله الفقراء الصلاة بهم، ثقل ذلك عليه؛ لقلة الدنيا في أيديهم، إنما طلبه الدنيا حيث كانت، ربض عندها، يفخر على الناس بالقرآن، ويحتج على من دونه في الحفظ بفضل ما معه من القراءات، وزيادة المعرفة بالغريب من القراءات، التي لو عقل لعلم أنه يجب عليه أن لا يقرأ بها فتراه تائها متكبرا، كثير الكلام بغير تمييز، يعيب كل من لم يحفظ كحفظه، ومن علم أنه يحفظ كحفظه طلب عيبه متكبرا في جلسته، متعاظما في تعليمه لغيره، ليس للخشوع في قلبه موضع، كثير الضحك والخوض فيما لا يعنيه، يشتغل عمن يأخذ عليه بحديث من جالسه، هو

إلى استماع حديث جليسه أصغى منه إلى استماع من يجب عليه أن يستمع له، يوري أنه لم يستمع حافظا، فهو إلى كلام الناس أشهى منه إلى كلام الرب عز وجل، لا يخشع عند استماع القرآن ولا يبكي، ولا يحزن، ولا يأخذ نفسه بالفكر فيما يتلى عليه، وقد ندب إلى ذلك، راغب في الدنيا وما قرب منها، لها يغضب ويرضى، إن قصر رجل في حقه، قال: أهل القرآن لا يقصر في حقوقهم، وأهل القرآن تقضى حوائجهم، يستقضي من الناس حق نفسه، ولا يستقضي من نفسه ما لله عليها، يغضب على غيره، زعم لله، ولا يغضب على نفسه لله لا يبالي من أين اكتسب، من حرام أو من حلال، قد عظمت الدنيا في قلبه، إن فاته منها شيء لا يحل له أخذه، حزن على فوته لا يتأدب بأدب القرآن، ولا يزجر نفسه عن الوعد والوعيد، لاه غافل عما يتلو أو يتلى عليه، همته حفظ الحروف، إن أخطأ في حرف ساءه ذلك؛ لئلا ينقص جاهه عند المخلوقين، فتنقص رتبته عندهم، فتراه محزونا مغموما بذلك، وما قد ضيعه فيما بينه وبين الله مما أمر به القرآن أو نهى عنه، غير مكترث به، أخلاقه في كثير من أموره أخلاق الجهال، الذين لا يعلمون، لا يأخذ نفسه بالعمل بما أوجب عليه القرآن إذ سمع الله عز وجل قال: ﴿**وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا**﴾ (الحشر: ٧).

فكان من الواجب عليه أن يلزم نفسه طلب العلم لمعرفة ما نهى عنه الرسول ﷺ فينتهي عنه، قليل النظر في العلم الذي هو واجب عليه فيما بينه وبين الله عز وجل، كثير النظر في العلم الذي يتزين به عند أهل الدنيا ليكرموه بذلك، قليل المعرفة بالحلال والحرام الذي ندبه الله إليه، ثم رسوله ليأخذ الحلال بعلم، ويترك الحرام بعلم، لا يرغب بمعرفة علم النعم، ولا في علم شكر المنعم، تلاوته للقرآن تدل على كبره في نفسه، وتزين عند السامعين منه، ليس له خشوع، فيظهر على جوارحه، إذا درس القرآن، أو درسه عليه غيره همته متى يقطع، ليس همته متى يفهم، لا يتفكر عند التلاوة بضروب أمثال القرآن، ولا يقف عند الوعد والوعيد، يأخذ نفسه برضا المخلوقين، ولا يبالي بسخط رب العالمين، يحب أن يعرف بكثرة الدرس، ويظهر ختمه للقرآن ليحظى عندهم، قد فتنه حسن ثناء من جهله يفرح بمدح الباطل، وأعماله أعمال أهل الجهل، يتبع هواه فيما تحب نفسه، غير متصفح لما ذكره القرآن عنه، إن كان ممن يقرئ،

غضب على من قرأ على غيره إن ذكر عنده رجل من أهل القرآن بالصلاح كره ذلك، وإن ذكر عنده بمكروه سره ذلك، يسخر بمن دونه، ويهمز بمن فوقه يتتبع عيوب أهل القرآن؛ ليضع منهم، ويرفع من نفسه، يتمنى أن يخطئ غيره ويكون هو المصيب الفقير المستور، فسأله أن يختم عليه ثقل ذلك عليه يحفظ القرآن ويتلوه بلسانه، وقد ضيع الكثير من أحكامه، أخلاقه أخلاق الجهال، إن أكل فبغير علم، وإن شرب فبغير علم، وإن لبس فبغير علم، وإن جامع أهله فبغير علم، وإن نام فبغير علم، وإن صحب أقواما أو زارهم، أو سلم عليهم، أو استأذن عليهم، فجميع ذلك يجري بغير علم من كتاب أو سنة، وغيره ممن يحفظ جزءا من القرآن مطالب لنفسه بما أوجب الله عليه من علم أداء فرائضه واجتناب محارمه، وإن كان لا يؤبه له ولا يشار إليه بالأصابع.

قال محمد بن الحسين: فمن كانت هذه أخلاقه صار فتنة لكل مفتون؛ لأنه إذا عمل بالأخلاق التي لا تحسن بمثله، اقتدى به الجهال، فإذا عيب الجاهل، قال: فلان الحامل لكتاب الله فعل هذا، فنحن أولى أن نفعله ومن كانت هذه حاله، فقد تعرض لعظيم، وثبتت عليه الحجة، ولا عذر له إلا أن يتوب، وإنما حداني على ما بينت من قبيح هذه الأخلاق؛ نصيحة مني لأهل القرآن ليتخلقوا بالأخلاق الشريفة، ويتجانبوا الأخلاق الدنيئة، والله يوفقنا وإياهم للرشاد واعلموا رحمكم الله أني قد رويت فيما ذكرت أخبارا تدل على ما كرهته لأهل القرآن، فأنا أذكر منها ما حضرني؛ ليكون الناظر في كتابنا ينصح نفسه عند تلاوته للقرآن، ويلزم نفسه الواجب، والله الموفق.

** **

(٤١) مثل من يقرأ القرآن ومن لا يقرؤه

عَنْ أَنَسٍ، عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ، مَثَلُ الْأُتْرُجَّةِ، رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا طَيِّبٌ، وَمَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ مَثَلُ التَّمْرَةِ، لَا رِيحَ لَهَا وَطَعْمُهَا حُلْوٌ، وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ، مَثَلُ الرَّيْحَانَةِ، رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ، وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ، كَمَثَلِ الْحَنْظَلَةِ، لَيْسَ لَهَا رِيحٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ**». متفق عليه.

(مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن)، أي على ما ينبغي وعبر بالمضارع لإفادة تكريره لها ومداومته عليها حتى صارت دأبه وعادته كفلان يقري الضيف ويحمي الحريم ويعطي اليتيم (مثل الأترجة) في القاموس: الأترج والأترجة والترنج والترنجة معروف وهي أحسن الثمار الشجرية وأنفسها عند العرب لحسن منظرها صفراء فاقع لونها تسر الناظرين (ريحها طيب وطعمها طيب) قال ابن الملك: يفيد طيب النكهة ودباغ المعدة وقوة الهضم، ومنافعها كثيرة مكتوبة في كتب الطب، فكذلك المؤمن القارئ طيب الطعم لثبوت الإيمان في قلبه وطيب الريح لأن الناس يستريحون بقراءته ويحوزون الثواب بالاستماع عليه ويتعلمون القرآن منه (ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن مثل التمرة لا ريح لها وطعمها حلو، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة ليس لها ريح وطعمها مر، ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن مثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر) قال الطيبي: التمثيل في الحقيقة وصف لموصوف اشتمل على معنى معقول صرف لا يبرزه عن مكنونه إلا تصويره بالمحسوس المشاهد، ثم إن كلام الله -تعالى- له تأثير في باطن العبد وظاهره، وإن العباد متفاوتون في ذلك فمنهم من له النصيب الأوفر من ذلك التأثير وهو المؤمن القارئ، ومنهم من لا نصيب له البتة وهو المنافق الحقيقي، ومنهم من تأثر ظاهره دون باطنه وهو المرائي، أو بالعكس وهو المؤمن الذي لا يقرؤه، وإبراز هذه المعاني وتصويرها إلى المحسوسات ما هو مذكور في الحديث، ولم يوجد ما يوافقها ويلائمها أقرب ولا أحسن ولا أجمع من ذلك لأن المشبهات والمشبه بها واردة على تقسيم الحاصل لأن الناس إما مؤمن أو غير مؤمن، والثاني إما منافق صرف أو ملحق به والأول إما مواظب على القراءة أو غير

مواظب عليها، وعلى هذا فقس الأثمار المشبه بها، ووجه الشبه في المذكورات منتزع من أمرين محسوسين طعم وريح، وليس بمفرق كما في قول امرئ القيس:

كأن قلوب الطير رطبا ويابسا ... لدى وكرها العناب والحشف البالي

«مرقاة» (٤/١٤٥٦).

قال ابن القيم «مفتاح دار السعادة» (١/٥٥): فجعل الناس أربعة أقسام أهل الإيمان والقرآن وهم خيار الناس الثاني أهل الإيمان الذين لا يقرءون القرآن وهم دونهم فهؤلاء هم السعداء والأشقياء قسمان احدهما من أوتى قرآنا بلا إيمان فهو منافق والثاني من لا أوتى قرآنا ولا إيمانا.

من فوائد الحديث:

١- فِي الْحَدِيث فَضِيلَة حَامِلِ الْقُرْآن، وَأَنَّ الْمَقْصُود مِنْ تِلَاوَة الْقُرْآن الْعَمَل بِمَا دَلَّ عَلَيْهِ.

٢- وضَرْب الْمَثَل لِلتَّقْرِيبِ لِلْفَهْمِ.

٣- أن لتلاوة القرآن أثر على المؤمن؛ في زيادة إيمانه، وطمأنينة قلب، وفي طيب نفسه، ورفعة قدره، وعلو منزلته.

٤- على المسلم أن يحرص على تلاوة كتاب الله، وتدبره، والعمل بما فيه، وأن يكون له ورد يومي من القران، لا يفرط فيه لتزكو به نفسه، وتكثر به حسناته. «فتح الباري شرح صحيح البخاري» لابن حجر العسقلاني (٩/٦٦-٦٧) وانظر: «عمدة القاري شرح صحيح البخاري» للعيني (٢٠/ ٣٨)-اتباع.

٥- أنه قد يقع من بعض المؤمنين انصراف عن تلاوة القران وسماعه وهذا من هجره، قال الإمام ابن القيم في الفوائد (ص٨٢): هجر القرآن أنواع:

أحدها: هجر سماعه والإيمان به والإصغاء إليه.

والثاني: هجر العمل به والوقوف عند حلاله وحرامه وان قرأه وآمن به.

والثالث: هجر تحكيمه والتحاكم إليه في أصول الدين وفروعه واعتقاد أنه لا يفيد اليقين وأن أدلته لفظية لا تحصل العلم.

والرابع: هجر تدبره وتفهمه ومعرفة ما أراد المتكلم به منه.

والخامس: هجر الاستشفاء والتداوي به في جميع أمراض القلب وأدوائها فيطلب شفاء دائه من غيره ويهجر التداوي به، وكل هذا داخل في قوله: ﴿**وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُوراً**﴾ (الفرقان: ٣٠) وأن كان بعض الهجر أهون من بعض.

** **

(٤٢) صفة الخوارج والتغليظ عليهم

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، وَأَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**سَيَكُونُ فِي أُمَّتِي اخْتِلَافٌ وَفُرْقَةٌ، قَوْمٌ يُحْسِنُونَ الْقِيلَ وَيُسِيئُونَ الْفِعْلَ، يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ مُرُوقَ السَّهْمِ مِنَ الرَّمِيَّةِ، لَا يَرْجِعُونَ حَتَّى يَرْتَدَّ عَلَى فُوقِهِ، هُمْ شَرُّ الْخَلْقِ وَالْخَلِيقَةِ، طُوبَى لِمَنْ قَتَلَهُمْ وَقَتَلُوهُ، يَدْعُونَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ وَلَيْسُوا مِنْهُ فِي شَيْءٍ، مَنْ قَاتَلَهُمْ كَانَ أَوْلَى بِاللَّهِ مِنْهُمْ**» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا سِيمَاهُمْ؟ قَالَ: «**التَّحْلِيقُ**» (د ك) عن أبي سعيد وأنس معا (حم د هـ ك) عن أوس وحده. «المشكاة» (٣٥٤٣).

الخوارج: هم أول من فارق جماعة المسلمين من أهل البدع المارقين، القائلون بتكفير عثمان وعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ويقدمون ذلك على كل طاعة، وكذلك تكفير الحكمين، وكل من رضي بالتحكيم، ويكفّرون أصحاب الكبائر، ويرون الخروج على الإمام إذا خالف السنة حقاً واجباً، وينقسمون إلى عدة فرق. يُراجع «الفرق بين الفرق» للبغدادي ص (٥٥)، و«الملل والنحل» للشهرستاني ص (١١٤ - ١٣٧)، و«مجموع فتاوى» شيخ الإسلام ابن تيمية (٣/٣٤٩).

قوله: (يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم): التراقي جمع ترقوه، وهي العظم الذي بين ثغر النحر والعاتق، وهما ترقوتان من الجانبين. وفيه وجوه:

أحدها: أنه لا يتجاوز أثر قراءتهم عن مخارج الحروف والأصوات، ولا يتعدى إلي القلوب والجوارح، فلا يعتقدون وفق ما يقتضي اعتقاداً، ولا يعملون بما يوجب عملاً.

وثانيهما: أن قراءتهم لا يرفعها الله ولا يقبلها، وكأنها لم تتجاوز حلوقهم.

وثالثها: أنهم لا يعملون بالقرآن فلا يثابون علي قراءته، ولا يحصل لهم غير القراءة.

قوله: (مروق السهم) أي مثل مروق السهم، ضرب مثلهم في دخولهم في الدين وخروجهم منه بالسهم الذي لا يكاد يلاقيه شيء من الدم لسرعة نفوذه، تنبيهاً علي أنهم لا يتمسكون من الدين بشيء، ولا يلوون عليه.

وقد أشار إلي هذا المعنى في غير هذه الرواية بقوله: (سبق الفرث والدم).

قوله: (حتى يرتد السهم علي فوقه) كقوله تعالي: ﴿ارْتَدُّوا عَلَي أَدْبَارِهِم﴾ والفوق موضع الوتر من السهم، وهذا من التعليق بالمحال علي رجوعهم إلى الدين بما يعد من المستحيلات؛ مبالغة في إصرارهم علي ما هم عليه حسما للطمع في رجوعهم إلي الدين، كما قال تعالي: ﴿ولا يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الجَمَلُ فِي سَمِّ الخِيَاطِ﴾ وفيه من اللطف أنه راعى بين التمثيلين المناسبة في أمر واحد، مثل أولا خروجهم من الدين بخروج السهم من الرمية، وثإنياً فرض دخولهم فيه ورجوعهم إليه برجوع السهم علي فوقه إلي ما خرج منه من التوتر.

قوله: (هم شر الخلق والخليقة): (الخلق) الناس، و(الخليقة) البهائم. وقيل: هما بمعنى واحد ويريد بهما جميع الخلائق: (الخليقة) في الأصل مصدر وإنما جاء باللفظين تأكيداً للمعنى الذي أراده وهو استيعاب أصناف الخلق، ويحتمل أنه أراد بـ (الخلقية) من خلق، وبـ (الخلق) من سيخلق. (قض): (هم شر الخلق)؛ لأنهم جمعوا بن الكفر والمراء فاستبطنوا الكفر، وزعموا أنهم أعرف الناس بالإيمان وأشدهم تمسكاً بالقرآن فضلوا وأضلوا. قوله: (طوبى لمن قتلهم) المعنى أصاب خيراً من قتلهم؛ فإنه غاز وإن قتلوه فإنه شهيد.

قوله: (وليسوا منا في شيء): هذا القول بعد قوله: (يدعون إلي كتاب الله) إرشاد إلي شدة العلاقة بين النبي ﷺ وبين كتاب الله، وإلا فمقتضى التركيب: ليسوا من كتاب الله في شيء.

أقول: ولو قيل: ليسوا من كتاب الله في شيء، أوهم أن يكونوا جهالا ليس لهم نصيب من كتاب الله قط كأكثر العوام. وقوله: (ليسوا منا في شيء) يدل علي أنهم ليسوا من عداد المسلمين، ولا لهم نصيب من الإسلام. وهو ينظر إلي معنى قوله: (يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية). قوله: (التحليق) أي علامتهم التحليق.

تحذير وتوصيف النبي ﷺ لرجل من أمته قرا القران ليخدعها:

عن حذيفة، قال: قال رسول ﷺ: «إن أخوف ما أخاف عليكم رجل قرأ القرآن، حتّى إذا رُئيتْ بهجتُه عليه، وكان رِدْءاً للإسلام؛ انسلخ منه ونبذه وراء ظهره، وسعى على جاره بالسيف، ورماه بالشرك. قلت: يا نبيَّ الله! أيُّهما أولى بالشرك، الرامي أو المرمي؟ قال: بل الرامي« أخرجه البخاري في «التاريخ انظر» «الصحيحة» (٣٢٠١).

التحذير من الخوارج

أقول: هذا بعض من الأحاديث النبوية التي تزجر المسلم عن سلوك طريق الغي والضلال والفرقة والخروج والاختلاف وتحذره من الغلو في الكتاب وترشده إلى التمسك مع الكتاب بالسنة النبوية الصحيحة وإتباع سلف الأمة ليسلم دينه وإسلامه قال ﷺ: «إن من ضئضئ هذا قوما يقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان لئن أنا أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد» (خ) عن أبي سعيد. «السنة»(٩١٠)(حم، م، د، ن) ابن أبي عاصم- علي. قال ابن الجوزي في «كشف المشكل» قوله: (يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان) هذا من تسويل الشيطان للقوم وتزيينه لهم، فإنه لما أحس بقلة عقولهم ملكها.

قال في «الفتح» (٦٩/٨): وهو مما أخبر به ﷺ من المغيبات فوقع كما قال. وقال:«إن بعدي من أمتي قوما يقرءون القرآن لا يجاوز حلاقمهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ثم لا يعودون إليه شر الخلق والخليقة». (حم م ه) عن أبي ذر ورافع بن عمرو الغفاري معا. وقال:«إن من ضئضئ هذا قوما يقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد». (ق د ن) عن أبي سعيد. «الإرواء» (٨٦٤). قال الزرقاني (١٩/٢-٢٠) قوله: (لا يجاوز حناجرهم) جمع حنجرة، وهي آخر الحلق مما يلي الفم، وقيل: أعلى الصدر عند طرف الحلقوم، والمعنى: أن قراءتهم لا يرفعها الله ولا يقبلها، وقيل لا يعملون بالقرآن فلا يثابون على قراءتهم فلا يحصل لهم إلا سرده، وقيل: لا تفقهه قلوبهم ويحملونه على غير المراد به، فلا حظ لهم منه إلا مروره على لسانهم، لا يصل إلى حلوقهم فضلا عن أن يصل إلى قلوبهم فلا يتدبروه بها.

وقال ابن رشيق: المعنى لا ينتفعون بقراءته كما لا ينتفع الآكل والشارب من المأكول والمشروب إلا بما يجاوز حنجرته.

قال ابن عبد البر: وكانوا لتكفيرهم الناس لا يقبلون خبر أحد عن النبي ﷺ، فلم يعرفوا بذلك شيئا من سنته وأحكامه المبينة لمجمل القرآن والمخبرة عن مراد الله تعالى في

خطابه، ولا سبيل إلى المراد بها إلا ببيان رسوله، ألا ترى إلى قوله: ﴿**وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم**﴾ (النحل: ٤٤) والصلاة والزكاة والحج والصوم وسائر الأحكام إنما ذكرت في القرآن مجملة بينتها السنة، فمن لم يقبل أخبار العدول ضل وصار في عميا. وقال: «إنه يخرج من ضئضئ هذا قوم يتلون كتاب الله رطبا لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل ثمود». (حم ق) عن أبي سعيد.

قال ابن الجوزي قوله: (يقرأون كتاب الله رطبا) فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه الحذق بالتلاوة، والمعنى أنهم يأتون به على أحسن أحواله.

والثاني: يواظبون على التلاوة فلا تزال ألسنتهم رطبة به.

والثالث: أن يكون من حسن الصوت بالقراءة. كشف المشكل(١٢١/٣) وقال: «سيخرج في آخر الزمان قوم أحداث الأسنان سفهاء الأحلام يقولون من خير قول البرية يقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية فإذا لقيتموهم فاقتلوهم فإن في قتلهم أجرا لمن قتلهم عند الله يوم القيامة». (ق) عن علي. «الإرواء» (٢٤٧٠).

وقال:«سيقرأ القرآن رجال لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية». (ع) عن أنس. «الصحيحة» (١٨٩٥): حم، ق - علي وأبي سعيد الخدري، م - أبي ذر، ورافع بن عمرو، حم - أنس، ع - ابن عباس. وقال: «ليقرأن القرآن ناس من أمتي يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية» (حم هـ) عن ابن عباس. «الصحيحة» (٢٢٠١) وقال: «معاذ الله أن يتحدث الناس أني أقتل أصحابي إن هذا وأصحابه يقرءون القرآن لا يجأوز حناجرهم يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية». (حم ق) عن جابر. قال الإسماعيلي: إنما ترك ﷺ قتل المذكور لأنه لم يكن أظهر ما يستدل به على ما وراءه فلو قتل من ظاهره الصلاح عند الناس قبل استحكام أمر الإسلام ورسوخه في القلوب نفرهم عن الدخول في الإسلام، وأما بعده ﷺ فلا يجوز ترك قتالهم إذا أظهروا رأيهم وخرجوا من الجماعة وخالفوا الأئمة مع القدرة على قتالهم. «إرشاد الساري» (٥٨/٦)

وقال: «يأتي في آخر الزمان قوم حدثاء الأسنان سفهاء الأحلام يقولون من خير قول البرية يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية لا يجأوز إيمانهم حناجرهم فاقتلوهم فإن في قتلهم أجرا لمن قتلهم يوم القيامة». (خ د ت) عن علي. «السنة» (٩١٤).

قال النووي في «المنهاج» (١٦٩/٧): «يقولون من خير قول البرية» معناه في ظاهر الأمر كقولهم لا حكم إلا لله ونظائره من دعائهم إلى كتاب الله تعالى (فإذا لقيتموهم فاقتلوهم فإن في قتلهم أجرا) هذا تصريح بوجوب قتال الخوارج والبغاة وهو إجماع العلماء.

وقال: «يخرج من المشرق أقوام محلقة رءوسهم يقرءون القرآن بألسنتهم لا يعدو تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية». (حم ق) عن سهل بن حنيف. «السنة» (٩٠٨).

«إن ناسا من أمتي سيماهم التحليق يقرءون القرآن لا يجاوز حلوقهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية هم شر الخلق والخليقة». (حم م) عن أبي هريرة. المراد بالتحليق: حلق الرءوس. واستدل به بعضهم على كراهته ولا دلالة فيه وإنما هو علامة لهم والعلامة قد تكون بحرام وقد تكون بمباح «حاشية السندي على سنن النسائي» (١٢١/٧) قوله: (هم شر الخلق والخليقة) ومعلوم أن الكفار الذين يقاتلون المسلمين قد وصفهم الله بقوله: ﴿**إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لا يَعْقِلُونَ**﴾ (الأنفال:٢٢). ولاشك أنهم شر الخليقة باتفاق المسلمين وأنه لا نصيب لهم في الإسلام؛ أما الخوارج فأمرهم مشكوك فيه، ولكن هذا كله يدل على خبثهم وعلى منتهى قبحهم، وعلى حصول الضرر الكبير منهم للمسلمين؛ وذلك أنهم يشغلون الناس عن قتال الكفار وعن الجهاد في سبيل الله، مثلما حصل بالنسبة لـ أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حين شغله قتال مانعي الزكاة عن الفتوحات، فلما قضى عليهم، اتجه إلى تجهيز الجيوش للفرس وللروم. «شرح سنن أبي داود» للعباد البدر.

انظر ما قاله أهل العلم في الخوارج والتحذير منهم وحكمهم على عقيدتهم وإسلامهم وحكم قتالهم في أقرب المراجع تناولا «نيل الاوطار» للشوكاني «باب قتال الخوارج وأهل البغي» ومن ثم «التمهيد» و «الاستذكار» لابن عبد البر.

** **

(٤٣) ذكر الزجر عن ان يقول المرء نسبت آية كيت وكيت

عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**اسْتَذْكِرُوا الْقُرْآنَ، فَلَهُوَ أَشَدُّ تَفَصِّيًا مِنْ صُدُورِ الرِّجَالِ مِنَ النَّعَمِ مِنْ عُقُلِهَا، وَبِئْسَمَا لِأَحَدِكُمْ أَنْ يَقُولَ: نَسِيتُ آيَةَ كَيْتَ وَكَيْتَ، مَا نَسِيَ وَلَكِنْ نُسِّيَ**» متفق عليه.

عن عائشة، سمع النبي ﷺ رجلا يقرأ بالليل في المسجد فقال: «رحم الله فلانا لقد أذكرني كذا وكذا آية كنت أسقطتها من سورة كذا وكذا». «صحيح الجامع» (رقم ٣٤٩٨). في هذا الحديث والذي قبله دليل على أن حصول النسيان للشخص ليس بنقص له، «إذا كان« بعد الاجتهاد والحرص. وفى حديث ابن مسعود أدبٌ فى التعبير عن حصول ذلك، فلا يقول: نسيت كذا، فإن النسيان ليس من فعل العبد، وقد تَصْدُرُ عنه أسبابه؛ من التناسى والتغافل والتهاون المفضي إلى ذلك، فأما النسيان نفسه فليس بفعله، ولهذا قال: بل هو نُسِّيَ؛ مَبْنِيٌّ لما لم يُسَمَّ فاعلُه، وأدب أيضًا فى ترك إضافة ذلك إلى الله تعالى، وقد أسند النسيان إلى العبد في قوله تعالى: ﴿**وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ**﴾ (الكهف: ٢٤) «مرقاة المفاتيح».

قوله: (استذكروا القرآن) أي واظبوا على تلاوته واطلبوا من أنفسكم المذاكرة به قال الطيبي وهو عطف من حيث المعنى على قوله بئس ما لأحدكم أي لا تقصروا في معاهدته واستذكروه. قوله: (فإنه أشد تفصيا) أي تفلتا وتخلصا ووقع بلفظ تفلتا. اهـ. «فتح» قوله (من صدور الرجال) التي هي محل حفظه كما قال: ﴿**بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ**﴾ (العنكبوت: ٤٩) قوله (من النعم) الإبل (من عقلها) جمع عقال وهو ما يشد به البعير والحديث أمر بتعهد القرآن وحفظه بالتلاوة. اهـ. مختصرا. «التنوير شرح الجامع الصغير» (٢/٣١٧-٣١٨) للأمير الصنعاني قوله: (بئس ما لأحدهم ان يقول) أي لا تقصروا في معاهدة القرآن واستذكروه.

قال ابن الجوزي في «كشف المشكل» (١/٣٠٣) قوله: «استذكروا القرآن« تحريض على تلاوته لئلا ينسى.

قال أبو العباس القرطبي قوله: (بل هو نُسِّي) فعلى التشديد يكون معناه: أنه عوقب بتكثير النسيان عليه؛ لما تمادى في التفريط، وعلى التخفيف (نَسِيَ) يكون معناه: تُرِك غير مُلْتَفَتٍ إليه، ولا مُعْتَنىً به، ولا مرحوم، كما قال الله تعالى: ﴿نسوا الله فنسيهم﴾؛ أي: تركهم في العذاب، أو تركهم من الرحمة. «المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم» (٢ / ٤١٩).

قال الحا فظ في «الفتح» (٩/ ٨٠-٨٣) سبب الذم ما فيه من الإشعار بعدم الاعتناء بالقرآن إذ لا يقع النسيان إلا بترك التعاهد وكثرة الغفلة فلو تعاهده بتلاوته والقيام به في الصلاة لدام حفظه وتذكره فإذا قال الإنسان نسيت الآية الفلانية فكأنه شهد على نفسه بالتفريط فيكون متعلق الذم ترك الاستذكار والتعاهد لأنه الذي يورث النسيان. ويؤيده عطف الأمر باستذكار القرآن عليه وقال عياض أولى ما يتأول عليه ذم الحال لا ذم القول أي بئس الحال حال من حفظه ثم غفل عنه حتى نسيه وقال النووي الكراهة فيه للتنزيه. قلت: هذا ما رجحه الحافظ في متعلق الذم من قوله بئس. وفي هذا الحديث زيادة على حديث بن عمر لأن في حديث بن عمر تشبيه أحد الأمرين بالآخر وفي هذا أن هذا أبلغ في النفور من الإبل ولذا أفصح به في الحديث الثالث حيث قال لهو أشد تفصيا من الإبل في عقلها لأن من شأن الإبل تطلب التفلت ما أمكنها فمتى لم يتعاهدها برباطها تفلتت فكذلك حافظ القرآن إن لم يتعاهده تفلت بل هو أشد في ذلك وقال ابن بطال هذا الحديث يوافق الآيتين قوله تعالى إنا سنلقي عليك قولا ثقيلا وقوله تعالى ولقد يسرنا القرآن للذكر فمن أقبل عليه بالمحافظة والتعاهد يسر له ومن أعرض عنه تفلت منه، والحاصل تشبيه من يتفلت منه القرآن بالناقة التي تفلتت من عقالها وبقيت متعلقة به كذا قال والتحرير أن التشبيه وقع بين ثلاثة بثلاثة فحامل القرآن شبه بصاحب الناقة والقرآن بالناقة والحفظ بالربط وفي هذه الأحاديث الحض على محافظة القرآن بدوام دراسته وتكرار تلاوته وضرب الأمثال لإيضاح المقاصد.

قال ابن كثير: مضمون هذه الأحاديث كلها الترغيب فى كثرة تلاوة القرآن الكريم، واستذكاره وتعاهده، لئلا يعرضه حافظه للنسيان، وهذا خطأ كبير نسأل الله تعالى العافية منه.

حكم نسيان القرآن بعد حفظه واستظهاره:

ما حكم من استظهر كتاب الله على ظهر قلبه ثم نسيه، هل يعاقب أو لا؟ الجواب من «فتاوى اللجنة الدائمة» رقم الفتوى (٥١٦٩): القرآن كلام الله تعالى، وهو أفضل الكلام ومجمع الأحكام، وتلاوته عبادة تلين بها القلوب، وتخشع النفوس، إلى غير ذلك من منافعه التي لا تحصى، من أجل ذلك أمر النبي ﷺ بتعاهده حتى لا ينسى، فقال ﷺ: «تعاهدوا القرآن، فوالذي نفسي بيده لهو أشد تفلتا من الإبل في عقلها» فلا يليق بالحافظ له أن يغفل عن تلاوته، ولا أن يفرط في تعاهده، بل ينبغي أن يتخذ لنفسه منه وردا يوميا يساعده على ضبطه، ويحول دون نسيانه رجاء الأجر والاستفادة من أحكامه عقيدة وعملا، ولكن من حفظ شيئا من القرآن ثم نسيه عن شغل أو غفلة ليس بآثم، وما ورد من الوعيد في نسيان ما قد حفظ لم يصح عن النبي ﷺ. وبالله التوفيق.

قال العلامة الألباني: «ما من امرىء يقرأ القرآن، ثم ينساه إلا لقي الله عز وجل يوم القيامة وهو أجذم». ضعيف «السلسلة الضعيفة» (١٣٥٤) (إذا خشيَ أحدُكم نِسيانَ القرآنِ؛ فلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ! ارْحَمْنِي بِتَرْكِ الْمَعَاصِي أَبَداً مَاأَبْقَيْتَنِي...) منكر «السلسلة الضعيفة» (٦٠٧٧) والمشهور في حفظ القرآن حديث ابن عباس عند الترمذي وغيره، ولا يصح أيضاً، وقد سبق تخريجه والكلام عليه [وهو]- منكر- برقم (٣٣٧٤)، وفيه بعض الجمل التي في هذا؛ مما يلقي في النفس أن أحد رواة هذا سرقه من ذاك. والله أعلم.

** **

(٤٤) رفع القرآن في آخر الزمان

عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**يَدْرُسُ الْإِسْلَامُ كَمَا يَدْرُسُ وَشْيُ الثَّوْبِ حَتَّى لَا يُدْرَى مَا صِيَامٌ وَلَا صَلَاةٌ وَلَا نُسُكٌ وَلَا صَدَقَةٌ، وَلَيُسْرَى عَلَى كِتَابِ اللَّهِ فِي لَيْلَةٍ فلَا يَبْقَى فِي الْأَرْضِ مِنْهُ آيَةٌ وَتَبْقَى طَوَائِفُ مِنْ النَّاسِ، الشَّيْخُ الْكَبِيرُ وَالْعَجُوزُ، يَقُولُونَ: أَدْرَكْنَا آبَاءَنَا عَلَى هَذِهِ الْكَلِمَةِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَنَحْنُ نَقُولُهَا، فَقَالَ صِلَةُ لِحُذَيْفَةَ: مَا تُغْنِي عَنْهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَهُمْ لَا يَدْرُونَ مَا صَلَاةٌ وَلَا صِيَامٌ وَلَا نُسُكٌ وَلَا صَدَقَةٌ؟، فَقَالَ حُذَيْفَةُ: يَا صِلَةُ، « تُنْجِيهِمْ مِنْ النَّارِ، تُنْجِيهِمْ مِنْ النَّارِ، تُنْجِيهِمْ مِنْ النَّارِ**»

أخرجه ابن ماجه (٤٠٤٩) والحاكم (٤ / ٤٧٣) انظر «السلسلة الصحيحة» رقم (٨٧).

يَدْرُسُ الْإِسْلَامُ: يمحى قليلاً قليلاً، أي يذهب نسجه قليلاً قليلاً حتى يمحى.

وَشْيُ الثَّوْبِ: نقشه.

وَلَيُسْرَى: يذهب بالليل، فيرفع القُرْآن من المصاحف ومن الصدور.

أَدْرَكْنَا آبَاءَنَا عَلَى هَذِهِ الْكَلِمَةِ: وفي هذا دليل عَلَى أنه لا يبقى من الإسلام إلا كلمة الشهادة، ولا يبقى عند هَؤُلاءِ النَّاس شيء إلا أنهم يعرفون أنه لا إله إلا الله، أما الصلاة والزكاة والصيام والنسك وكل الأمور المتعبد بها فلا يدرون عنها شيئاً، والقرآن ليس بينهم فلا يتلونه ولا يفقهون منه شيئاً.

قوله: مَا تُغْنِي عَنْهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ: في ذلك الوقت الذي لم يعد يدرى فيه عن الصلاة والزكاة ولا أي شيء من أحكام الدين إلا هذا، فمن أدركها فهو لم يدرك من الإسلام إلا هي فهو يقولها، فهذه تنجيه من النار، ثُمَّ إِلَى الله -عَزَّ وَجَلَّ- الأمر إما أن يعذبهم، ثُمَّ يخرجهم من النَّار كما هو حال الموحدين العصاة، أو أنهم يدخلون الجنة ابتداءً؛ لأنهم لم يدركوا غير ذلك.

والمقصود أن هذه حالة خاصة في ذلك الوقت الخاص، فلا يأتي أحد يسمع آيات الله ليل نهار ويسمع ما جَاءَ في الكتاب والسنة عن الصلاة والزكاة والصيام والنسك وجميع الأعمال، ويقول: أنا أقول: لا إله إلا الله وتنجيني من النار؛ فإن هذا وضع خاص في وقت خاص -نسأل

الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى أن لا يدركنا ذلك الزمان- لأنه من شرار الخلق الذين تقوم عليهم الساعة، كما ثبت بذلك الحديث عن النبي ﷺ، وهَؤُلاءِ هم المؤمنون الذين هم أفضل النَّاس حينئذ وليس لديهم من الإسلام إلا هذا.

الحكمة في رفع القرآن:

والمقصود أن هذا الحديث صحيح، وأن دِلاَلته عَلَى أن القُرْآن يرفع ثابتة، فالقرآن بدأ من الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وإليه يعود: فيرفع من هذه الأرض؛ لأن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى أنزله لحكمة، ليعمل به، وتقام حدوده، ولينتفع به، فإذا ذهبت حكمة الانتفاع فإنه يرتفع، فلم يبق في وجوده فائدة بين أيدي الناس، ومن تلك الحكمة التي قد نلمسها بأن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يخرج دابة، كما قال تعالى: ﴿**وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لا يُوقِنُونَ**﴾ (النمل:٨٢)، فيتناسب خروج الدابة مع حال النَّاس في آخر الزمان، وكان الله كلما ضلت أمة من القديم بعث إليهم رسولاً، فلما كَانَ رسولنا مُحَمَّد ﷺ خاتم الرسل لم يبق احتمال لإرسال رسول. وعندما تنحدر الإِنسَانية انحداراً لا يرجى بعده صلاح تأتيهم دابة من جنس حالهم -فإنها تكون حين يقل الإيمان ويضعف الناس- وهنا تصدم حواس النَّاس وتفجعهم لأنها دابة، ومع ذلك تكلمهم وتخبرهم عن أمر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وتبين الكافر والمنافق من المؤمن. فالمقصود أن ذلك الزمان لفساده وفساد أهله وقلة الخير فيه يرفع القُرْآن منه، وتخاطب فيه النَّاس الدابةُ، فذلك دليل عَلَى أنهم لا ينتفعون بعد ذلك بخير.

نوصي أنفسنا وإخواننا بالإقبال عَلَى كتاب الله عَزَّ وَجَلَّ، وباغتنام هذه الفرصة -القرآن- ما دام أنه بين أيدينا قراءة وفهماً وحفظاً وتدبراً وعملاً ودعوةً، فإن الإِنسَان لا يُقدر الشيء حق قدره إلا إذا فات، كما أنه لا يُقدر العافية حق قدرها إلا إذا فاتت، وكذلك المال والفراغ وسائر النعم فإذا أُهمل القُرْآن ثُمَّ أُهمل وتمادى الإهمال، فإنه يرفع بالكلية، نعوذ بالله أن يدركنا ذلك الزمان. انتهى «شرح العقيدة الطحاوية» لـ د. سفر الحوالي.

قال العلامة الألباني من فوائد الحديث: في هذا الحديث نبأ خطير، وهو أنه سوف يأتي يوم على الإسلام يمحى أثره، وعلى القرآن فيرفع فلا يبقى منه ولا آية واحدة، وذلك لا يكون قطعا

إلا بعد أن يسيطر الإسلام على الكرة الأرضية جميعها، وتكون كلمته فيها هي العليا. كما هو نص قول الله تبارك وتعالى: ﴿**هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله**﴾، وكما شرح رسول الله ﷺ ذلك في أحاديث كثيرة سبق ذكر بعضها في المقال الأول من هذه المقالات «الأحاديث الصحيحة».

وما رفع القرآن الكريم في آخر الزمان إلا تمهيدا لإقامة الساعة على شرار الخلق الذين لا يعرفون شيئا من الإسلام البتة، حتى ولا توحيده! وفي الحديث إشارة إلى عظمة القرآن، وأن وجوده بين المسلمين هو السبب لبقاء دينهم ورسوخ بنيانه وما ذلك إلا بتدارسه وتدبره وتفهمه ولذلك تعهد الله تبارك وتعالى بحفظه، إلى أن يأذن الله برفعه.

«فائدة» شرح قول سفيان: (القرآن كلام الله غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود). أي المتكلم به، وهو الذي أنزله من لدنه، ليس هو كما تقوله الجهمية أنه خُلِقَ في الهواء أو غيره، وبدأ من عند غيره. وأما (إليه يعود) فأنه يسرى به في آخر الزمان من المصحف والصدور، فلا يبقى في الصدور منه كلمة ولا في المصاحف منه حرف. كذا في «العقيدة الواسطية» لشيخ الإسلام ابن تيمية. «مختصر العلو» (ص١٤٠).

المبادرة بحفظه قبل رفعه من الأرض:

عَنْ عبد الله ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: «لَيُسْرَيَنَّ عَلَى الْقُرْآنِ ذَاتَ لَيْلَةٍ فَلا يُتْرَكُ آيَةٌ فِي مُصْحَفٍ وَلا فِي قَلْبِ أَحَدٍ إِلا رُفِعَتْ». أخرجه الدارمي بسند صحيح (برقم ٣٢٠٩). رواه الطبراني في «الكبير» (برقم ٨٦٩٨) وعَنْ عبد الله ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: «لَيُنْتَزَعَنَّ هَذَا الْقُرْآنُ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِكُمْ»، قُلْتُ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، كَيْفَ يُنْتَزَعُ وَقَدْ أَثْبَتْنَاهُ فِي مَصَاحِفِنَا؟ قَالَ: «يُسْرَى عَلَيْهِ فِي لَيْلَةٍ فَلَا يَبْقَى فِي قَلْبِ عَبْدٍ وَلَا مُصْحَفٍ مِنْهُ شَيْءٌ، وَيُصْبِحُ النَّاسُ فُقَرَاءَ كَالْبَهَائِمِ»، ثُمَّ قَرَأَ عَبْدُ اللهِ: ﴿**وَلَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا**﴾ (الإسراء: ٨٦) قال ابن حجر في «فتح الباري» (١٣ /١٦): سنده صحيح ولكنه موقوف. وهذا الحديث حكمه حكم المرفوع، لأنه لا يُقال بالرأي.

** **

(٤٥) الوصية بكتاب الله

عَنْ طَلْحَةَ بْنِ مُصَرِّفٍ قَالَ: سَأَلْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي أَوْفَى: هَلْ أَوْصَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؟ قَالَ: مَا تَرَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ شَيْئًا يُوصِي فِيهِ! قُلْتُ: فَكَيْفَ يَأْمُرُ النَّاسَ بِالْوَصِيَّةِ؟ قَالَ: أَوْصَى بكتاب الله. رواه البخاري.

قال العلامة ابن عثيمين –رحمه الله– في شرح «كتاب فضائل القرآن» من صحيح البخاري: الوصاة بكتاب الله عزوجل تشمل وجوها كثيرة:

منها: الوصاة بحفظه حتى لا يضيع، والحفظ نوعان: حفظ في الصدور، وحفظ في المسطور يعني في الكتاب، فعلى المسلمين أن ينفذوا وصية النبي ﷺ بحفظ القرآن في صدورهم ومسطورهم.

ثانيا: الوصية بتصديق أخباره، فإنّ من كذّب خبرا من أخبار القرآن، فإنه قد انتقص القرآن، لأن الكذب من الأوصاف الذميمة، القبيحة التي يستهجنها حتى الكفار في كفرهم.

ثالثا: الوصاة بالعمل به، بحيث لا نهجره، فإن هجر العمل بالقرآن هجرٌ للقرآن، ﴿**وقال الرسول يا رب إنّ قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا**﴾.

رابعا: الدفاع عنه، بحيث نرد تحريف المبطلين الذين يفسرون القرآن بآرائهم، وأهوائهم، ومن قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار، والعياذ بالله.

خامسا: بإكرامه وتعظيمه، بحيث لا نضعه في مكان يُمتهن، وإذا وجدناه في مكان يحتمل الامتهان رفعناه، فهذا لا شك من الوصية به.

وكذلك من إكرامه ألا نرضى أن أحدا يقوم بتمزيقه، وإتلافه، كأنما هو عنده خرقة يقطّعها كما يشاء!.

ومن إكرامه أيضا ألا نسمح لأنفسنا ولا لغيرنا بأن يصيبه أذى أو قذر، كالنجاسة وشبهها، فإذا قُدّر أن سقط عليه نجاسة فإننا نزيلها عنه، ونحميه منها.

ومن تعظيمه أيضا ألا نمسه إلا على طهر، لأن النبي ﷺ قال: «لا يمس القرآن إلا طاهر».

كلُّ هذا داخل في وصية النبي ﷺ إيانا لكتاب الله.

إذا تأملت هذه المسألة، وعِظَمها استعظَمْتها في نفسك، أن الرسول عليه الصلاة والسلام أوصاك وصية خاصة بكتاب الله عزوجل، من هذه الوجوه و من غيرها أيضا، فالزم هذه الوصية واعمل بها، واحترم كلام الله عزوجل.

ومن ذلك أيضا ألا نتخذه هزوا ولعبا، بحيث نجعله بدلا من كلامنا !، مثل لو استأذن عليك مُسْتأذِن، قلت: (ادخلوها بسلام آمنين)!

اسم ابنك يحيى، إذا خاطبته قلت: (يا يحيى خذ الكتاب بقوة) ! .. وهكذا.

فإنَّ جَعْل القرآن بدلا من الكلام محرم، لما في ذلك من ابتذال للقرآن وامتهانه.

ومن هذا أيضا، ما يفعله بعض الناس، يكتب القرآن في الأواني، أو في المناديل، أو على ألحِفة الموتى!، أو ما أشبه ذلك، فإن هذا كله من امتهان القرآن ؛ فالأواني مثلا تُرمى، يرميها الطفل، وربما يرميها الكبير أيضا، وتُمْتهن بالشرب بها، وما أشبه ذلك.

وتلحيف الموتى بها، أيضا امتهان، لأن الميت ليس أكرم من الحي، وكل أحد يستقبح أن يجعل الحيُّ اللحافَ، لحافَه الذي يتغطى به عند النوم مكتوبا عليه شيئا من كلام الله، فالميت من باب أوْلى، والميت لا ينتفع بهذا، ولا بقراءة القرآن عنده، لأنه ليس حيا يستمع فينتفع، أو يقرأ فينتفع، بل هو ميت.

المهم أن النبي ﷺ أوصانا بكتاب الله -. من الوصية:

سادسا: أن نحرص على فهم معانيه، وتدبرها، لأن القرآن إنما نزل لذلك في الواقع؛ ﴿كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته﴾، ولأنه لا يمكن العمل به حقيقة إلا بالتدبر، إذ أنك إن لم تتدبره لم تفهم معانيَه، وإذا لم تفهم معانيه فكيف يمكن أن تعمل به؟

وكذلك في الأخبار لا يمكن أن تنتفع بالقسط أو الخبر إلا إذا فهمت المعنى ؛ وقد مر معنا في العام الماضي في رسالة (أصول التفسير)، التي ألفها شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله- قال: إن الناس لو كُلّفوا بقراءة كتاب من الطب أو من النحو، هل يقرؤونه هكذا ؟ أو

يستشرحونه ويبحثون في معناه حتى يستفيدوا منه ؟ إذن فكتاب الله من باب أولى، أن نحرص عليه، وأن نتفهم معانيه في أخباره، وأحكامه). اهـ.

وجوب التمسّك بكتاب الله وسنة النبي ﷺ:

قال تعالى: ﴿**المص**﴾ ﴿**كتاب أنزل إليك فلا يكن في صدرك حرج منه لتنذر به وذكرى للمؤمنين**﴾ ﴿**اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلا ما تذكرون**﴾ وقال تعالى: ﴿**وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون**﴾ وقال تعالى: ﴿**الر**﴾ ﴿**كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد**﴾ وقال تعالى: ﴿**قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين**﴾ ﴿**يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم**﴾ وقال تعالى: ﴿**والذين يمسكون بالكتاب وأقاموا الصلاة إنا لا نضيع أجر المصلحين**﴾ قد أمرنا الله تعالى باتباع ما أنزل إلينا من ربنا وباتباع ما يأتي منه من الهدى وقد أنزل علينا الكتاب والحكمة كما قال تعالى: ﴿**واذكروا نعمة الله عليكم وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به**﴾ والحكمة من الهدى قال تعالى: ﴿**وإن تطيعوه تهتدوا**﴾ والأمر باتباع الكتاب والقرآن يوجب الأمر باتباع الحكمة التي بعث بها الرسول وباتباعه وطاعته مطلقا. وقال تعالى: ﴿**واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة**﴾ وقال تعالى: ﴿**كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون**﴾ وقد أمر بطاعة الرسول في نحو أربعين موضعا كقوله تعالى: ﴿**قل أطيعوا الله والرسول فإن تولوا فإن الله لا يحب الكافرين**﴾ وقوله تعالى ﴿**وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول واحذروا فإن توليتم فاعلموا أنما على رسولنا البلاغ المبين**﴾ ﴿**فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما**﴾ وقوله تعالى ﴿**قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم**﴾ وقوله تعالى ﴿**ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا**﴾.

والأحاديث كثيرة عن النبي ﷺ في وجوب اتباع الكتاب وفي وجوب اتباع سنته ﷺكقوله: «أبشروا فإن هذا القرآن طرفه بيد الله وطرفه بأيديكم فتمسكوا به فإنكم لن تهلكوا ولن تضلوا بعده أبدا». «الصحيحة» (٧١٣). «تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما: كتاب الله وسنتي ولن يتفرقا حتى يردا علي الحوض». «الصحيحة» (١٧٦١).

«يوشك أن يقعد الرجل متكئا على أريكته يحدث بحديث من حديثي فيقول: بيننا وبينكم كتاب الله فما وجدنا فيه من حلال استحللناه وما وجدنا فيه من حرام حرمناه ألا وإن ما حرم رسول الله مثل ما حرم الله». «المشكاة» (١٦٣). وفي رواية « ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه». «تخريج المشكاة» (٤٢٤٧)

«كتاب الله هوحبل الله الممدود من السماء إلى الأرض». «الصحيحة» (٢٠٢٤) عَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ الْأَشْجَعِيِّ، قَالَ: خَطَبَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالْهَجِيرِ وَهُوَ مُرْعُوبٌ فَقَالَ: «أَطِيعُونِي مَا كُنْتُ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ، وَعَلَيْكُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، أَحِلُّوا حَلَالَهُ وَحَرِّمُوا حَرَامَهُ» «الصحيحة» (١٤٧٢).

يجب على المرء من تعلم كتاب الله جل وعلا واتباع ما فيه عند وقوع الفتن خاصة

عَنْ حُذَيْفَةَ قَالَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ بَعْدَ هَذَا الْخَيْرِ الَّذِي نَحْنُ فِيهِ مِنْ شَرٍّ نَحْذَرُهُ قَالَ: «يَا حُذَيْفَةُ عَلَيْكَ بِكِتَابِ اللَّهِ فَتَعَلَّمْهُ وَاتَّبِعْ مَا فِيهِ خيرا لك» «الصحيحة» (٢٧٣٩).

(الْمُثَنَّاةُ) من علامات اقتراب الساعة:

حَدَّثَنِي عَمْرُو بْنُ قَيْسٍ الْكِنْدِيُّ، قَالَ: كُنْتُ مَعَ أَبِي الْفَوَارِسِ وَأَنَا غُلَامٌ شَابٌّ، فَرَأَيْتُ النَّاسَ مُجْتَمِعِينَ عَلَى رَجُلٍ، قُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، فَسَمِعْتُهُ يُحَدِّثُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺأَنَّهُ قَالَ: «مِنَ اقْتِرَابِ (وفي رواية:أَشْرَاطِ:) السَّاعَةِ أَنْ تُرْفَعَ الْأَشْرَارُ وَتُوضَعَ الْأَخْيَارُ، وَيُفْتَحَ الْقَوْلُ وَيُخْزَنَ الْعَمَلُ، وَيُقْرَأَ بِالْقَوْمِ الْمُثَنَّاةُ لَيْسَ فِيهِمْ أَحَدٌ يُنْكِرُهَا» قِيلَ: وَمَا الْمُثَنَّاةُ؟ قَالَ: «مَا اكْتُتِبَتْ سِوَى كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ» أخرجه الحاكم (٤ / ٥٥٤) انظر «السلسلة الصحيحة» (٢٨٢١).

(فائدة): قال الألباني: هذا الحديث من أعلام نبوته ﷺ، فقد تحقق كل ما فيه من الأنباء، وبخاصة منها ما يتعلق بـ (المثناة) وهي كل ما كتب سوى كتاب الله كما فسره الراوي، وما يتعلق به من الأحاديث النبوية والآثار السلفية، فكأن المقصود بـ (المثناة) الكتب المذهبية المفروضة على المقلدين. التي صرفتهم مع تطاول الزمن عن كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ كما هو مشاهد اليوم مع الأسف من جماهير المتمذهبين، وفيهم كثير من الدكاترة والمتخرجين من كليات الشريعة، فإنهم جميعا يتدينون بالتمذهب، ويوجبونه على الناس حتى العلماءمنهم، فهذا كبيرهم أبو الحسن الكرخي الحنفي يقول كلمته المشهورة: « كل آية تخالف ما عليه أصحابنا فهي مؤولة أو منسوخة، وكل حديث كذلك فهو مؤول أو منسوخ».

فقد جعلوا المذهب أصلا، والقرآن الكريم تبعا، فذلك هو (المثناة) دون ما شك أو ريب. (٦/٧٧٤-٧٧٧).

** **

(٤٦) النصيحة لكتاب الله تعالى

عَنْ تَمِيمٍ الدَّارِيِّ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ الدِّينَ النَّصِيحَةُ، إِنَّ الدِّينَ النَّصِيحَةُ، إِنَّ الدِّينَ النَّصِيحَةُ**» قَالُوا: لِمَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «**لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِنَبِيِّهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُؤْمِنِينَ وَعَامَّتِهِمْ**». (حم م د ن) عن تميم الداري (ت ن) عن أبي هريرة (حم) عن ابن عباس. مختصر مسلم (١٢٠٩).

قال تعالى: ﴿**إذا نصحوا لله ورسوله**﴾ (التوبة: ٩١) قال ابن سعدي في «بهجة قلوب الأبرار» (ص١٩-٢٠): كرر النبي ﷺ هذه الكلمة اهتماماً للمقام، وإرشاداً للأمة أن يعلموا حق العلم أن الدين كله -ظاهره وباطنه- منحصر في النصيحة. وهي القيام التام بهذه الحقوق الخمسة. فالنبي ﷺ فسر النصيحة بهذه الأمور الخمسة التي تشمل القيام بحقوق الله، وحقوق كتابه، وحقوق رسوله، وحقوق جميع المسلمين على اختلاف أحوالهم وطبقاتهم. فشمل ذلك الدين كله، ولم يبق منه شيء إلا دخل في هذا الكلام الجامع المحيط.

قال العلماء: إنه أحد الأحاديث الأربعة التي يدور عليها الإسلام وقال النووي: ليس الأمر كما قالوه بل عليه مدار الإسلام. قال الخطابي: النصيحة كلمة جامعة يعبر بها عن جملة هي إرادة الخير. قال البغوي «الدين النصيحة»، يريد عماد أمر الدين إنما هو النصيحة، وبها ثباته، كقوله عليه السلام: «الأعمال بالنيات»، أي: صحتها وثباتها بالنية. قال ابن الجوزي في كشف المشكل(٤/٢١٩): معنى النصيحة إرادة الحظ للمنصوح. وفي اشتقاق النصيحة قولان:

أحدهما: أنه من قولهم: نصح الرجل ثوبه: إذا خاطه، وكأن الناصح جمع الصلاح للمنصوح جمع الناصح ثوبه بالخياطة.

والثاني: أنه من قولهم: نصحت العسل: إذا صفيته من الشمع، فشبه خلوص النصح من شوب الغش والخيانة بخلوص العسل من كدره

واعلم أن النصيحة لله عز وجل المناضلة عن دينه والمدافعة عن الإشراك به وإن كان غنيا عن ذلك، لكن نفعه عائد على العبد، وكذلك النصح لكتابه الذب عنه والمحافظة على تلاوته، والنصيحة لرسوله إقامة سنته والدعاء إلى دعوته، والنصيحة لأئمة المسلمين طاعتهم،

والجهاد معهم، والمحافظة على بيعتهم، وإهداء النصائح إليهم دون المدائح التي تغر. والنصيحة لعامة المسلمين إرادة الخير لهم، ويدخل في ذلك تعليمهم وتعريفهم اللازم، وهدايتهم إلى الحق. اهـ

صفة النصيحة لكتاب الله تعالى

قال محمد بن نصر المروزي «تعظيم قدر الصلاة» (٢/٦٩٣): وأما النصيحة لكتاب الله فشدة حبه وتعظيم قدره إذ هو كلام الخالق، وشدة الرغبة في فهمه، ثم شدة العناية في تدبره، والوقوف عند تلاوته لطلب معاني ما أحب مولاه أن يفهمه عنه ويقوم له به بعد ما يفهمه، وكذلك الناصح من القلب يتفهم وصية من ينصحه وإن ورد عليه كتاب منه عنى بفهمه ليقوم عليه بما كتب به فيه إليه، فكذلك الناصح لكتاب الله يعني يفهمه ليقوم لله بما أمر به كما يحب ويرضى، ثم ينشر ما فهم من العباد ويديم دراسته بالمحبة له، والتخلق بأخلاقه والتأدب بآدابه.

قال الإمام النووي: قال العلماء: رحمهم الله النصيحة لكتاب الله تعالى هي الايمان بأنه كلام الله تعالى وتنزيله لا يشبهه شئ من كلام الخلق ولا يقدر على مثله الخلق بأسرهم ثم تعظيمه وتلاوته حق تلاوته وتحسينها والخشوع عندها وإقامة حروفه في التلاوة والذب عنه لتأويل المحرفين وتعرض الطاغين والتصديق بما فيه والوقوف مع أحكامه وتفهم علومه وأمثاله والاعتناء بمواعظه والتفكر في عجائبه والعمل بمحكمه والتسليم بمتشابهه والبحث عن عمومه وخصوصه وناسخه ومنسوخه ونشر علومه والدعاء اليه وإلى ما ذكرناه من نصيحته

وجوب تعظيم القرآن العزيز

قال الإمام النووي في التبيان (ص ١٦٤): أجمع المسلمون على وجوب تعظيم القرآن العزيز على الإطلاق وتنزيهه وصيانته وأجمعوا على أن من جحد منه حرفا مما أجمع عليه أو زاد حرفا لم يقرأ به أحد وهو عالم بذلك فهو كافر قال الإمام الحافظ أبو الفضل القاضي عياض رحمه الله أعلم أن من استخف بالقرآن أو المصحف أو بشئ منه أو سبهما أو جحد حرفا منه أو كذب بشئ مما صرح به فيه من حكم أو خبر أو أثبت ما نفاه أو نفي ما أثبته وهو عالم بذلك أو يشك في شئ من ذلك فهو كافر بإجماع المسلمين وكذلك إذا جحد التوراة والإنجيل أو كتب الله المنزلة

أو كفر بها أو سبها أو استخف بها فهو كافر تنبيه وقد أجمع المسلمون على أن القرآن المتلو في الأقطار المكتوب في الصحف الذي بأيدي المسلمين مما جمعة الدفتان من أول الحمد لله رب العالمين إلى آخر قل أعوذ برب الناس كلام الله ووحيه المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم: وأن جميع ما فيه حق وأن من نقص منه حرفا قاصدا لذلك أو بدله بحرف آخر مكانه أو زاد فيه حرفا مما لم يشتمل عليه لمصحف الذي وقع فيه الإجماع وأجمع على أنه ليس بقرآن عامدا لكل هذا فهو كافر قال أبو عثمان بن الحذاء جميع أهل التوحيد متفقون على أن الجحد بحرف من القرآن كفر وقد اتفق فقهاء بغداد على استتابة ابن شنبوذ المقرئ أحد أئمة المقرئين المتصدرين بها مع ابن مجاهد لقراءته وإقرائه بشواذ من الحروف مما ليس في المصحف وعقدوا عليه للرجوع عنه والتوبة سجلا أشهدوا فيه على نفسه في مجلس الوزير أبي بن مقلة سنة ثلاث وعشرين وثلثمائة وأفتى محمد بن أبي زيد فيمن قال لصبي لعن الله معلمك وما علمك قال أردت سوء الأدب ولم أرد القرآن قال يؤدب القائل قال وأما من لعن المصحف فانه يقتل. هذا آخر كلام القاضي عياض رحمه الله.

النصح للمتعلم:

وقال (ص ٣٩-٤٠):وينبغي أن يبذل لهم النصيحة فإن رسول الله ﷺ: قال الدين النصيحة لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم رواه مسلم ومن النصيحة لله تعالى ولكتابه إكرام قارئه وطالبه وإرشاده إلى مصلحته والرفق به ومساعدته على طلبه بما أمكن وتأليف قلب الطالب وأن يكون سمحا بتعليمه في رفق متلطفا به ومحرضا له على التعلم.

وينبغي أن يذكره فضيلة ذلك ليكون سببا في نشاطه وزيادة في رغبته ويزهده في الدنيا ويصرفه عن الركون إليها والاغترار بها ويذكره فضيلة الاشتغال بالقرآن وسائر العلوم الشرعية وهو طريق العارفين وعباد الله الصالحين وأن ذلك رتبة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

وينبغي أن يشفق على الطالب ويعتني بمصالحه كاعتنائه بمصالح ولده ومصالح نفسه ويجري المتعلم مجرى ولده في الشفقة عليه والصبر على جفائه وسوء أدبه ويعذره في قلة أدبه في بعض الأحيان فإن الإنسان معرض للنقائص لا سيما إن كان صغير السن.

وينبغي أن يحب له ما يحب لنفسه من الخير وأن يكره له ما يكره لنفسه من النقص مطلقا فقد ثبت في الصحيحين عن رسول الله ﷺ: أنه قال: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه».

وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال أكرم الناس على جليسي الذي يتخطى الناس حتى يجلس إلي لو استطعت أن لا يقع الذباب على وجهه لفعلت وفي رواية إن الذباب ليقع عليه فيؤذيني وينبغي أن لا يتعاظم على المتعلمين بل يلين لهم ويتواضع معهم فقد جاء في التواضع لآحاد الناس أشياء كثيرة معروفة فكيف بهؤلاء الذين هم بمنزلة أولاده مع ما هم عليه من الاشتغال بالقرآن مع ما لهم عليه من حق الصحبة وترددهم إليه وقد جاء عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لينوا لمن تعلمون ولمن تتعلمون منه».

تم الكتاب

** **

الأربعون الألبانية في الأحاديث الموضوعة

في

فضل القرآن وأهله

للعلامة المحدث

محمد ناصر الدين الألباني

١٣٣٣هـ - ١٩١٤م - ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م

جمع وإعداد

إسلام بن عيسى الحسامي العبادي

ترجمة العلامة محمد ناصر الدين الألباني

العلامة الإمام مجدد العصر أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)

أحد أبرز العلماء المسلمين في العصر الحديث، ويعتبر الشيخ الألباني من علماء الحديث البارزين المتفردين في علم الجرح والتعديل، والشيخ الألباني حجة في مصطلح الحديث وقال عنه العلماء المحدثون إنه أعاد عصر ابن حجر العسقلاني والحافظ بن كثير وغيرهم من علماء الجرح والتعديل. ولد الشيخ محمد ناصر الدين بن الحاج نوح الألباني عام ١٣٣٣ هـ الموافق ١٩١٤ م

للشيخ مؤلفات عظيمة و تحقيقات قيمة، ربت على المائة، و ترجم كثير منها إلى لغات مختلفة، و طبع أكثرها طبعات متعددة و من أبرزها، إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، وسلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، سلسلة الأحاديث الضعيفة و الموضوعة و أثرها السيئ في الأمة، وصفة صلاة النبي من التكبير إلى التسليم كأنك تراها.

ومن ثناء العلماء عليه

قال سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله:ما رأيت تحت أديم السماء عالما بالحديث في العصر الحديث مثل العلامة محمد ناصر الدين الألباني، وسئل سماحته عن حديث رسول الله ﷺ «ان الله يبعث لهذه الأمه على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها» فسئل من مجدد هذا القرن، فقال -رحمه الله-: الشيخ محمد ناصر الدين الألباني هو مجدد هذا العصر في ظني والله أعلم.

وقال الفقيه العلامة الإمام محمد صالح العثيمين: فالذي عرفته عن الشيخ من خلال اجتماعي به وهو قليل، أنه حريص جداً على العمل بالسنة، و محاربة البدعة، سواء كان في العقيدة أم في العمل، أما من خلال قراءتي لمؤلفاته فقد عرفت عنه ذلك، و أنه ذو

علم جم في الحديث، رواية و دراية، و أن الله تعالى قد نفع فيها كتبه كثيراً من الناس، من حيث العلم و من حيث المنهاج و الاتجاه إلى علم الحديث، و هذه ثمرة كبيرة للمسلمين و لله الحمد، أما من حيث التحقيقات العلمية الحديثية فناهيك به.

العلامة المفسر محمد الأمين الشنقيطي قول الشيخ عبد العزيز الهده: ان العلامه الشنقيطي يجل الشيخ الألباني إجلالاً غريباً، حتى إذا رآه ماراً وهو في درسه في الحرم المدني يقطع درسه قائماً ومسلماً عليه إجلالاً له.

وقال الشيخ مقبل الوادعي: والذي أعتقده وأدين الله به أن الشيخ محمد ناصر الدين الألباني حفظه الله من المجددين الذين يصدق عليهم قول الرسول ﷺ «إن الله يبعث على رأس كل مائة سنة من يجدد لها أمر دينها».

توفي العلامة الألباني قبيل يوم السبت في الثاني و العشرين من جمادى الآخرة ١٤٢٠هـ، الموافق الثاني من أكتوبر ١٩٩٩م، و دفن بعد صلاة العشاء. اهـ.

تم نقله بواسطة سحاب مختصرا .

قلت: وقد هرع آلاف لحضور صلاة الجنازة عليه وشهود دفنه بعد سماعهم نبأ موته مباشرة وكنت ممن صلى عليه وشهد دفنه وصلى بالجموع الغفيرة صلاة الجنازة إماما ومتكلما على قبره فضيلة العلامة محمد إبراهيم شقره. وكان مشهدا عظيما. انظر «حياة الألباني وآثاره وثناء العلماء عليه». للشيخ محمد بن إبراهيم الشيباني.

** **

تمهيد في الأحاديث الضعيفة والموضوعة

قال العلامة المحدث محمد ناصر الدين الألباني: من المصائب العظمى التي نزلت بالمسلمين منذ العصور الأولى انتشار الأحاديث الضعيفة والموضوعة بينهم، لا أستثني أحداً منهم، ولو كانوا علماءهم، إلا من شاء الله منهم من أئمة الحديث ونقاده. كالبخاري، وأحمد، وابن معين، وأبي حاتم الرازي، وغيرهم.

وقد أدَّى انتشارها إلى مفاسد كثيرة، منها ما هو من الأمور الاعتقادية الغيبية، ومنها ما هو من الأمور التشريعية، وسيرى القارئ الكريم الأمثلة الكثيرة لما ندَّعيهِ في كثير من الأحاديث الآتية إن شاء الله تعالى.

وقد اقتضت حكمة العليم الخبير سبحانه وتعالى أن لا يدعَ لهذه الأحاديث التي اختَلَقَها المُغْرِضونَ لغايات شتى؛ تسري بين المسلمين دون أن يُقَيِّضَ لها من يكشف القناع عن حقيقتها، ويبين للناس أمرها، أولئك هم أئمة الحديث الشريف، وحامِلو ألوية السنة النبوية الذين دعالهم رسول الله ﷺ بقوله: «نَضَّرَ الله امرءاً سمِعَ مقالَتي؛ فوعاها، وحفظها، وبلَّغها، فربَّ حامل فقه إلى مَن هو أفقه منه» «الصحيحة» (٤٠٤).

فقد قام لهؤلاء الأئمة- جزاهم الله عن المسلمين خيراً- ببيان حال أكثر الأحاديث من صحة، أو ضعف، أو وضع، وأصَّلوا أصولاً متينة، وقعَّدوا قواعد رصينة، مَن أتقنها وتضلَع بمعرفتها أمكنه أن يعلم درجة أي حديث، ولو لم ينصُّوا عليه، وذلك هو علم أصول الحديث، أو مصطلح الحديث. وألَف المتأخرون منهم كتباً خاصة للكشف عن الأحاديث، وبيان حالها، أشهرها وأوسعها كتاب «المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة» للحافظ السخاوي، ونحوها كتب التخريجات، فإنها تبيِّن حال الأحاديث الورادة في كتب مَن ليس من أهل الحديث، وما لا أصل له من تلك الأحاديث، مثل كتاب: «نصب الراية لأحاديث الهداية» للحافظ الزيلعي، و«المغني عن حمل الأسفار في تخريج ما في الإِحياء من الأخبار» للحافظ العراقي،

و«التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير» للحافظ ابن حجر العسقلاني، و «تخريج أحاديث الكشاف» له، و «تخريج أحاديث الشفاء» للشيخ السيوطي، وكلها مطبوعة.

ومع أن هؤلاء الأئمة- جزاهم الله خيراً- قد سهَّلوا السبيل لمن عدهم من العلماء والطلاب؛ حتى يعرفوا درجة كل حديث بهذه الكتب وأمثالها، فإننا نراهم- مع الأسف الشديد- قد انصرفوا عن قراءة الكتب المذكورة، فجهلوا بسبب ذلك حال الأحاديث التي حفظوها عن مشايخهم، أو يقرؤونها في بعض الكتب التي لا تتحرى الصحيح الثابت، ولذلك لا نكاد نسمع وعظاً لبعض المرشدين، أو محاضرة لأحد الأساتذة، أو خطبة من خطيب؛ إلا ونجد فيها شيئاً من تلك الأحاديث الضعيفة والموضوعة، وهذا أمر خطير، يُخشى عليهم جميعاً أن يدخلوا بسببه تحت وعيد قوله ﷺ: «مَن كذب عليَّ متعمداً فَلْيَتَبَوَّأ مقعده من النار«. (حديث صحيح متواتر). فإنهم، وإن لم يتعمدوا الكذب مباشرة، ففد ارتكبوه تبعاً؛ لنقلهم الأحاديث التي يقفون عليها جميعها، وهم يعلمون أن فيها ما هو ضعيف وما هو مكذوب قطعاً، وقد أشار إلى هذا المعنى قول النبي ﷺ: «كَفى بالمرء كَذِباً أنْ يُحَدِّثَ بكل ما سمعَ». رواه مسلم في «مقدمة صحيحه» (١/٨)، وغيره من حديث أبي هريرة.

ثم رُوي عن الإمام مالك أنه قال: «اعلم أنه ليس يَسْلَمُ رجلٌ حدَّث بكل ما سمعَ، ولا يكون إماماً أبداً وهو يحدِّث بكل ما سمع».

وقال الإمام ابن حبان في «صحيحه» (ص ٢٧): فصل: ذكر إيجاب دخول النار لمن نَسَبَ الشيء إلى المصطفى ﷺ وهو غير عالم بصحته. ثم ساق بسنده عن أبي هريرة مرفوعاً: «مَن قال عليَّ ما لم أقل فليتبوأ مقعده من النار». وسنده حسن، وأصله في «الصحيحين « بنحوه. ثم قال: ذكر الخبر الدال على صحة ما أومأنا إليه في الباب المتقدم. ثم ساق بسنده عن سمرة بن جندب قال: قال رسول الله ﷺ: «مَن حدّثَ عني بحديث

يُرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين». وهو حديث صحيح، أخرجه مسلم في «مقدمة صحيحه» (١/٧) من حديث سمرة والمغيرة بن شعبة معاً، وقال: (إنه حديث مشهور). ثم قال ابن حبان: ذكر خبر ثان يدل على صحة ما ذهبنا إليه. ثم ساق حديث أبي هريرة الأول.

فتبين مما أوردنا أنه لا يجوز نشر الأحاديث وروايتها دون التثبت من صحتها، وأن من فعل ذلك فهو حسبه من الكذب على رسول الله ﷺ.

وقد قال ﷺ: «إن كذباً على ليس كَكَذِبٍ على أحدٍ، فمَن كَذَبَ عليَّ متعمداً فليتبوَّأ مقعده من النار». رواه مسلم وغيره ولخطورة هذا الأمر، رأيت أن أساهم في تقريب سبيل الاطلاع على الأحاديث التي نسمعها في هذا العصر، أو نقرأها في كتاب متداول، مما ليس له أصل يثبت عند المحدثين، أو له أصل موضوع، لعل في ذلك تحذيراً وتذكيراً لمن يتذكر أو يخشى. انتهى

الحديث الموضوع هو: المختلق المصنوع المكذوب على الرسول ﷺ وهو شر الأحاديث الضعيفة وأقبحها، وبعض العلماء يعتبره قسما مستقلا وليس نوعا من أنواع الأحاديث الضعيفة.

وتحرم روايته إلا مع بيان وضعه لقوله ﷺ: «من حدَّث عني بحديث يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين» رواه مسلم في مقدمة صحيحه. انظر «ابن الصلاح» مقدمة (ص ٣٨) «فتح المغيث» (١/ ١٢٥) للعراقي.

تنبيه: قد بدا لي أن أزيد على «الأربعون الألبانية في الأحاديث الموضوعة في فضل القران وأهله» بعضا من الأحاديث الضعيفة والمنكرة والباطلة لتتم الفائدة بالتحذير من شرها ونشرها.

الأربعون الألبانية في الأحاديث الموضوعة في فضل القران وأهله

١- «**حملة القرآن أولياء الله، فمن عاداهم فقد عادى الله، ومن والاهم فقد والى الله**». موضوع «السلسلة الضعيفة» رقم (٢٢٤).

٢- «**آل القرآن آل الله**». باطل«السلسلة الضعيفة» رقم (١٥٨٢).

٣- «**القرآن غنى لا فقر بعده، ولا غنى دونه**». ضعيف «السلسلة الضعيفة» رقم (١٥٥٨).

٤- «**أغنى الناس حملة القرآن**». ضعيف «السلسلة الضعيفة» رقم (١٦٤٦).

٥- «**فضل حملة القرآن على الذى لم يحمله كفضل الخالق على المخلوق**». كذب «السلسلة الضعيفة» رقم (٣٩٦).

٦- «**حامل القرآن حامل راية الإسلام، من أكرمه فقد أكرم الله، ومن أهانه فعليه لعنة الله**». موضوع «السلسلة الضعيفة» رقم (٣٦٨).

٧- «**حامل كتاب الله له في بيت مال المسلمين في كل سنة مائتا دينار، فإن مات وعليه دين قضى الله ذلك الدين**». موضوع «السلسلة الضعيفة» رقم (٦٤٤).

٨- «**حامل القرآن موقى**». ضعيف «السلسلة الضعيفة» رقم (١١٩٥).

٩- «**حملة القرآن عرفاء أهل الجنة يوم القيامة**». ضعيف «السلسلة الضعيفة» رقم (٣٤٩٧).

١٠- «**قيام الليل فريضة على حامل القرآن وإن ركعتين**». موضوع «السلسلة الضعيفة» رقم (٥٧٩٩).

١١- «**ألا أدلكم على الخلفاء مني ومن أصحابي ومن الأنبياء قبلي؟ هم حملة القرآن والأحاديث عني وعنهم (لله) وفي الله**». موضوع «السلسلة الضعيفة» رقم (٢٣٧٥).

١٢- «**أشراف أمتي حملة القرآن، وأصحاب الليل**». موضوع «السلسلة الضعيفة» رقم (٢٤١٦).

١٣- «**أكرموا حملة القرآن، فمن أكرمهم فقد أكرمني**». منكر «السلسلة الضعيفة» رقم (٢٦٧٩).

١٤- «**أغنى الناس حملة القرآن؛ من جعله الله في جوفه**». موضوع «السلسلة الضعيفة» رقم (٧١٤٥).

١٥- «**لا يخرف قارئ القرآن**». موضوع (٢٧٠).

١٦- «**من جمع القرآن متعه الله بعقله حتى يموت**». موضوع (٢٧١).

١٧-«**الحدة تعتري حملة القرآن لعزة القرآن في أجوافهم**». موضوع (٢٧).

١٨-«**من استشفى بغير القرآن فلا شفاه الله تعالى**». موضوع (١٥٣).

١٩-«**من رأى معاهداً فقال: الحمد لله الذي فَضَّلني عليك بالإسلام وبالقرآن وبمحمد ﷺ لم يجمع الله بينَه وبينَه في النار**». موضوع «السلسلة الضعيفة» رقم (٦١٣٢).

٢٠- «**الغناء واللهو ينبتان النفاق في القلب كما ينبت الماء العشب، والذي نفسي بيده، إن القرآن والذكر لينبتان الايمان في القلب، كما ينبت الماء العشب**». «السلسلة الضعيفة» موضوع رقم (٦٥١٥) ورقم (٧١٤٥)

٢١- «**ثلاثةُ أصوات يحبُّها اللهُ: صوتُ الملائكةِ، وصوتُ الذي يَقْرَأُ القرآن، وصوتُ المستغفرينَ بالأَسْحارِ**». موضوع «السلسلة الضعيفة» رقم (٦٣٢٦).

٢٢- «**أحسن الناس قراءة من إذا قرأ القرآن يتحزن به**». ضعيف «السلسلة الضعيفة» رقم (١٨٨٢).

٢٣- «**كأن الخلق لم يسمعوا القرآن حين يسمعونه من الرحمن يتلوه عليهم**». **منكر «السلسلة الضعيفة»** رقم (٣٢٨٢).

٢٤- «**أنزل القرآن على ثلاثة أحرف**». ضعيف «السلسلة الضعيفة» رقم (٢٩٥٨).

٢٥- «**أنزل القرآن على سبعة أحرف، فمن قرأ على حرف منها فلا يتحول إلى غيره رغبة عنه**». ضعيف «السلسلة الضعيفة» رقم (٢٩٦٩).

٢٦- «**أنزل القرآن على سبعة أحرف، لكل حرف منه ظهر وبطن**». ضعيف «السلسلة الضعيفة» رقم (٢٩٨٩).

٢٧-«**القراء عرفاء أهل الجنة**». موضوع «السلسلة الضعيفة» رقم (٢٥٦١).

٢٨- «**يا أبا هريرة، علم الناس القرآن وتعلمه، فإنك إن مت وأنت كذلك زارت الملائكة قبرك كما يزار البيت العتيق، وعلم الناس سنتي وإن كرهو اذلك، وإن أحببت أن لا توقف على الصراط طرفة عين حتى تدخل الجنة فلا تحدث في دين الله حدثا برأيك**». موضوع (٢٦٥).

٢٩- «**سيأتي على الناس زمان لا يبقي من القرآن إلا رسمه، ولا من الإسلام إلا اسمه، يقسمون به وهم أبعد الناس منه، مساجدهم عامرة، خراب من الهدى، فقهاء ذلك الزمان شر فقهاء تحت ظل السماء، منهم خرجت الفتنة، وإليهم تعود**». ضعيف جدا (١٩٣٦).

٢٠- «**كل مؤدب يحب أن تؤتى مأدبته، ومأدبة الله القرآن، فلا تهجروه**». موضوع (٢٠٥٨).

٣١- «**من قرأ ربع القرآن فقد أوتي ربع النبوة، ومن قرأ ثلث القرآن فقد أوتي ثلث النبوة، ومن قرأ ثلثي القرآن فقد أوتي ثلثي النبوة، ومن قرأ القرآن فقد أوتي النبوة**». موضوع (٤٧٦).

٣٢- «**من قرأ القرآن فله مائتا دينار، فإن لم يعطها في الدنيا أعطيها في الآخرة**». موضوع (٦٤٥).

٣٣- «**عليكم بالقرآن؛ فإنه كلام رب العالمين، هو .. واعتبروا بأمثاله**». موضوع «السلسلة الضعيفة» رقم (٣٩٠٦).

٣٤- «**من أخذ على القرآن أجرا، فذاك حظه من القرآن**». موضوع «السلسلة الضعيفة» رقم (١٤٢١).

٣٥- «**من قرأ القرآن يتأكل به الناس جاء يوم القيامة ووجهه عظم لي عليه لحم. قراء القرآن ثلاثة: رجل قرأ القرآن فاتخذه بضاعته فاستجر به الملوك، واستمال به الناس. ورجل قرأ القرآن فأقام حروفه، وضيع حدوده، كثر هؤلاء من قراء القرآن لا كثرهم الله. ورجل قرأ القرآن فوضع دواء القرآن على داء قلبه، فأسهر به ليله، وأظمأ به نهاره، فأقاموا به في مساجدهم، بهؤلاء يدفع الله بهم البلاء، ويزيل الأعداء، وينزل غيث السماء، فوالله لهؤلاء من قرء القرآن أعز من الكبريت الأحمر**». موضوع (١٣٥٦).

٣٦- «**أحب العمل إلى الله تعالى الحال المرتحل، قال: وما الحال المرتحل؟ قال: الذي يضرب من أول القرآن إلى آخره، كلما حل ارتحل**». ضعيف (١٨٣٤).

٣٧- «**إذا قرأ الرجل القرآن، وتفقه في الدين، ثم أتى باب السلطان تملقا إليه، وطمعا لما في يده؛ خاض بقدر خطاه في نار جهنم**». ضعيف (٢١٩١).

٣٨- «**النظر فى المصحف عبادة، ونظر الولد إلى الوالدين عبادة، والنظر إلى علي بن أبي طالب عبادة**». موضوع «السلسلة الضعيفة» رقم (٣٥٦).

٣٩- «**إذا ختم العبد القرآن صلى عليه عند ختمه ستون ألف ملك**». موضوع (٢٥٥٠).

٤٠- «**عند كل ختمة للقرآن دعوة مستجابة**». موضوع «السلسلة الضعيفة» رقم (١٢٢٤).

٤١ - «إن لصاحب القرآن عند كل ختمة دعوة مستجابة، وشجرة في الجنة، لو أن غراباً طار من أصلها لم ينته إلى فرعها حتى يدركه الهرم». موضوع «السلسلة الضعيفة» رقم (٣١٩٠).

٤٢ - «يا بني أكثر من الدعاء؛ فإنه يرد القضاء المبرم. يا بني! أكثر من قول: لا إله إلا الله؛ فإنها أثقل من سبع سماوات ومن الأرضين وما فيهن. يا بني! لا تغفل عن قراءة القرآن إذا أصبحت وإذا أمسيت؛ فإن القرآن يحيي القلب الميت، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي، وبالقرآن تسير الجبال. يا بني! أكثر من ذكر الموت؛ فإنك إذا أكثرت ذكر الموَت: زهدت في الدنيا، ورغبت في الآخرة، وإن الآخرةهي دار القرار، والدنيا غرارة لأهلها، والمغرور من اغتر بها». موضوع (٥٤٧٧).

٤٣ - «من أخذ على القرآن أجرا، فذاك حظه من القرآن». موضوع «السلسلة الضعيفة» رقم (١٤٢١).

٤٤ - «اقرؤوا القرآن فإن الله لا يعذب قلبا وعى القرآن». ضعيف جدا «السلسلة الضعيفة» رقم (٢٨٦٥).

٤٥ - «يأتي على الناس زمان يكون عامتهم يقرأون القرآن، ويجتهدون في العبادة، ويشتغلون بأهل البدع، يشركون من حيث لايعلمون، يأخذون على قراءتهم وعلمهم الرزق (الأصل: وعليهم الوزر)، يأكلون الدنيا بالدين، هم أتباع الدجال الأعور. قلت: يا رسول الله! كيف ذاك وعندهم القرآن؛ قال: يحرفون تفسير القرآن على ما يريدون كما فعلت اليهود؛ حرفوا التوراة، فضرب الله قلوب بعضهم على بعض ولعنهم على لسان داود وعيسى ابني مريم؛ ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون». موضوع (٥٩٨٨).

٤٦ - «ملك موكل بالقرآن، فمن قرأه -من أعجمي أو عربي- فلم يقومه؛ قومه الملك، ثم رفعه قواماً». «السلسلة الضعيفة» رقم (٤٥١٣).

٤٧ -«**من قرأ القرآن فلم يعربه، وكل به ملك يكتب له كما أنزل، بكل حرف عشر حسنات. ومن قرأه وأعرب بعضه ولم يعرب بعضه، وكل به ملكان يكتبان له كما أنزل، كل حرف عشرين حسنة. ومن قرأه وأعربه كله، وكل به أربعة ملائكة يكتبون له، بكل حرف سبعين حسنة**». موضوع «السلسلة الضعيفة» رقم (٦٥٨٤).

٤٨- «**أعربوا القرآن؛ فإن من قرأ القرآن، فأعربه، فله بكل حرف عشر حسنات، وكفارة عشر سيئات، ورفع عشر درجات**». موضوع «السلسلة الضعيفة» رقم (٢٣٤٨).

٤٩- «**أعربوا الكلام، كي تعربوا القرآن**». منكر «السلسلة الضعيفة» رقم (١٣٤٧).

٥٠- «**درج الجنة على قدر آي القرآن لكل آية درجة فتلك ستة آلاف ومئتا آية وست عشرة آية بين كل درجتين مقدار ما بين السماء والأرض فينتهي به إلى أعلى عليين لها سبعون ألف ركن وهي ياقوتة تضيء مسيرة أيام وليال**». موضوع «السلسلة الضعيفة» رقم (٥٧١٨).

٥٦- «**من قرأ القرآن فأعربه، كان له بكل حرف أربعون حسنة، ومن أعرب بعضا، ولحن في بعض، كان له بكل حرف عشرون حسنة، ومن لم يعرب منه شيئا، كان له بكل حرف عشر حسنات**». موضوع «السلسلة الضعيفة» رقم (٦٥٨٢)[1].

---

(١) قال الألباني تحت الحديث السابق

(فائدة): قال الراغب الأصبهاني في «المفردات« (ص ٤٤٩): (اللحن): صرف الكلام عن سننه الجاري عليه، إما بإزالة الإعراب أو التصحيف، وهو المذموم، وذلك أكثر استعمالاً. وإما بإزالته عن التصريح، وصرفه بمعناه إلى تعريض وفحوى، وهو محمود عنه أكثر الأدباء من حيث البلاغة، وإياه قصد الشاعر بقوله: وخير الحديث ما كان لحنا وإياه قصد قوله تعالى ﴿**ولَتعرِفَنَّهم في لحن القول**﴾، ومنه قيل للفطن بما يقتضي فحوى الكلام: (لحن)، وفي الحديث: «لعل بعضكم ألحن بحجته من بعض = (الصحيحة- ٤٥٥)، أي: ألسن وأفصح وأبين كلاماً وأقدر على الحجة. قلت: والظاهر أن المراد بـ (اللحن) في الحديث -على وهائه!- المعنى =

٥٧- «**القرآن ألف ألف حرف، وسبعة وعشرون ألف حرف، فمن قرأه صابرا محتسبا؛ كان له بكل حرف زوجة من الحور العين**». باطل «السلسلة الضعيفة» رقم (٤٠٧٣).

٥٨- «**إذا قرأ الرجل القرآن، وأحتشى من أحاديث رسول الله ﷺ، وكانت هناك غريزة؛ كان خليفة من خلفاء الأنبياء عليهم السلام**». موضوع «السلسلة الضعيفة» رقم (٦٩٩٥).

٥٩-«**فضل قراءة القرآن بنظر على من يقرؤه ظاهرا؛ كفضل الفريضة على النافلة**». ضعيف جدا (٤٠١١).

٦٠- «**أكثر ما أتخوف على أمتي من بعدي: رجل يتأول القرآن؛ يضعه على غير مواضعه، ورجل يرى أنه أحق بهذا الأمر من غيره**». موضوع «السلسلة الضعيفة» رقم (٧٠٤١).

الأول، وهو إزالة الإعراب، لإنه جاء فيه مقابل (الإعراب)، وقد قال الشيخ أبو الربيع سليمان بن سبع في كتابه «شفاء الصدور» (ج ٤/١٧/٢): معنى قوله: ولم يعرب منه شيئاً، أي: أرسله إرسالاً، ولم يقف عند رؤوس الآي، ويمر عليها، ولا يعطي الحروف حقها من الإعراب، لشدة هذه، ولم يرد أنه يلحن حتى يغير المعاني.

قلت: وإن مما (لا) شك فيه أن إعراب القرآن وقراءته -كما ذكر- من الوقوف على رؤوس الآي -كما هو السنة-، وإعطاء الحروف حقها، وإخراجها من مخارجها -حسبما هو مقرر في علم التلاوة والتجويد- أمر مهم، وبخاصة بالنسبة للأعاجم، وبعض العرب، كحرف الضاد مثلاً، فأولئك ينطقوها (ظاء)، والبعض في الشام ومصر مثلاً ينطقوها (دالاً) مفخمة، دون رخاوة واستطالة، والحق بين هؤلاء وهؤلاء، كما قال ابن الجزري في أرجوزته:

والضاد باستطالة ومخرج ميز عن الظاء وكلها تجي

وقد صح عن رجل من أصحاب النبي ﷺ أنه قال: لأن أقرأ آية بإعراب أحب إلي من أن أقرأ كذا وكذا آية بغير إعراب. أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (١٠/٤٥٧/٩٩٦٧) بسند صحيح.

٦١- «**الزبانية أسرع إلى فسقة القرآن منهم إلى عبدة الأوثان، فيقولون: يبدأ بنا قبل عبدة الأوثان؟! فيقال لهم: ليس من علم كمن لا يعلم**». منكر «السلسلة الضعيفة» رقم (٢٥٨٨).

٦٢- «**سيخرج من (الكاهنين) رجل يدرس القرآن دراسة لايدرسها أحد يكون بعده**». منكر «السلسلة الضعيفة» رقم (٦٢٣٨).

٦٣- «**ما من امرىء يقرأ القرآن، ثم ينساه إلا لقي الله عز وجل يوم القيامة وهو أجذم**». ضعيف (١٣٥٤).

٦٤- «**إن لصاحب القرآن عند كل ختمة دعوة مستجابة، وشجرة في الجنة، لو أن غرابا طار من أصلها لم ينته إلى فرعها حتى يدركه الهرم**». موضوع «السلسلة الضعيفة» رقم (٣١٩٠).

٦٥- «**اقرأ القرآن على كل حال ما لم تكن جنبا**». ضعيف جدا (٢٨٦٣).

٦٦- «**ثلاثة لا يكترثون للحساب، ولا يفزعهم الصيحة، ولا يحزنهم الفزع الأكبر، حامل القرآن المؤديه إلى الله بما فيه، يقدم على ربه سيدا شريفا حتى يوافق المرسلين، ومؤذن أذن سبع سنين، لا يأخذ على أذانه طمعا، وعبد مملوك أدى حق الله، وحق مواليه من نفسه**». موضوع بهذا السياق (٢٤١٧).

٦٧- «**سيد بنى دارا، واتخذ مأدبة، وبعث داعيا، فالسيد الجبار، والمأدبة القرآن، والدار الجنة، والداعي أنا، فأنا اسمي في القرآن محمد، وفي الإنجيل أحمد، وفي التوراة أحيد، وإنما سميت أحيد لأني أحيد عن أمتي نار جهنم، وأحبوا العرب بكل قلوبكم**». موضوع «السلسلة الضعيفة» رقم (١٨٦٥).

٦٨- «**خذوا من القرآن ما شئتم لما شئتم**». لا أصل له فيما أعلم «السلسلة الضعيفة» رقم (٥٥٧).

٦٩- «مهما أوتيتم من كتاب الله فالعمل به، لا عذر لأحدكم في تركه، فإن لم يكن في كتاب الله، فسنة مني ماضية، فإن لم يكن سنة مني ماضية، فما قال أصحابي، إن أصحابي بمنزلة النجوم في السماء، فأيها أخذتم به اهتديتم، واختلاف أصحابي لكم رحمة». موضوع «السلسلة الضعيفة» رقم (٥٩).

٧٠- «إن لكل شيء قلبا، وإن قلب القرآن يس، من قرأها فكأنما قرأ القرآن عشر مرات». موضوع «السلسلة الضعيفة» رقم (١٦٩).

٧١- «من قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة أبدا، ومن قرأ كل ليلة ﴿لا أقسم بيوم القيامة﴾ لقي الله يوم القيامة ووجهه في صورة القمر ليلة البدر». موضوع «السلسلة الضعيفة» رقم (٢٩٠).

٧٢- «الحواميم ديباج القرآن». موضوع «السلسلة الضعيفة» رقم (٣٥٣٧).

٧٣- «من قرأ ﴿قل هو الله أحد﴾ في مرضه الذي يموت فيه، لم يفتن في قبره، وأمن من ضغطة القبر، وحملته الملائكة يوم القيامة بأكفها حتى تجيزه من الصراط إلى الجنة». موضوع «السلسلة الضعيفة» رقم (٢٩٠).

٧٤- «إن فاتحة الكتاب وآية الكرسي والآيتين من (آل عمران): (شهد الله أنه لا إله إلا هو الملائكة وألوالعلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم. إن الدين عند الله الإسلام) و (قل اللّهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء) إلى قوله: (وترزق من تشاء بغير حساب) هن مشفعات، ما بينهن وبين الله حجاب، فقلن: يا رب! تهبطنا إلى أرضك وإلى من يعصيك؟ قال الله: بي حلفت لا يقرؤهن أحد من عبادي دبر كل صلاة إلا جعلت الجنة مأو اه على ما كان فيه، وإلا

أسكنته حظيرة الفردوس، وإلا قضيت له كل يوم سبعين حاجة أدناها المغفرة». موضوع «السلسلة الضعيفة» رقم (٦٩٨)[1].

تم الكتاب

** **

---

(١) **(فائدة هامة)**:

قال ابن الجوزي عقب الحديث: قلت: كنت قد سمعت هذا الحديث في زمن الصبا فاستعملته نحوا من ثلاثين سنة لحسن ظني بالرواة، فلما علمت أنه موضوع تركته، فقال لي قائل: أليس هو استعمال خير؟

قلت: استعمال الخير ينبغي أن يكون مشروعا، فإذا علمنا أنه كذب خرج عن المشروعية.

أقول: وإذا خرج عن المشروعية فليس من الخير في شيء، فإنه لوكان خيرا لبلغه ﷺ أمته، ولوبلغه، لرواه الثقات، ولم يتفرد بروايته من يروي الطامات عن الأثبات. وإن فيما حكاه ابن الجوزي عن نفسه لعبرة بالغة، فإنها حال أكثر علماء هذا الزمان ومن قبله، من الذين يتعبدون الله بكل حديث يسمعونه من مشايخهم، دون أي تحقق منهم بصحته، وإنما هو مجرد حسن الظن بهم. فرحم الله امرأ رأى العبرة بغيره فاعتبر. اهـ

بعض فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء [1]

فيما يتعلق بالقرآن

١- لا حرج في حمل أو لمس الشريط المسجل عليه القرآن لمن كان عليه جنابة ونحوها. (فتوى رقم٩٦٢٠).

٢ - ماذا نعمل بالمصحف الذي أوراقه ممزقة؟ يجوز لك أن تدفنه في أرض مسجد ما من المساجد، ويجوز لك أن تحرقه. (فتوى رقم٩٦٨).

٣- قراءة القرآن لمن كان مضطجعا، أو قائما، أو ماشيا. يجوز ذلك؛ لأن الأصل: الجواز، ولم يوجد دليل يدل على المنع منه. (فتوى رقم٧٧٢٠).

٤- قراءة القرآن في أوقات النهي عن صلاة التطوع. قراءة القرآن تجوز في أوقات النهي عن صلاة التطوع. (فتوى رقم٦٩١٤).

---

(١) «**فتاوى اللجنة**»: هي موسوعة كبرى للفتاوى التي شملت أصول الدين وفروعه، كما حوت بطياتها كثيرًا من الفتاوى المعاصرة التي يصعب البت فيها إلا من خلال مجموعة متخصصة من العلماء الربانيين.

ويجيب على هذه الفتاوى لجنة من كبار العلماء شُهد لهم بالعلم والصلاح.

تعريف ببعض علماء أعضاء اللجنة الدائمة للإفتاء:

سماحة الشيخ: عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله آل باز.

سماحة الشيخ: عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ.

فضيلة الشيخ: عبد الرزاق بن عفيفي بن عطية.

فضيلة الشيخ: عبد الله بن قعود.

فضيلة الشيخ: إبراهيم بن محمد آل الشيخ.

فضيلة الشيخ: عبد الله بن غديان.

فضيلة الشيخ: صالح بن فوزان الفوزان.

فضيلة الشيخ: بكر بن عبد الله أبو زيد.

الشيخ الدكتور: عبد الكريم الخضير حفظه الله.

٥- قول: (صدق الله العظيم) بعد الانتهاء من قراءة القرآن بدعة. (فتوى رقم٣٣٠٣).

٦- تقبيل المصحف. لا نعلم لتقبيل الرجل المصحف أصلاً. (فتوى رقم٤١٧٢).

٧- حكم مد الأرجل إلى المصحف؟ يجب احترام المصحف الشريف ويحرم كل ما فيه إهانة له؛ كدخول الخلاء به ووضعه في مكان غير طاهر، وتوسده ومد الرجل إليه. (فتوى رقم ٢١٨٨٩).

٨- من يقرأ القرآن ولا يعرف التفسير، هل هو آثم؟ قراءة القرآن ولو لم يفهم القارئ التفسير من الأعمال الصالحة التي يثاب عليها، لكن كلما تدبر المسلم ما يتلوه وعرف مراد ربه من كلامه، كان أعظم أجرًا وأكثر تأثرًا به. (فتوى رقم١٩٥٦).

٩- هل الأجر على قراءة القرآن مع التدبر أم مجرد القراءة ولو لم يتدبر؟ تلاوة القرآن بالتدبر أكثر أجرًا؛ لأنه يحصل على أجر القراءة وأجر التدبر. (فتوى رقم١٥٨٥٦).

١٠- ما حكم استماع القرآن أثناء مزاولة العمل؟ يجوز للإنسان أن يستمع للقرآن وهو يزاول عمله. (فتوى رقم١٤٢٢٩).

١١- ما ثواب الاستماع إلى قراءة القرآن؟ ثواب الاستماع إلى قراءة القرآن علمه عند الله جل وعلا، ويرجى لمن استمع وأنصت لقراءة القرآن وعمل به خير كثير. (فتوى رقم١١٢٤١)

١٢- حكم أجرة المدرسين الذين يعلمون الناس كتاب الله ليس فيها شيء. (فتوى رقم٤١٦٠).

١٣- ما حكم حمل المصحف في الجيب، وربما دُخل به إلى الخلاء؟ حمل المصحف بالجيب جائز، ولا يجوز أن يدخل الشخص الحمام ومعه مصحف، بل يجعل المصحف في

مكان لائق به؛ تعظيمًا لكتاب الله، واحترامًا له، لكن إذا كان الدخول به خوفًا من أن يسرق إذا تركه خارجًا جاز له الدخول به للضرورة. (فتوى رقم٢٢٤٥).

١٤- هل تجويد القرآن لازم عَلَيَّ؟ ينبغي للمسلم أن يتلقى كتاب الله جل وعلا (القرآن) عن عالم بالقراءة الصحيحة حتى يتأتى له معرفتها. (فتوى رقم١٨٤٣).

١٥- لا أريد حفظ القرآن خوفا من الرياء؟ استعن بالله -جل وعلا- وأخلص النية لله تعالى، وابدأ بحفظ كتاب الله ولا تتردد في ذلك، واترك عنك وسوسة الشيطان وتخويفه إياك من الرياء. .(فتوى رقم١٣٠٩٣).

١٦-أيهما أفضل ؛ سماع القرآن الكريم أم قراءته؟ كل من قراءة القرآن الكريم واستماعه فيه خير كثير، وقد سمع النبي ﷺ القرآن من ابن مسعود وغيره، ولكن تلاوة القرآن الكريم أكثر أجرًا. (فتوى رقم١٦١٠٧).

١٧- هل حفظ القرآن فرض؟ حفظ القرآن الكريم فرض كفاية، ولا يجب على كل فرد من الأمة، وحفظه من أَجَلِّ القربات وفيه فضل عظيم إذا عمل المسلم بما فيه وأقام حدوده وأحكامه. (فتوى رقم١٨٨٤٩).

١٨-هل يجوز حفظ القرآن بغير تجويد ولا تفسير؟ المطلوب حفظ القرآن على الوجه الخالي من اللحن، وأما حفظه على قواعد التجويد فهو من المكملات إذا تيسر ذلك. (فتوى رقم١٩٧٥٦).

١٩-حكم منح جوائز تشجيعية لطلاب حلقات القرآن من قِبل المشرفين؟ لا بأس بمنح جوائز نقدية لحفز همم الطلاب على حفظ كتاب الله جل وعلا، ويوجه الطلاب إلى إخلاص النية لله لحفظ القرآن. (فتوى رقم١٣٠١٢).

٢٠- لا تجوز قراءة القرآن باللغة الإنجليزية؟ قراءة القرآن لا تجوز إلا باللغة العربية التي نزل بها. (فتوى رقم١٦٠٩٩).

٢١- حكم من يتمايل عند قراءة القرآن؟ هذا التمايل عند تلاوة القرآن هو من العادات التي يجب تركها؛ لأنها تتنافى مع الأدب مع كتاب الله عز وجل. (فتوى رقم١٩٥٨٨).

٢٢- أقرأ القرآن ولا أستطيع حفظه، هل لي أجر على هذا؟ الذي يقرأ القرآن ويتدبره ويعمل به يثاب عليه وإن لم يحفظه، ففي الحديث عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران**». (فتوى رقم٦٢٩٢).

٢٣-كيف أحافظ على حفظي القرآن؟ من أسباب حفظ القرآن تكراره وتعاهده كثيرا، والصدق والإخلاص والرغبة في حفظه وتفهمه وتدبره، والضراعة إلى الله سبحانه وسؤاله التوفيق لذلك، مع الحذر من المعاصي، والتوبة إلى الله سبحانه عما سلف منها. (فتوى رقم٧٣٤٩).

٢٤- ما حكم من يكثر من قراءة القرآن الكريم، ولكن لضعف ذاكرته لا يستطيع أن يحفظه، وما حكم من حفظ القرآن ونسيه؟ كمن يحفظه للاختبار أفي ذلك وزر؟

من أكثر من قراءة القرآن لكنه لم يحفظه؛ لضعف ذاكرته يؤجر على قراءته ويعذر في عدم حفظه، لقوله تعالى: ﴿**فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ**﴾ ومن حفظ القرآن -للاختبار مثلا- ثم نسيه فقد أساء، وفاته خير كثير. (فتوى رقم٧٧٣١)

٢٥- هل يجوز أن يتعلم الرجل القرآن على يد شيخ نظير أجر معين يأخذه هذا الشيخ؟ مع العلم بأن الشيخ إن لم يأخذ هذا المال لن يعلمه. ؟ نعم، يجوز أخذ الأجر على تعليم القرآن في أصح قولي العلماء؛ لعموم قوله ﷺ: «**إن أحق ما أخذتم عليه أجرا كتاب الله**» رواه البخاري، ولمسيس الحاجة إلى ذلك. (فتوى رقم٤٢٦٤).

٢٦- قراءة القرآن في المصحف وقراءته بدون مصحف أيهما أفضل؟ ما هو أنفع لك وأخشع لقلبك أفضل. (فتوى رقم ٩٩٧٠).

٢٧- بعض الناس إذا قرأ القرآن يتمايل ذات اليمين وذات الشمال، أو إلى الأمام والخلف. فما حكم فعلهم هذا؟ هذا التمايل عند تلاوة القرآن هو من العادات التي يجب تركها؛ لأنها تتنافى مع الأدب مع كتاب الله عز وجل، ولأن المطلوب عند تلاوة القرآن وسماعه، الإنصات وترك الحركات والعبث ليتفرغ القارئ والمستمع لتدبر القرآن الكريم والخشوع لله عز وجل، وقد ذكر العلماء أن ذلك من عادة اليهود عند تلاوة كتابهم، وقد نهينا عن التشبه بهم. (فتوى رقم ١٩٥٨٨).

٢٨- إني لا أستطيع أن أجيد تلاوة القرآن وحفظه، فما هي الطريقة لحسن التلاوة والحفظ كذلك؟ علما بأنه لا يوجد من يعلمنا ويدرسنا ونحن قد كبرنا؟الطريقة المثلى لتجويد القرآن: أن يعرض الشخص قراءته على شيخ متقن، فإن لم يوجد في بلده فالسفر لأجل تحصيل هذا العلم، مطلوب ومرغب فيه شرعا، فإن لم يتيسر ذلك فينبغي للمسلم أن يستفيد من إخوانه، ومن الأشرطة المسجلة بأصوات القراء المجودين، وإذا علم الله صدق نية العبد فتح له أبواب الخير. (فتوى رقم١٩٣١١).

٢٩- ماحكم استئجار من يقرأ القرآن على قبر الميت أو على روحه؟ لا يجوز استئجار من يقرأ القرآن على قبر الميت أو على روحه، ويهب ثوابه للميت؛ لأنه لم يفعله النبي ﷺ ولا أحد من السلف، ولا أمر به أحد من أئمة الدين، ولا رخص فيه أحد منهم فيما نعلم، والاستئجار على نفس التلاوة غير جائز بلا خلاف. (فتوى رقم١٥٤٠).

٣٠- هل يجوز قراءة القرآن على ظهر الدابة، مثل الجمال والخيل والحمير والسيارة، أفدنا أفادكم الله؟ يجوز للمسلم قراءة القرآن على ظهر الدابة، وفي داخل السيارة والطائرة، وقد صح عنه ﷺ أنه كان يصلي على راحلته ولعموم قوله تعالى: ﴿**إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ**﴾ ﴿**الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ**﴾ الآية، والذكر: يعم القرآن وغيره. (فتوى رقم ١١٢٤٩).

٣١- هل تجوز قراءة القرآن في المسجد بصوت مرتفع وفي مكبر الصوت قبل صلاة الفجر والجمعة وبعض الصلوات، ويكون هناك من يصلي السنة القبلية أو تحية المسجد؟ القرآن: كلام الله جل وعلا، وتلاوته عبادة من العبادات البدنية المحضة والمستمع يثاب على استماعه، ولكن إذا ترتب على رفع الصوت به أذى، فينبغي خفض الصوت إلى درجة يزول بها الأذى، وما ذكر في السؤال من تخصيص وقت قبل الصلاة لقراءة القرآن في المسجد بصوت مرتفع لا نعلم له أصلا يدل على فعله بصفة دائمة في هذا الوقت. (فتوى رقم٣٥٧٠)

٣٢- أيهما أفضل قراءة القرآن أم الاشتغال بالتسبيح والتهليل والاستغفار والدعاء فيما بين الأذان والإقامة في صلاتي الصبح والمغرب، أرجو الإفادة؟ قراءة القرآن أفضل، إلا إذا وجد ما يقتضي رجحان غيرها؛ كالتسبيح والتحميد والتكبير والتهليل في مواضع من الصلاة دلت السنة على الذكر بها فيها، وكذا بعد الصلاة بالنسبة لما ثبت فيه دليل على مشروعية العمل بعدها، والقاعدة: أن كل ذكر خص شرعا بوقت أو مكان كان مقدما على غيره في ذلك، بل قد نهي عن قراءة القرآن في مواضع وجعل غيره من الأذكار فيها متعينا؛ كالتسبيح في الركوع والسجود. (فتوى رقم٤٩٦٣).

٣٣- من هو الذي سمى سور القرآن الكريم هل هو الرسول ﷺ أم ماذا؟ لا نعلم نصا عن رسول الله ﷺ يدل على تسمية السور جميعها، ولكن ورد في بعض الأحاديث الصحيحة تسمية بعضها من النبي ﷺ كالبقرة، وآل عمران، أما بقية السور فالأظهر أن تسميتها وقعت من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ. (فتوى رقم٢٣٧٦).

٣٤- هل يحق لنا أن ندع أحد المسيحيين رغبة في أن يهديه الله يقرأ القرآن المترجم ولو كان غير طاهر؟ الدعوة إلى الله هي طريقة الرسل ﴿**أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾ (يوسف:١٠٨) وتسليمه نسخة من ترجمة معاني القرآن الكريم من أنواع الدعوة إلى الله، فلا بأس بذلك. (فتوى رقم٢٢١٧).

٣٥- ما حكم إعطاء ترجمة القرآن بلغة أخرى -إن جاز هذا التعبير- لغير المسلم؟ يجوز إعطاء ترجمة معاني القرآن الكريم لغير المسلم من أجل البلاغ ودعوته إلى الإسلام، وتغليبا لجانب الترجمة. (فتوى رقم٢٢٣٣)

٣٦- ما حكم من يضع على أصبعه لعابا خفيفا لكي يقلب أوراق القرآن؟ قد نص أهل العلم على تحريم بلّ الأصابع بالريق لتقليب أوراق المصحف بها. قال الإمام الدسوقي المالكي في حاشيته على مختصر خليل عند قوله: «وإلقاء مصحف بقذر» قال: أما بلُّ أصابعه بريقه بقصد قلب أوراقه: فهو وإن كان حراما، لكنه لا ينبغي أن يُتجاسر على القول بكفره وردته بذلك، لأنه لم يقصد بذلك التحقير الذي هو موجب الكفر في مثل هذه الأمور. ونقل عليش في شرحه للمختصر المذكور عن البناني قوله: وبَلّ أصبعه بريقه ووضعها على ورقه لتقليبه حرام وليس ردّة، لعدم قصده التحقير.. وقد ذهب بعض علماء الشافعية المتأخرين إلى جواز إلقاء البصاق على اللوح الذي كتب فيه قرآن لإزالة ما فيه، لأن فاعل ذلك لا يريد بذلك الاستخفاف. قال البجيرمي رحمه الله في حاشيته المشهورة بالتجريد لنفع العبيد: وعليه، فما جرت به العادة من البصاق على اللوح لإزالة ما فيه، ليس بكفر، بل ينبغي عدم حرمته أيضا. اهـ.

وعلى هذا، فينبغي توقي ما يلاحظ عند كثير من المسلمين اليوم من تقليب أوراق المصحف بالريق خروجا من خلاف العلماء وتوقيرا لكتاب الله عز وجل. قال الله تعالى: ﴿**وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ**﴾ (الحج: ٣٠). وقال تعالى: ﴿**وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ**﴾ (الحج: ٣٢). والله أعلم. مركز الفتوى إسلام وب (فتوى رقم٣٧٥١٦)

٣٧- سؤال وفقاً لمختلف العلماء: فإن الله والأنبياء سوف يتغنون بالقرآن (يتلون القرآن بصوت جميل جداً) في الجنة.

هل هناك أي أثر ثابت أو أي حديث بخصوص هذا؟

الجواب: الحمد لله أولا: لم يثبت في قراءة الرحمن جل جلاله القرآن على عباده في الجنة حديث، ومثل هذا من أمور الغيب التي لا يجوز إثبات شيء منها، ولا نفيه، من غير خبر صحيح به.

سئل علماء اللجنة الدائمة: هل صحيح أننا سنسمع ربنا يتلو علينا في الجنة -إن شاء الله- سورة الرحمن؟

فأجابوا: "ليس ذلك بصحيح فيما نعلم" انتهى من "فتاوى اللجنة الدائمة" (٤/ ٣١٨). وينظر جواب السؤال رقم: (١٩٩٣٠٣).

ثانيا: أما قراءة الأنبياء عليهم السلام القرآن في الجنة فلا نعلم فيه شيئا مرويا، وهو من أمور الغيب أيضا التي يجب الكف عن الخوض فيها.

وقد ذكر بعضهم أن نبي الله داود عليه السلام يقرأ القرآن على المؤمنين في الجنة، لكن لا نعلم حديثا صحيحا عن النبي ﷺ، يثبت ذلك .

وينظر: فصل: سماع أهل الجنة، من كتاب "حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح"، لابن القيم (١/٥٤٣-٥٥٥) ط عالم الفوائد.

وكذلك قراءة المؤمنين في الجنة: ليس فيها نص صريح بذلك، وإن كانت قد تشهد لهذا الأصل في الجملة ظواهر بعض الأحاديث الثابتة عن النبي ﷺ: فمما ورد من الأحاديث الصحيحة غير الصريحة ما رواه الإمام أحمد (٢٥١٨٢) والنسائي في "السنن الكبرى" (٨١٧٦) عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (نِمْتُ، فَرَأَيْتُنِي فِي الْجَنَّةِ، فَسَمِعْتُ صَوْتَ قَارِئٍ يَقْرَأُ، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: هَذَا حَارِثَةُ بْنُ النُّعْمَانِ) فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (كَذَاكَ الْبِرُّ، كَذَاكَ الْبِرُّ) وَكَانَ أَبَرَّ النَّاسِ بِأُمِّهِ". وصححه الألباني في "الصحيحة" (٩١٣).

رؤيا رسول الله ﷺ، وإن كانت حقا وصدقا: إلا أنها ليست نصا في أن ذلك يكون في الجنة، وأنه يبقى له ذلك فيها .

ومن ذلك أيضا ما رواه الترمذي (٢٩١٤) وصححه عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (يُقَالُ لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ : اقْرَأْ وَارْتَقِ وَرَتِّلْ كَمَا كُنْتَ تُرَتِّلُ فِي الدُّنْيَا ، فَإِنَّ مَنْزِلَتَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرَأُ بِهَا).

وصححه الألباني في "صحيح الترمذي".

وينظر في هذا جواب السؤال رقم (١٩١٩٣٠) . وينظر في معنى "التغني بالقرآن" جواب السؤال رقم : (١٣٧٧). والله أعلم.


www.moswarat.com

** **



Tel.: (+962)6 474 30 31/2/3
Fax: (+962)6 474 30 38
Email: info@azzahrapp.com
P.O.Box: 340935 Amman 11134, Jordan

